

تاريخ جبل نابلس والبلقاء – الجزء الأول

الجزء الاول
حوادث عهد الاقطاع

تأليف
احسان النمر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

1357 مطبعة زبدون دمشق 1938



احسان النمر

" مؤلف تاريخ جبل النار والبلقاء "

الكتب:

- (١) الأتراك العثمانيون - لهمر النمساوي.
- (٢) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد علي باشا - جمع الدكتور أسد رستم.
- (٣) الأناضول الجليل في تاريخ القدس والخليل - للحنبلي المقدمي.
- (٤) التاريخ العثماني - لعلي رشاد بك.
- (٥) الجغرافية المقدسة - للأستاذ أسعد منصور.
- (٦) الحكومة المصرية - للأستاذ كردعلي.
- (٧) الدولة العثمانية - لجودت باشا.
- (٨) الرحلة القدسية- للشيخ عبد الغني النابلسي.
- (٩) العبر في كشف أسرار القرن الثالث عشر - لحمد نجاتي.
- (١٠) الفتوحات الإسلامية.
- (١١) الكواكب السائرة عن المائة العاشرة - للشيخ نجم الدين ابن الشيخ محمد.
- (١٢) الوسيط في الأدب العربي - للأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري.
- (١٣) بعض مجلات منها المعارف اللبنانية.
- (١٤) تاريخ الدولة العثمانية - لفريد بك المصري.
- (١٥) تاريخ السامريين- للقسيس إلياس مرموره.
- (١٦) تاريخ دولة الماليك - للسير وليم موير.
- (١٧) تاريخ سليمان باشا والي عكا - بقلم كاتبه المعلم إبراهيم العورا-
وتعليق الحوري قسطنطين الباشا.
- (١٨) تاريخ سوريا المدرمي
- (١٩) تاريخ عمومي لإحسان شريف
- (٢٠) تاريخ فلسطين - للأستاذين عمر البرغوثي و خليل طوطح•
- (٢١) تاريخ لبنان - للمسعودي¹
- تاريخ مصر - لابن أبياس .(22)
- (٢٣) خطط الشام - للاستاذ كردعلي.

اسم على مسمى¹

- (٢٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - للشيخ محمد أمين المجمي.
- (٢٥) سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب - للشيخ محمد البغدادي الملقب بالسويدي.
- (٢٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - للشيخ محمد خليل المرادي.
- (٢٧) صفوة تاريخ مصر والدولة العربية - للشيخ أحمد الكندري.
- (٢٨) طبقات الحنابلة - لابن أبي بعلی.
- (٢٩) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - للأستاذ عيسى السفري.
- (٣٠) قبائل شرقي الأردن - لبيك باشا الانكليزي.
- (٣١) مجريات فلسطين من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٦٣ م للقنصلية الإفريقية بقلم القنصل المسيو جمس فين.
- (٣٢) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ م الي سنة ١٩١٠ م - تعريب فيليب خازن.
- (٣٣) مختصر تاريخ آداب اللغة العربية - للأستاذ جورجى زيدان.
- (٣٤) مختصر تاريخ العثمانيين - لإبراهيم حلمي نجار زاده.
- (٣٥) مختصر طبقات الحنابلة - للكامل الغزي - اختصار الشيخ كمال الشطي.
- (٣٦) مختصر تاريخ مدنيت - لمؤلف تركي.
- (٣٧) نابليون بوناپوت - للأستاذ أمين الحوري.
- المخطوطات :

- (1) سجلات المحكمة الشرعية بنابلس: كان ماء القريون في أول القرن الثاني عشر الهجري طفى على دار مجلس الشرع الشريف جوار الشيخ بدر الغفير مجرف سجلاته ، ولم ينقذ منها إلا أربعة ، وهي سجل سنة ١٠٦٦ هـ ، وسجل سنة ١٠٩٧ هـ ، وسجل سنة ١١٠١ هـ ، وسجل سنة ١١٤٢ هـ ، وبعض أوراق ترجع الى تواريخ متعددة ؛ ثم من سنة ١٢١٠ هـ الى الآن ، تسير متسلسلة وقد سجلت فيها جميعها مخابرات رسمية كثيرة كما سيظهر
- (2) سجلات المحكمة الشرعية في دمشق - تبدأ من سنة ١٠٧٦ هـ فما بعد ، إلا أنها غير معتنى بها.
- (٣) سجلات المحكمة الشرعية في القدس - تبدأ حوالي سنة ١٠٩٢٧ هـ فما بعد ، وهي مجلدة ومرتبطة إلا انها ممسوحة وخطوطها غير حسنة ، ولم يسجل فيها من المخابرات الرسمية إلا القليل.
- (٤) أوراق آل النمر - بعد موت موسى آغا النمر جمع أحمد آغا النمر كافة أوراق آل النمر في صندوقه ، وورثها بعده ولده عبد الفتاح آغا ، ثم حفيده حسين آغا ، ومنه وصلت إلي ، وقد حفظت على اختلافها ، ففيها الوثائق الرسمية والاقطاعية والتجارية ، والمكاتبات الخصوصية والسياسية . وبعد التحقيق تبين لي أن ما حفظ عند آل النمر من الأوراق يفوق ما حفظ عند جميع الاسر التي تماثلها في عصرها ، رغم فقدان كثير من اوراقها في الزلازل والحوادث ، وأكثر الفضل في ذلك يعود لحرص وأمانة المرحوم عمي حسين آغا النمر الذي سهر على حفظها في الوقت الذي كانت تذهب فيه أوراق سائر الأسر هباء ولقد كان حفظ هذه الوثائق السبب في كشف كثير من النقاط التاريخية الغامضة . ولهذا فظهر أكثر الوثائق في الكتاب لآل النمر ، إنما هو لتوفرها عندهم دون غيرهم.

(٥) أوراق آل الشافعي - وهي محفوظة عند شكري بك الشافعي وأهمها التقرير عن أعمال التركمان الذي أدى لإبعادهم عن جبل نابلس.

(٦) أوراق آل طوقان - بالرغم من أن أكثر حكامهم ظهوروا في القرن الثالث عشر ، فإنهم لم يحفظوا من أوراقهم إلا المرسوم السلطاني بتعيين مصطفى باشا طوقان واليا على مصر ، ولولا ما وجدته في تاريخ المرادي وفي سجلات المحكمة الشرعية بنابلس ، وفي أوراق آل النمر ومدونات السامريين لما قدرت على الكتابة عنهم بتحقيق ، لأن أوراقهم تفرقت ثم أبيدت حرقا وتمزيقا.

(٢) أوراق آل جرار - وكذلك آل جرار لم يحفظوا من أوراقهم سوى قصيدة أحمد باشا الجزائر ليوسف آغا الجرار ، وقصيدة الأخير لأمرء وشيوخ جبل نابلس ، وبعض مرسومات شكر .

(٨) أوراق آل عبد الهادي - حفظ آل عبد الهادي كافة أوراقهم ، وبما أن تاريخهم يبدأ بدخول ابراهيم باشا المصري سوريا ووثائقهم تتعلق بالحكم المصري على سوريا فقد دونت في الأصول العربية التي قام بجمعها الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية.

(٩) باقي عشائر جبل نابلس - ال القاسم ، والجيايسة ، والحاج محمد ، والبرقاوي وغيرهم لم يحفظوا شيئا من الأوراق السياسية . وقد اطلعت على حجج وأنساب لبعض الأسر الشريفة استفدت منها بعض الفائدة.

(١٠) مدونات السامريين - كان بعض كهان السامريين يكتبون تقاويم عن الأحوال الآتية وعن سير الحوادث ، وأهم ما وجدته كراس المعلم إبراهيم الدفي كاتب سر اي نابلس حينما هاجمها ظاهر العمر ، فكتب عن هجومه ورده عن نابلس ، وبالرغم من نقص الكراس في بدايته ونهايته ، وبالرغم من تحيزه وممالأته لمصطفى باشا طوقان فقد استفدت منه فائدة كبيرة ، وكذلك التقاويم فانها جلت لي بعض النقاط الغامضة ، وهي محفوظة عند الكاهن ناجي خضر السامري.

الروايات:

بالرغم مما قوبلت به من الاستهجان والاستغراب عند البعض فقد وفقت الحصول على روايات ترجع الي ما قبل سنة قرون . إذ منها ما يرجع الى الحروب الصليبية وعهد الايوبيين والمالِك ، وقد رواها روايتها عن مخطوطات مفقودة ، ومنها ما يرجع الى أوائل العهد العثماني . ثم معلومات وأخبار مرتبة ومفصلة عن عهد الأقطاع العثماني ، وما تلاه من التطورات التي اكتمل ما قصرت به الوثائق المحدودة البحث ، وبالرغم من الاضطراب السياسي الذي غمر جبل نابلس في الحرب الأهلية ودور الانحلال فقد وجدت عند المعتدلين والمتعقلين من الاتزان والأمانة في النقل ما أوصلني الى كثير من الحقائق الناصعة . وقد بدأت بسماع هذه الروايات منذ بلوغي سنّ التمييز عن عدد كبير من شيوخ وشيخان أسرتي وغيرهم عن لا احصي عددهم ، ولذلك لم أذكر أسماءهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ فإن مقاطعة جبل نابلس هي إحدى المقاطعات التي مثلت في تاريخ الشرق العربي في القرون الخمسة الأخيرة دوراً خطيراً مجيداً مع الحافظة على سنيها وعروبيتها ونفسيها محافظة عجيبة . وقد أصبح لها بمناسبة وجود الركب الشامّي فيها ومروره منها هي والبقاء شأن كبير ؛ إلا أن غموض حوادثها ، وتقدير أبنائها بكتابة تاريخها كاد بطمس أمجد صحيفة في تاريخ الإمارات العربية في القرون المذكورة لولا أن الله وفقني لتداركها وتدوين ما بقي في الكتب والسجلات ورؤوس الشيوخ من الحوادث والروايات ، فألفت هذا التاريخ باسم (تاريخ جبل نابلس والبقاء) لشموله حوادث جبل نابلس وبعض حوادث قبائل البلقاء في العهد الذي برزت فيه شخصية جبل نابلس ، وقد قسمته الى ثلاثة أجزاء ، الأول منها : يبحث عن حوادث العهد الاقطاعي ؛ والثاني : يبحث عما بلغه جبل نابلس في عهد الاقطاع من الحضارة ؛ والجزء الثالث : يبحث عن الحكم الأجنبي والنضال القومي ، شاملاً لقضية فلسطين ، بأسلوب تحليلي- صريح ، متضمناً بعض مذكراتي الخاصة.

هذا وإنني أشكر جميع من ساعدوني باطلاعي على الكتب والمخطوطات والروايات ، راجياً قبول عذري بعدم ذكر أسمائهم لكثرتهم ونسيانهم.. بعضهم لطول العهد ، كما أسجل في هذه المقدمة اعترافي بالفضل في تعلمي علم التاريخ للاستاذين السيدين حيدر تفاحة الحسيني ، وجميل كمال البطوطي ، لأنهما شجعاني ونظما قابليتي للتاريخ أيام دراستي في المدرسة الرشدية العثمانية ، وفي مدرسة النجاح الوطنية .

وإنني أرحب - مع الشكر - بكل انتقادٍ نزيه أو معلومات جديدة ، تعضدها البيئة الواضحة ، والنية الحسنة ، لكي أصحح الخطأ ، وأكمل النقص في الطبعة التالية ، والله الموفق .

في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٦

المؤلف

احسان النمر

مقدمة تاريخية

كانت نابلس في عهد الكنعانيين تعرف بشكيم ، ولم تكن ذات أهمية ، فقد استولى عليها الإسرائيليون بسهولة ، ثم دخلت في حكم الاشوريين الذين نفوا سكانها الى العراق وأتوا بعراقيين اسكنوهم مكانهم . ثم تغلب الفرس على الاشوريين فانقلت نابلس لحكمهم ، ثم تلاهم اليونان فالرومان ، وفي هذا العهد ثارت شكيم فهدمها الرومان²

ثم جددوا بناءها باسم « نيوبلس » أي البلدة الجديدة ، وقد ظلت تحت حكمهم الى أن دخلها المسلمون . وقد وردت تفاصيل تاريخها القديم في الكتاب المقدس وفي التاريخ العام . أما في العهد الإسلامي الأول فلم يكن لها ذكر ، إذ كان سكانها خليطاً من نصارى العرب والسامريين والحكام والجنود المسلمين ، فلم تكن لها حوادث تذكر ولا شخصية بارزة . وفي هذا العهد عرفت هذه المقاطعة بجبل نابلس ، ثم اضطربت سوريا كلها طيلة الحروب الصليبية وما بعدها بقرون في عهد الايوبيين والمماليك والعثمانيين . وفي هذه الأثناء برزت شخصية جبل نابلس وصار يشترك بحوادث سوريا ، مما أوجني الى كتابة مختصر حوادث سوريا في هذا العهد مما له علاقة وصله بهذا التاريخ .

² كان ذلك سنة 66م في عهد الامبراطور فسباسياموس

الباب الاول

حوادث سوريا من نهاية الحروب الصليبية الى الفتح العثماني

الفصل الأول

الغارات الخارجية

الحروب الصليبية

تقلصت الدولة الرومانية في عهد الخلفاء الراشدين والامويين الى داخل الأناضول ، فكانت سوريا آمنة من عدوانها لوفرة القوى الإسلامية فيها . ولما نقل مقر الخلافة الإسلامية من دمشق الى بغداد ، صار الروم يهاجمون سوريا بلا انقطاع . ولما ظهرت الدولة الفاطمية صارت تنازع العباسيين والسلاجقة السيادة على سوريا ، فاستولت عليها ، ثم اشتد عزم السلاجقة واستولوا على سوريا الشمالية والوسطى واكتسحوا قسماً كبيراً من بلاد الأناضول ، فذعر قيصر الروم واستنجد بالبابا في روما ، فأثار البابا جميع أوروبا مستغلاً ما كان يصيب الزوار الأوروبيين من أذى جيوش السلاجقة والفاطميين المتحاربين . وقد شجع ملوك أوروبا ما بلغهم عن وقوع الخلاف الشديد بين الخلافتين الإسلاميتين في مصر وبغداد ، فجيشوا الجيوش الجرارة للاستيلاء على الأراضي المقدسة ؛ ولوضعهم شارة الصليب على المحاربين ، عرفوا بالصليبيين وعرفت حروبهم بالحروب الصليبية .

وقد ابتدأت هذه الحروب سنة ٤٨٩ هـ وانتهت سنة ٦٧٠ هـ ، وإذ كانت أوروبا في عهد الاقطاع الخشن ، فقد كانت حروب الصليبيين غاية في الخشونة ، أصبحت سوريا خلالها مقبرة للشرق والغرب ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تلت الحروب الصليبية غارات أواسط آسيا من المغول والتتار والتركمان ، وقد توالى هذه الغارات الى أوائل القرن التاسع الهجري . ولم تكن في خشونتها وفضاعتها تقل عن غارات الصليبيين ؛ إلا أنها كانت موجهة نحو شمال سوريا وشرقها أي نحو القسم الذي نجا أكثره من غارة الصليبيين ، وبذلك عمّ البلاء سوريا كلها وكان الشعب العربي في سوريا خلال ذلك آخذاً بالفناء والتقلص الى البادية والأقطار المجاورة . وبعد هدوء العواصف الغربية والشرقية أخذ يتوافد على سوريا تارةً سلماً بالاستيطان وتارةً حرباً بالاشتراك مع التركمان الذين استولوا على الشمال وأصبح لهم تأثير كبير في حوادث سوريا .

التركمان

التركمان أصلهم من أواسط آسيا مما وراء نهر جيحون بدأوا غارتهم من أواخر عهد العباسيين ، فاستوطنوا القسم الشرقي من آسيا الصغرى ، وأسسوا إمارتين ، إحداهما في الشمال عرفت بإمارة تركمان الوبر الأسود (قره قوبونلر) ، والاخرى في الجنوب عرفت بإمارة الوبر الأبيض (آق قوبونلر) والمجاورة الأخيرة لسوريا كان لها تأثير كبير في حوادثها ، وقد عرف أمراؤها بذي القدرية لان مؤسسها هو ذو القدر بك . وقد احتل فريق منهم كليسيا بعد زوال حكومة الارمن فعرفوا بالقرمانيين ، واحتل فريق آخر ساحل سوريا الشمالي في نهاية الحروب الصليبية ، وقد امتدوا جنوباً

فاستولوا على جبيل وكسروان ، واصطدموا بدروز لبنان . وكان أمراؤهم يعرفون بال سيفا ، وكانوا سنيين غيورين فأصبحوا أصحاب سيطرة ونفوذ في سوريا الساحلية ، وقد جعلوا مركزهم طرابلس الشام بعد أن عرفت إيالة الساحل بإيالة طرابلس

الفصل الثاني

العرب في سوريا

قبل الاسلام

لا يعلم في الحقيقة بدء استيطان العرب في سوريا ، ولكن المحقق أن الغساسنة القحطانيين أسسوا ملكهم في الشام قبل التاريخ المسيحي ، ولما زحفت قبائل ربيعة من نجد الى الشمال بعد حرب البسوس نزلت تغلب والنمر وأباد في الجزيرة الفراتية في رأس العين والرها ، وامتدت في شمال العراق وشمال سوريا .

في الفتح الاسلامي ؟

كانت الجيوش الإسلامية كلها عربية اشتركت معها القبائل العربية على اختلافها ومنها كلب ، وجزام ، وتغلب ، والنمر ، وأباد ، وقيس ، ومضر وغيرها ، فانتشرت وتغلغت في سوريا كلها .

ولما ضعفت الدولة العباسية ، قام الحمدانيون أمراء تغلب بتأسيس إمارتين إحداهما شرقية مركزها الموصل ، والأخرى غربية مركزها حلب ، وقد انضمت إليهم جميع القبائل العدنانية بما فيها : بكر ، والنمر ، وأباد ؛ فكانت سدا بوجه الاقوام الشمالية ودولة الروم الشرقية الى أن قضى عليها سنة ٤٣٠ هـ على يد الأمير صالح بن مرداس الكلابي اليمني . ولما هاجم الصليبيون سوريا لم يلقوا مقاومة تذكر ، واستمر ضعف الجنس العربي بعد ذلك ولم يظهر أمره إلا في عهد الماليك .

في عهد المماليك³

تدفقت على سوريا بعد الحروب الصليبية عشائر كثيرة : من بدو الحجاز ونجد والعراق" ومصر ، أكثرها من قبيلة طيء كالموالي ، وآل علي ، وأبي ريشة ، والفضل ، وربيعة ، وقد امتدوا من الشمال الى الجنوب ، واشتر كوا مع عرب سوريا والتركمان بالغارة على سوريا بلا انقطاع حتى اضطروا المماليك الى الاهتمام بهم . قال السير ولیم مویر» إن البدو كانوا أمة مستقلة إلا أن عاداتهم في الطعن والترحال لم تجعلهم يتخذون لهم مستقراً في أي صقع من سوريا ، ولا أن يشتر كوا طويلاً اشتراكاً فعلياً في أمر واحد . « ولو أنهم التقوا حول أمير من أمرائهم وصوبوا هدفهم نحو غاية

³ استولى الايوبيون على ملك مصر بمد الفاطميين وكانوا بحاجة الى الجند الدائم لمحاربة الصليبيين فأكثروا من الماليك الاتواك الذين استولوا على ملكهم فيما بعد وقد أكثر ملوك وأمراء هؤلاء من الماليك الشراكسة الذين استولوا على الملك فيما يعد في مصر وسوريا والحجاز الى أن أخذه منهم الاتراك العثمانيون .

واحدة لكان لهم شأن آخر ، ومع كل هذا فإن ضعف المماليك وتفرقهم حملهم على الاستعانة بهم . حتى أن الملك المؤيد الذي كان يعرف بالشيخ الحمودي إنما نال ملكه بساقتهم وعمل جهده لترضيتهم فنصب في دمشق خليفة علوياً إرضاء لهم .

في الفتح العثماني

نزع بطن من قبيلة قابي خان من أواسط آسيا واستقرّ في قلب آسيا الصغرى في مملكة السلطان علاء الدين السلجوقي . وبعد موته انقسمت مملكته الى ممالك صغيرة منها مملكة قبيلة قابي خان المذكورة .

ولأن سلطانهم الأول اسمه عثمان فقد عرفوا بالعثمانيين ، وما لبثوا أن اتسع ملكهم في آسيا الصغرى والروملي ، وأصبحوا في أوائل القرن العاشر المجري على حدود سوريا فاتفق معهم أمير تركمان ذو القدرية إذ ذاك الامير شهسوار⁴ الذي كان حاقداً على المالك . فهاجم المالك ثم صالحوه واستقدموه الى مصر وشنقوه فيها ، فلجأ ولده علي بك شهسوار الى السلطان سليم العثماني وبمساعيه انضمت بعض العشائر العربية المجاورة من بطون طي كالموالي وبتون من النمر وتغلب وأيد الى الدولة العثمانية ضدّ المالك . ولما حاول هؤلاء تأديبهم انقضّ عليهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ وفتح سوريا التي كان متفقاً مع بعض أمرائها - كجانبردي الغزالي وخيري بك - بسهولة . وقد الضمت لجيشه جموع من التركمان وبدو الجزيرة الفراتية وبادية الشام ، ولما دخل دمشق عرض عليه عرب سوريا الوسطى وتركمانها الطاعة ولما أتى أمراؤهم للسلام عليه في القصر الأبيض بدمشق أنابوا بالكلام عنهم أمير لبنان الأمير فخر الدين المعنى الأول فسرمنه ولقبه سلطان البر ، وأعطى الأمير عساف آل سيفاً أمير تركمان الساحل إمارة علي كسروان وجبيل ثم عين والياً على الساحل فيما بعد ، وكذلك جدّد لأمرء حوران وعجلون إمارتهم . ثم سار الى الجنوب فحط رحاله على خان جلجولية فوفد عليه شيوخ البلدان الجيلية وهي صفد ، ونابلس ، والقدس ، والخليل التي صاروا في آخر عهد المماليك أصحاب السيطرة عليها فقدموا له مفاتيح قلاعها فأعادها اليهم وأعطى الراية لكبيرهم الأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل احدي بطون ربيعة طي وشيخ جبل نابلس وقد سر السلطان سليم من معاضدة عرب سوريا والتركمان فاعتز بهم وهدم عضد الدولة فأغدق عليهم العطايا والألقاب ، وولاهم المراكز الكبيرة في سوريا وغيرها ليقتضي بهم على نفوذ المالك . فشكل منهم في دمشق فرقة كبيرة سميت بالبرلية أي الوطنيين أصبحت ذات الحول والطول حتى أواسط الحكم العثماني الاقطاعي ، وكان لها تأثير كبير في تخفيف وطأة الانكشارية⁵ في العهد العثماني كله .

⁴ ومن ذرية هذا الامير الاسيرة المعروفة في نابلس بصوار وهي على وشك الانقراض
⁵ الانكشارية هم أطفال نصارى البلاد المفتوحة ، كانت الدولة العثمانية تأخذهم وتورببهم تربية إسلامية فتكون منهم لديها جيش دائم أصبح سوطنا على أوروبا ثم فسد فصار نقمة عليها

ولم يكتشف السلطان⁶ بهذا بل أدخل بعض أمراء العرب والتركماني في جيشه وقد ذهبوا معه الى العاصمة فولاهم مراكز طيبة في الروملي والأناضول ، ومن ذلك الحين أصبح العرب خصوصا السوريون يحتلون مراكز كبرى في الدولة . ويمكن اعتبار الفتح العثماني بدء نشوء الفكرة العربية واستقرار العرب في سوريا بعد الاضطراب الدائم الذي دام نحو خمسة قرون كاد يقضى فيها على العنصر العربي .

هذا وان على فهم حالة الحكم العثماني وما تمتع فيه العرب من الحرية معول كبير فإنهم كانوا يؤثرون العرب على المماليك والأنكشارية ، فقضى على الفريقين وقوى العنصر والنفوذ العربي قوة تامة .

الفصل الثالث

نظام الحكم العثماني

التقسيمات الادارية

كانت سورية في عهد المماليك تقسم الى أربع عشرة مقاطعة وهي : دمشق ، والقدس ، وحمص ، وبعلبك ، ورحية ، وعجلون ، وصرخد، وماسيات ، والرملة ، ونابلس ويعرف حاكمها بالكاشف ، ثم حلب ، وبيروت ، وصيدا ، وتدمر ويعرف حاكمها بالنائب . فلما فتحها السلطان سليم قسمها الى ثمان ايالات وهي : حلب ، ودمشق ، وحمص ، وحماه ، وطرابلس ، وصفد ، والقدس ، وغزة ويعرف حاكمها بالوالي ؛ وقسمت كل ايالة الي ألوية يعرف حاكمها بالمتسلم . وبعد عصيان الغزالي قسمت الى ثلاث ايالات وهي : ايالة حلب وتشمل حمص وحماه ، وايالة طرابلس وهي تشمل الساحل كله من اللاذقية الى غزة ، وايالة الشام وهي تشمل جبل لبنان والبقاع وحران ، وعجلون ، وصفد ، وجبل نابلس ، وجبل القدس ، أي القسم الداخلي جميعه .

الوظائف والرتب

كانت الدولة العثمانية دولة عسكرية فلم يكن فيها فرق كبير بين الوظائف الإدارية والوظائف العسكرية . فكان رئيس الوزارة (الصدر الاعظم أو الوزير الاعظم) هو القائد العام للجيش العثمانية ، وكان يطلق عليه رتبة سر عسكر . وكان في كل ايالة أميران أحدهما إداري يسمى الوالي والآخر عسكري يسمى قول كهيا أو كتحذا وكانت رتبة

⁶ وكان السلطان يفكر بنقل عاصمة الدولة الى دمشق وجع الشعوب الإسلامية حوله فناجأته المنية قبل أن ينفذ فكرته ولو نفذها لصارت الدولة المثمانية دولة عربية أكثر منها تركية .

الاثنين مير ميران أي أمير الأمراء ولقب كل منهما باشا ، ويأتي بعدهما في الدرجة أمراء ثانويون وهم أمير السلاح (سلحدار) ، وأمير الباب (سكرمان باشي) أو (سر بوابين) ، وأمير اصطبل (مدير اصطبل عامره) ، وأمير المال (الدفتر دار) أي الدفتر . وكان في كل لواء أميران أحدهما إداري يسمى مير اللواء والأمير العسكري وهو الميرالاي ، وكان ينوب عن مير اللواء في اللواء أي السنجق موظف يسمى بالمتسلم أو القائم مقام وقد ينوب عن الميرالاي ضابط يعرف بالزعيم كما سيأتي .

« الألقاب »

باشا - هو أكبر ألقاب الدولة العثمانية بعد السلطان ، ولهذا اللقب حادثة طريفة وهي أن السلطان عثمان مؤسس الدولة مات عن ولدين وهما الأمير علاء الدين وهو الأكبر وصاحب الحق بالملك بعده والأمير أورخان الأصغر إلا أن الأمير أورخان كان شجاعاً قديراً والأمير علاء الدين كان عادياً بسيطاً فتنازل لأخيه الأمير أورخان عن الملك ، فصاروا يقولون عنه أخو السلطان الأكبر ، وهذا باللغة التركية هو « آغا بيك شاه » ثم حرفت الى (ابيه شا) ، ثم حرفت الى باشا ، ولانه كان وزيراً لأخيه فقد صار هذا اللقب للوزراء ثم الأمراء الكبار .

اغا - هو أكبر ألقاب الطورانيين على الإطلاق وهو كلقب سيد عند العرب ، فقد جاء في تاريخ - مختصر تاريخ مدنيت - « أن الطورانيين كانوا يلقبون رفيع القدر عندهم باغا أو آقا » . وكان من ألقاب كبراء المغول في الهند والماليك بمصر ، فقد لقب به الامير شاهين وزير الملك الصالح أيوب . وكان يلقب به أمير القصر عند ملوك (خانات) التتار في القريم ثم استعملوه للمحاسبين في المدن . وكان الأتراك العثمانيون يلقبون به قائد الانكشارية الأكبر ، ولما استولوا على القريم قلدوا استعماله للمحاسبين فلقبوا به المتسلمين والزعماء العسكريين ثم كثر ولقب به الاميون والخدم فصار كلقب مولى عند العرب يلقب به السيد والمسود ، وصار لقب الأمراء يلفظ بمده على الألف الأولى أي آغا وغيرهم بدون مده .

بك - هي كلة محرفة عن كلة ببيوك أي الكبير كان يلقب به أمراء الكتائب فيقال للواحد منهم الاي بك أي كبير الكتيبة ، ثم لقب به الزعماء وأبناء الباشاوات .

أفندي - معناه السيد والمولى كان يلقب به أمراء الأسرة المالكة والقاضي والمفتي والموظفون الإداريون .

جوريجي - كان السلطان حينما يخرج للصيد أو الحرب يولي شؤونه أربعة أمراء من كبار الضباط لكل منهم لقب خاص وهم :

شورباجي أي صاحب المطبخ ، صوباشي أي صاحب الماء ، واشنجي أي صاحب السلاح ، ووكيل خرج أي وكيل المهمات والذخائر . وكان الأول أهم هذه الألقاب لأنه يطلق على ناظر المطبخ الذي يعهد إليه بحراسة مطبخ السلطان وطعامه فلا يقدم طعام للسلطان ما لم يفحص من قبله ولذلك فالشورباجي كان يختار من الأمراء الأذكياء الأمناء ،

ولأهمية هذا اللقب فقد عمم وأصبح لقباً تشريفياً يعطى لكل أمير يبدى شجاعة وأمانة وإخلاصاً فائقاً . وما كان يعطى إلا لمن يبلغون درجة أمير كتيبة (ميرألي) فما فوق . وقد ميز حاملو هذا اللقب على باقي الأمراء في الجيش ، فقد جاء في خطط الشام : « الشوربجية هم ضباط الجند الذين يقدم لهم الحساء في قدر خاص ، ورتبة الواحد منهم تعادل رتبة قائدٍ بعرفنا . » وهذه الكلمة أصلها جورباجي فتنطق الجيم الأولى شينا ثم حرفت فنطقت جيماً وأصبحت كلها جوربجي .

بشه - هو لقب الضابط البسيط .

خواجه - أي المعلم يطلق على رؤساء المهن والحرف ومنهم رؤساء التجار .

خانم ، وخاتون - هما لقبان فارسيان تُلَقَّب بهما ربات الخدور .

سيد - بدلاً من سيّد بتخفيف الياء يلقب به الوجهاء غير الاشراف ويلقب به الجد .

الست - بدلاً من سيّدة كانت تُلَقَّب به السيدة التي ليست من أسرة شريفة أي ليست من سليل آل البيت رضي الله عنهم .

الفصل الرابع

الفوارق وعوامل الفتن في سوريا

«الأجناس»

الأكراد - كانوا يسكنون في الشمال ، ومنهم سكان حي الصالحية بدمشق وحي الأكراد في الخليل والسلط ، وهم من بقايا العهد الأيوبي وقد استفحل أمر أكراد حلب ودمشق واتفقوا مع المعنيين وأحدثوا تطورا كبيراً في حوادث سوريا .

التركماني - كانوا يسكنون الشمال الغربي والساحل الشمالي ، وبعد دخول الأتراك العثمانيين نزلوا في دمشق واستوطن أمراءهم الميدان التحتاني وقد شكلوا كتائب البرلية حتى أصبح منهم نحو ربعها ، وصار أمراءهم أمراء للركب الشامي بعد موت محمد باشا فروخ حاكم نابلس . وقد اشتركوا في حملة عبد الله باشا النمر الى جنوب سوريا وقد تعربوا وأصبحوا سندا للعرب السنيين في سوريا كلها .

الانكشارية - هم جند الدولة نزلوا في المراكز الكبيرة كحلب ودمشق وحماه والقدس ونابلس وغيرها واقتطعوا القرى والضياح ، وكانوا في نزاع مستمر مع الجنود البرلية أي الوطنيين الى أواخر عهد الاقطاع .

الأخلاق - وكان يوجد بقايا أجناس كثيرة ممن سبق لهم احتلال سوريا كالسلاجقة ، والتتار ، والمغول ، والصليبيين ، والمماليك وهم متفرقون في المدن الكبرى وبعض المدن الصغرى لا تربطهم رابطة ، وقد تعربوا وانقرضوا تدريجياً .

العرب - أصبحوا بدوهم وحضرهم الأكثرية الساحقة في سوريا كلها، وقد رسخ قدم أمرائهم في العهد العثماني فسادوا وعربوا جميع السكان واستقلوا في كثير من المقاطعات ولم يبقوا الدولة فيها إلا سيادة اسمية ، وقد استفادوا من حلفهم مع التركمان فاعتزوا بهم وعربوهم .

المسيحيون - لم يكن لم شأن في هذا العهد لأن الحروب الصليبية تركتهم أقلية ضعيفة لا شأن لها ، فاقصر النزاع على الفرق والمذاهب الإسلامية الآتي ذكرها .

الجلاليون - هم أكراد أثرت فيهم دعايات الشيعة الأعاجم في العراق وإيران ، فاصطدموا بالسنيين وظلوا في نضال معهم الى أن ضعفوا واضمحلوا .

الدروز - هم حزب سياسي أسسه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمره ، وقد حملهم الضغط فيما بعد على التستر فدست عليهم معتقدات باطلة خالفوا فيها الجماعة . وقد حاربوا العرب السنيين أمداً طويلاً ، وهم منتشرون في جبلي لبنان وحووران .

النصيرية - هم من الشيعة المغالين يسكنون الجبال الممتدة وراء اللاذقية وطرابلس الشام .

المتاولة - هم الشيعة الاثنا عشرية يسكنون جبل عامل وراء ساحل صيدا وفي جهات بعلبك والبقاع .

السنيون - هم الأكثرية الساحقة في سوريا وقد اعتزوا بالتركمان والعرب الداخلين بعد الفتح العثماني وأصبحوا عصبية الدولة العثمانية في سوريا . وكانت جمهرتهم في المدن الكبيرة وفي سوريا الجنوبية .

اسر الإمارة الكبرى

آل جانيولاد - هم امراء الاكراد الجلاليون كانوا سبباً لكثير من الثورات والفتن .

ال سيفا- هم امراء تركمان الساحل القدماء أصبحوا ولاية للساحل وجعلوا طرابلس الشام مركز إمارتهم وصار منهم ولاية على دمشق . وصاروا يتدخلون بشؤون سوريا كلها وقد أضعفهم النضال الطويل مع امراء لبنان فظهر⁷ بعدهم آل شهورار وآل حسن باشا من امراء التركمان بدمشق. وقد كان لأمراء التركمان جميعاً فضل كبير في إيقاف المتامرين على السنيين عند حدهم وقد تعربوا واندمجوا مع العرب .

⁷ وهم يعرفون اليوم في سوريا بيني المقدم .

المهاينيون - هم أمراء قبيلة النمر نزلوا في مهائن من بادية حماه في الحروب الصليبية ولما دخلوا دمشق في الفتح العثماني عرفوا بالمهائنية ولا يزالون . وقد أصبحوا امراء العرب السنيين في سوريا وتفرعت منهم أسر امارة عديدة سيأتي الكلام عنها وقد امتد نفوذهم من بادية حماه فدمشق وحران وجبل نابلس الى صحارى الحجاز .

المعنيون - هم من سلالة معن الايوبي الكردي حكموا مقاطعة الشوف في لبنان بعد الحروب الصليبية ثم امتد حكمهم على لبنان كله ودان لهم الدروز الذين تمذهبوا بمذهبهم وكانوا قلب المؤامرة على السنيين كما سيأتي .

آل طرباي - هم امراء جبل نابلس الذين اشتهروا بالامراء الحارثيين وهم من ربيعة طي اتفقوا مع المهائنيين وآل سيفا فوقفوا موقفاً مجيداً إلى ان ضعفوا كما سيأتي .

الفقاريون⁸ هم من حزب المماليك الفقاريين صاروا حكاماً لغزه ثم امراء للركبين المصري والشامي وصار منهم حكام على جبل نابلس ورؤساء اجناد وولاية وقد مثلوا دوراً خطيراً في حوادث سوريا وهم يقسمون الى آل رضوان ، وآل بهرام ، وآل كيوان ، وآل فروخ وبناتقراضهم في اواسط القرن الحادي عشر الهجرى خلت سوريا الجنوبية من الحكام وسادتها الفوضى فنزل الإمامية المهائنيون من بني النمر بحملتهم فيها كما سيأتي .

الفصل الخامس

الفتن والثورات

عصيان جانبردي الغزالي

كان الامير جانبردي الغزالي وخيري بك من كبار رؤساء المماليك اتفقا مع السلطان سليم العثماني أمليين التخلص من سلطانهما في مصر ثم الاستقلال بالملك فيما بعد ومكافأةً لجانبردي عينه السلطان سليم والياً على اباله الشام فأظهر اخلاصاً متناهياً إلا أنه لم يكذب بل يبلغه خبر وفاة السلطان سليم حتى أعلن عصيانه واستقل في سوريا كلها سنة ٩٢٦ هـ فأرسل السلطان سليمان الجديد جيشاً كبيراً بقيادة الصدر الأعظم فرهاد باشا فقتل الغزالي واسترد سوريا وجدد تقسيمها الإداري كما مر

⁸ راجع مبحث أحوال مصر في الفصل الأول من الباب الرابع .

الثورة على اياس

عين اياس باشا واليًا على ايالة الشام سنة ٩٢٧ هـ فتحرش بجبل نابلس فثار عليه بقيادة امرائه آل طرباي فخرج اليهم اياس باشا بعساكر الشام وعربانها فغلب وجرح وفر هو وجيشه الي دمشق . واستمرت البلاد ثائرة باقى القرن العاشر إلى أن اضطرت الدولة الى تولية حكم الولايات الى امرء من العرب والترکمان من الأسر المار ذكرها فهذاً العرب السنيون وثار غيرهم .

حكم ابن فريخ ونتائجه

انقرض أبناء الحنش حكام البقاع العزيزي فخلفهم في الحكم ابن فريخ البدوي الذي ربي بينهم وتدرّب على الحكم في عهدهم وقد تمرد عليه أهل منطقته فأدبهم فظهر أمره وعظمت سطوته اذ انه قطع دابر الاشقياء وتسلط على المتأولة في بعلبك والبقاع وأدبهم فسرت منه الدولة وضمت: إليها مقاطعات اخرى منها لواء عجلون الذي ولى حكمه لصاحبه الوالي ولواء صفد الذي حكمه بنفسه بعد أن ولى حكم لواء البقاع لحاكم من قبله ولواء نابلس الذي ولى حكمه لولده قرقماز الظالم فاستحفل أمره وصار أميراً للركب الشامي سنة ٩٩٨ هـ والتي بعدها وامتد نفوذه من جبال النصيرية الى جبال القدس وأصبح الولاة يعولون عليه في سوريا لا سيما ولاية الشام .

ولما مر ابراهيم باشا أحد ولاة مصر عن لبنان ومعه أموال مصر يريد تسليمها لخزينة الدولة في العاصمة سطا عليها لصوص لبنان فتعهد ابن فريخ بتأديب اللبنانيين فسطا على لبنان واضطهد أهله حتى اضطّر أميره الأمير قرقماز ابن الأمير فخر الدين المعنى المار الذكر إلى الاختفاء في مغارة ما زال مختفيًا فيها إلى أن مات .

واشتدت بعد ذلك وطأة ابن فريخ وصاحبه وولده وحكامه على الدروز والروافض والمتأولة فحصلت مؤامرة واسعة اشترك فيها كيوان باشا الفقاري⁹ أحد رؤساء أجناد الشام الناقمين على أهل البلاد والدولة ولما تولى ولاية الشام مراد باشا رشاه المتآمرون بواسطة كيوان باشا فانقلب ضد ابن فريخ وهاجمه هو والمتآمرون ققتلوه وولده قر قماز سنة ١٠٠١ هـ .

ظهور الامير فخر الدين الكبير

مات الأمير قرقماز المعنى عن ولدين وهما الامير يونس والامير فخر الدين فلجأت بهما امهما الى كيوان باشا المار الذكر فرعاهما وحماهما إلى أن كبرا فاسترد الامارة للامير فخر الدين الذي لقب فيما بعد بالكبير وأصبح قطب رحى

⁹ هو أحد مماليك الامير رضوان الفقاري حاكم غزة دخل جند الثام فأصبح من كبار رؤسائه

المؤامرة ، ولما انقلب مراد باشا ضد ابن فريخ تعقبه الامير فخر الدين هو والامير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض فقتلاه وولده فخلا الجو لهما .

وبعد قتل ابن فريخ تفرغ الامير فخر الدين لشؤون لبنان فنظمه وشكل فيه جيشاً بنظام السكبان¹⁰ ثم اتفق مع دولة (تسكانا الايتالية) وعقد معها معاهدة تجارية واستولى على قسم من مقاطعة آل سيفا واتفق مع آل جانبولاد امراء أكراد حلب وامتد نفوذه إلى حوران وعجلون وكوّن مؤامرة كبرى .

المؤامرة الكبرى

كان المعنيون يدعون انهم أيوبيون أكراد وبناء على هذا الادعاء اتفق الامير فخر الدين الكبير مع آل جانبولاد الاكراد ثم انضم اليهم الامير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض وانضم اليهم ايضا المتأولة في جبل عامل والدروز في حوران . وكان يساعدهم كيوان باشا ببث روح التمرد بين الانكشارية في حلب ودمشق وحمص وحماه ويمهد لهم السبيل لرشوة ولاية الشام فتمكن المتآمرون من الاستعداد في كل جهة من حلب الى صفد ومن اللاذقية الى عكا ولم تنتبه الدولة للامر إلا بعد اتساع الخطب .

اتفاق امراء سوريا السنيين

اتصلت أسر الامارة السنية ببعضها فاتفق امراء النمر المهانيين وآل سيفا امراء تركمان الساحل وآل طرباي امراء جبل نابلس والامير محمد فروخ حاكم نابلس والتف حولهم السنيين في سوريا كلها . وكان إذ ذاك نصوح باشا النمر واليّا على حلب ويوسف باشا سيفا واليّا على الشام فكشفا عن المؤامرة .

الفتنة في حلب

في سنة ١٠٠٢ هـ كان نصوح باشا النمر واليّا على ايالة حلب وحسين باشا جانبولاد أميراً على عساكرها . وكان الانكشارية قد استفحل أمرهم في ايالة حلب وطلب حسين باشا إخراجهم فكتب نصوح للسلطان فوافق وتعاون نصوح باشا وحسين باشا على اخراجهم. وبعد أن تم اخراجهم هاجم حسين باشا ساقّة جيش نصوح باشا ليشغله عن دخول حلب ولكن نصوح باشا لم تخف عليه المكيدة فأسرع بالدخول الى حلب ولبس جلد النمر، ثم تحصن في حلب وصار يستنجد بقبيلته وعرب البادية ويتوعد حسين باشا فاتسع الخرق . ولما بلغ السلطان الخبر نقل نصوح باشا لمحاربة الجلايين في الاناضول إلا أن نصوح باشا ظل عاصيا الى أن أرسل له السلطان القاضي الشيخ محمد شريف ليتوسط بينه وبين حسين باشا فأذعن نصوح باشا وخرج بجيشه البالغ أربعة آلاف جندي بموسيقاهم في وقت الضحى دون أن يتجاسر ابن جانبولاد على التعرض إليه وانضم الى جيش الصدر الاعظم في الاناضول .

¹⁰ السكبان هو نظام كلاب الصيد لان سك معناها كلب وبان معناها النظام في اللغة الفارسية ، وكان أول من طبق هذا النظام الشيخ عبد الحلیم اليازجي شيخ الجلايين في الاناضول فاقتبه آل جانبولاد في حلب والمعنيون في لبنان .

عصيان آل جانبولاد

بعد خروج نصوح باشا من حلب طلب الصدر الاعظم سنان باشا من حسين باشا جانبولاد اللحاق به فأظهر التردد وخرج الى جهات سيواس يتفق مع الانصار للعصيان فأدركه الصدر الاعظم هناك وقتله . وحالما بلغ خبر قتله ابن أخيه علي باشا أعلن العصيان في حلب واستجد بالعجر الجلالين فأنجده محمد الجلالى بأربعة آلاف من العجر الجلاليين وصار يغير بهم على سوريا . فتعهد يوسف باشا سيفا والى الشام باخضاع آل جانبولاد فظاهرهم المتآمرون في كل مكان ودخلت المسألة في دور خطير .

اندحار السنين

لما خرج يوسف باشا سيفا بجيشه من دمشق متجها نحو حلب ثار الروافض والمعنيون وقاومه الانكشارية في حمص وحماه فكسر ولجأ الى طرابلس ولما تبعه الامير فخر الدين المعني هرب عن طريق البحر ولجأ الى الامير أحمد بن طرباي أمير جبل نابلس . فخرج اليه الامير فخر الدين المعني بجيشه السكبان الى جبل نابلس فقاومه الامير أحمد بن طرباي والامير محمد بن فروخ وكادا يقضيان عليه عند نهر العوجا فاضطر ان يرجع الى لبنان وكان حسن باشا المهاني دفتري دمشق قد فتك بالانكشارية في دمشق فتمكن يوسف باشا من الرجوع اليها .

ولما بلغ المتآمرون خبر رجوعه حاصروا دمشق واضطروه الى مغادرتها فلجأ ثانية الى جبل نابلس فتبعه الامير فخر الدين المعنى واستولى على قلعة جينين فحاصره طرباي فيها ولم ينج إلا بصعوبة . وقد نزل يوسف باشا وأقاربه من آل سيفا في قرية برقه وظل هناك إلى أن جاء الصدر الاعظم بالذات . وقد قام بالدفاع عن امارته في الساحل ابن عمه علي باشا سيفا فوقع النزاع بينهما فيما بعد .

القضاء على آل جانبولاد

لما استفحل أمر العصيان في سوريا وكشفت المؤامرة للدولة العثمانية أرسلت جيشا بقيادة الصدر الاعظم مراد باشا ففضى على علي باشا جانبولاد¹¹ واتباعه ثم سار الى حمص وحماه فأخضع الانكشارية ولما وصل الى الشام وأراد إخضاع لبنان رشاه كيوان، باشا فتشاغل بالبدو وقتل اميرهم الامير حسين الحيارى فهاجمونه ونهبوا ساقه جيشه وأهانوه فمرض وأرسل بطلب مساعداً من السلطان الذي أدرك الحاجة لارسال وزير عربي يخضع المتمردين ويعالج العصيان معالجة محلية فعين نصوح باشا النمر قائمقاماً للصدارة . وبعد وصوله بمدة قصيرة مات مراد باشا فعين نصوح باشا مكانه .

الصدر الاعظم نصوح باشا

كان من امراء العرب الذين ضمهم السلطان سليم لجيشه أحد امراء بني النمر الذي عين أميراً عسكرياً في كوملجنة ثم في درامه من بلاد الروملي وقد عاش وتزوج هناك فولد له ولد سماه نصوحاً ورباه تربية عثمانية عالية فدخل وظائف

¹¹ ولجأ باقي آل جانبولاد الى المدنيين في جبل لبنان فعرفوا بجنبلاط .

الحكومة وصار أميراً للقصر الملكي وبذلك تعرف على الاسرة المالكة ثم عين والياً على ظلمه في الروملي ولما استمر العصيان في سوريا عين والياً على ابيالة الشام ثم على ابيالة حلب فحصل ما حصل بينه وبين حسين باشا ثم ذهب لمحاربة الجلاليين في الاناضول وبعد القضاء عليهم أرسل محاربة الشيعة في العراق ومحاربة دولة العجم فوفق ودخل مع دولة العجم في مفاوضات للصلح وفي هذه الأثناء طلب الى سوريا فعهد للشيخ خضر المارديني بعقد الصلح مع دولة العجم فأتمه في سنة ١٠١٥ هجري .

وكان نصوح باشا حينما عين والياً على دمشق اتصل بأقاربه ونظم دروس العلم وأصلح حالة العرب وبنى قصراً فخماً قرب السراية¹² القديمة وقرب أولي الشأن من العرب وحض على الاهتمام بالعلم ونظم الأوقاف وحافظ عليها وكان شديداً صارماً فهابه الجميع وأحبه . ولما عاد لمساعدة مراد باشا ثم عين للصدارة مكانه جعل مركزه حلب فتوافد عليه العلماء والامراء والوجهاء من جميع أنحاء سوريا يخبرونه بما أصابهم وما وصلت اليه حالتهم فأعاد دروس العلم وتنظيم الاوقاف وصار يجمع الجموع ويرتب الخطط . ثم وجد نفسه بحاجة إلى نجدة فاستنجد من السلطان ، فأمدته بنجديات من البر والبحر حتى بلغ عدد جيشه ثلاثمائة الف محارب في البر وستين قطعة حربية في البحر وانضم اليه ولاية الايالات المجاورة في بلاد الاكراد والاناضول .

الفوز على المتامرين والسكبان

كان أول ما عمله نصوح باشا أن تفاهم مع البدو فوجه الامير دندن آل جبار الجباري على الغجر أتباع محمد الجلاي فطاردهم وأفناهم .

ووجه الامير هاني¹³ المهايبي من عمومته على حوران وعجلون بجموع من العرب فأخضعها . ووجه الامير قائد بك¹⁴ الصواف المهايبي على البقاع وبعلبك لمحاربة الروافض والمتاولية . ووجه أحمد باشا الحافظ بماية الف جندي على لبنان فمزق جيش السكبان وهرب الامير فخر الدين المعني في البحر ولجأ الى حكومة تسكانا .

ثم عهد لأحمد باشا باخضاع لبنان وباقي حركة التمرد والعصيان وعاد هو الى العاصمة ليقوم باعباء الوزارة العظمى .

¹² ثم استولى عليها علي بك بن حسن باشا المهايبي النمر دفترى دمشق

¹³ وعرفت ذريته فيما بعد ببني هاني وهم اليوم عشيرة كبيرة تسكن كفر بويه في جبل عجلون والبارحة في حوران . و قد ظلوا هناك أصحاب السيادة والنفوذ الى ان هاجمهم ظاهر العمر الاتي ذكره فظهرت بعد ذلك عشيرتنا الشريفة والفريجات فنازعتهم الشيخة

¹⁴ وقد أنجد ولده الامير عبد الله الحزب اليمني في لبنان وقاده وظل في حرب مع حزب القيس في لبنان الى أن قتل في معركة رأس بيروت سنة ١٠٧٦ هـ

مصرع نصوح باشا

استقبل السلطان أحمد الاول نصوح باشا بالترحاب وأظهر سروره به فزوجه ابنته . وقد تفرغ نصوح باشا لإصلاح أحوال الدولة الفاسدة وكان حاقدا على الانكشارية فأخذ يعمل لإصلاحها . وصار يبحث عن دسائس الاجانب في الدولة العثمانية فأوغر خصومه صدر السلطان عليه فتخوف منه وقتله يوم الجمعة الموافق للثاني عشر من رمضان سنة ١٠٢٣ هـ. والراجح أن نصوح باشا أول وأكبر وزير¹⁵ عربي وزر لآل عثمان وقد كان شديداً غيوراً على العلم والسنة ميغضاً للانكشارية والدسائس نزيهاً عفيفاً بعيد النظر . وقد ظهر صواب رأيه اذ ان الدسائس عادت تفعل فعلها وعاد العصيان في سوريا أسوأ مما كان .

استفحال أمر المعنى

خلف نصوح باشا في الصدارة العظمى محمد باشا الخازندار¹⁶ وكان مرتشياً من حكومة تسكانا فأصدر عفوا عن جميع العصاة . فعاد الامير فخر الدين الى لبنان واسترد إمارته واطهر الخضوع . فصالح آل سيفاً ونظم أحوال لبنان وصار يرسل ما عليه سنويا الى السلطان مظهراً الإخلاص والولاء وقد أغرى ولاية الشام بهداياه فضموا إليه ألوية عجلون ، وصفد ، والبقاع ، ونبلس فأظهر إخلاصاً زائداً سر منه السلطان مراد الرابع فضم اليه قلاعاً كثيرة ولواء بعلبك ثم ولاية الساحل التي جعل مركزها صيدا بدلاً من طرابلس (ففضى على نفوذ آل سيفاً) وقد لقب بسلطان البر كجده الامير فخر الدين الاول .

آخرة بني معنى

بعد أن بلغ الامير معنى هذا الحد عاد الى التمرد . فأعاد صلته بحكومة تسكانا وفتح الموانئ لتجارها وأعاد جيش السكبان الذي بلغه مائة الف من شعوب شتى . ثم حصن القلاع ووسع نفوذه الى حد كبير ولم يعد يكثرث بولاية الشام . ولما هاجمه أحدهم مصطفى باشا الخناق غلبه وأسرهم ولم يطلقه إلا برجاء وفد من علماء دمشق . وقد تحرش بكيوان باشا فقتله بيده وأعلن العصيان وقطع ما يطلب منه للسلطان .

ولما علم السلطان مراد الرابع بعصيان الامير فخر الدين المعنى أسقط في يده فأرسل جيشاً كبيراً عليه بقيادة وزيره كوجوك أحمد باشا وكانت سوريا كلها تغلي بالحقد والغيط وقد انقلب الانكشارية ضد المعنيين لقتلهم كيوان باشا فانضموا لجيش أحمد باشا هم وأمرأه وأهالي البلاد من كل صوب ودارت الدائرة على جيش السكبان فكسر وقتل الامير علي ابن الامير فخر الدين ، وأسر الامير فخر الدين وولداه الاميران مسعود وحسين وأرسلوا إلى العاصمة . فقتل الامير فخر الدين وولده الامير حسين سنة ١٠٤٣ هـ وأبقي على حياة الامير مسعود لصغر سنه فربي في العاصمة ولم يرجع إلى

¹⁵ وقد لقبه بمض المؤرخين بالرومي لنشأته في بلاد الروم وظنوا انه تركي والحقيقة انه عربي مستيرك لقبه

¹⁶ - أقاربه بالرومي كعادة العرب وقد لقب قبل ذلك سيدنا صهيب النمر الصحابي المشهور فاشتهر بصهيب الرومي رضي الله عنه

لبنان . ثم تناوب امارة لبنان امراء ضعفاء من المعنيين آخرهم الامير أحمد الذي مات سنة ١١١٨ هـ وبموته انقرض المعنيون وانتقلت الامارة لأصهارهم الأمراء الشهابيين .

الاضطراب والخراب فى الجنوب

بعد القضاء على الامير فخر الدين المعنى انتهت الدولة للجنوب ولطريق الحج التي تعطلت وتخربت بسببه فأرسلت حملة بقيادة عبد الله باشا النمر الذي أوجد هو وأولاده وأحفاده امارة مستقرة ظلوا عمادها الى آخر عهد الإقطاع . وبهم يبدأ تاريخ جبل نابلس المستقر والامارة الكبرى كما سيتبين من الأبواب الآتية .

الباب الثاني

بدء بروز شخصية جبل نابلس

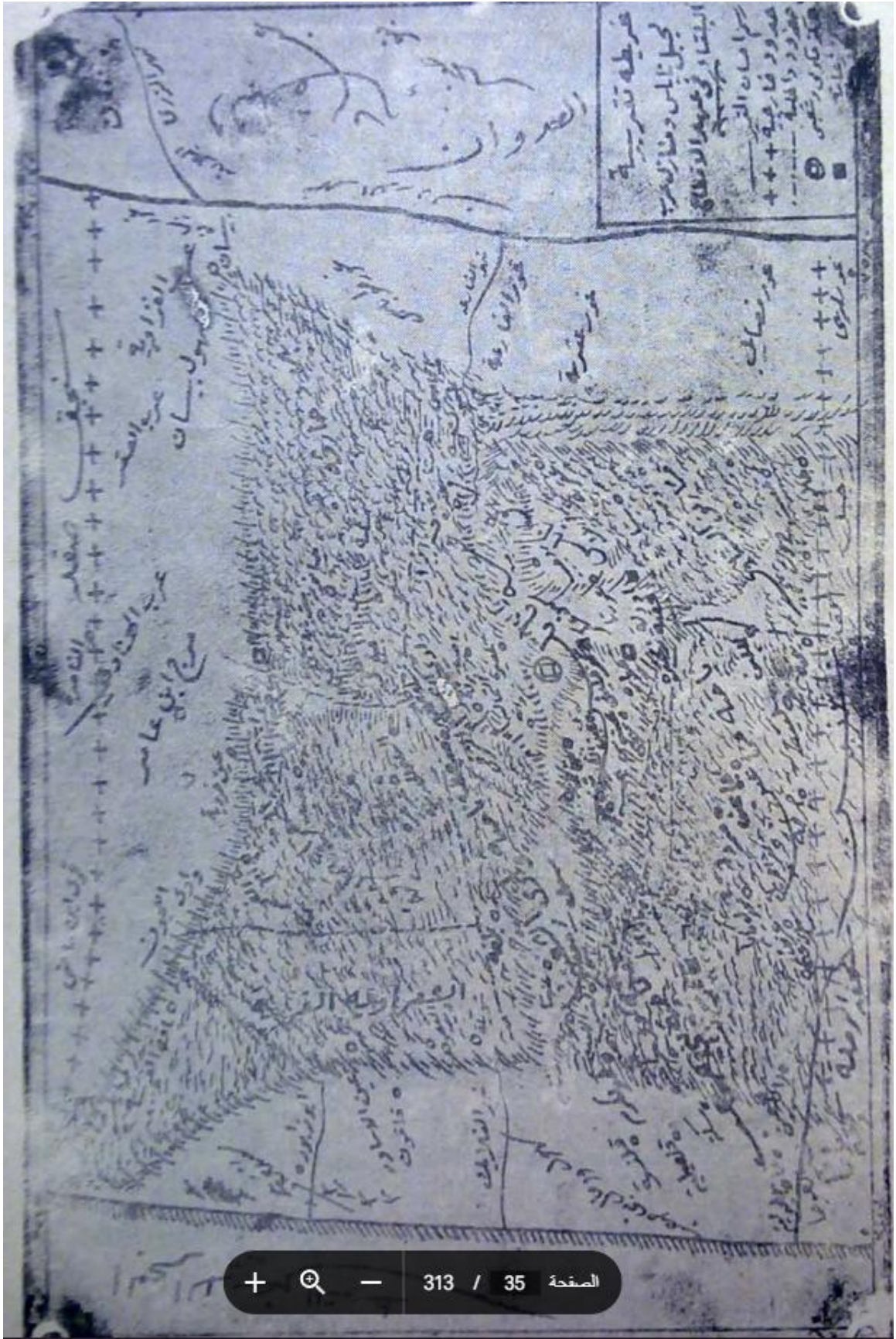
الفصل الاول

جغرافية جبل نابلس

موقعه وحصانته

يقع جبل نابلس بين الدرجتين ٣٢ و ٣٣ شمال خط الاستواء وهو قلب سوريا الجنوبية يحده غرباً البحر الأبيض المتوسط من نهر العوجا إلى قرايا ابن ماضي¹⁷ أي قضاء حيفا جوار قيسارية . ومن الشمال قضاء حيفا إلى قفزة الناصرة وآخر حدود سهول بيسان الشمالية ومن الجنوب نهر العوجا (ووراء قضاء يافا والرملة) الى طف¹⁸ سلفيت حيث تبدأ جبال القدس ثم يمر بحدود مزارع النوباني مشرقاً الى الغور حيث تنتهي حدود اريحا. أما الحدود الشرقية فتارة نهر الاردن وتارة اخرى تجتاز الأردن إلى ما وراء حدود مقاطعة عمان شاملة البلقاء جنوباً إلى الكرك وشاملة عجلون شمالاً الى حوران . وبحسب الحد الأول أي بجعل نهر الاردن الحد الشرقي يكون جبل نابلس مقاطعة مربعة المساحة يقطعها الماشي من الشمال أي من قفزة الناصرة الى طف سلفيت . ومن الغرب من ميناء

¹⁷ آل ماضي هم شيوخ قضاء حيفا ومركزهم اجزم ويقابلهم آل شيلى شيوخ قضاء عكا ومركزهم شفا عمرو
¹⁸ هي مغارة تشبه غصون الزيتون تتوجه نحو جبال القدس فتعتبر آخر حدود نابلس من الجهة الجنوبية لان سلفيت تعتبر آخر الحدود



عريضة تقريسية
 جبل نابلس و مزارع مصر
 ابرقشاد في عريضا و اطلاق
 اسم اسان القري
 حدود فارسية
 حدود دار الفيل
 حدود مكارم رشمس
 عريضا

الخروج من مصر الى الشام
 مزارع مصر
 جبل نابلس
 ابرقشاد
 حدود فارسية
 حدود دار الفيل
 حدود مكارم رشمس
 عريضا
 مزارع مصر
 جبل نابلس
 ابرقشاد
 حدود فارسية
 حدود دار الفيل
 حدود مكارم رشمس
 عريضا

ابي زابورة الى نهر الاردن في مدة خمس عشرة ساعة وتقطعها السيارة بنحو ثلاث ساعات .

وتقع الكتلة الجبلية في القسم الاوسط متصله بجبال القدس تمتد غربها سهول بني صعب (سارونه) وشمالها مرج ابن عامر وسهول بيسان وتنحدر شرقاً الى الأغوار التي تستمر بانحدار الى نهر الاردن . وتتخلل المنطقة الجبلية سهول صغيرة منها : سهل عسكر ، وسهل رامين، وسهل جبع ، وسهل صانور ؛ وأودية صعبة المسالك منها : وادي البادان والفارعة ، ووادي نابلس ، ووادي دعوق ، ووادي عزون ، ووادي قانة . وتتخلل السهول بعض المستنقعات التي تسمى البصاص¹⁹ لاسيما في سهول سارونه وأحياناً في مرج ابن عامر وسهل صانور.

وهذا التكوين الطبيعي لجبل نابلس جعله محصناً تحصيلياً طبيعياً بحيث يرى العدو في السهول الغربية والشمالية ولا يتمكن من اجتياز الأودية بعد ذلك إلا بمشقة كبيرة كما سيظهر من الحوادث الآتية وكذلك من الجهة الشرقية يصادف الأغوار الصعبة المسالك ومن الجنوب جبال القدس الوعرة وبذلك يصبح الوصول إلى مدينة نابلس صعباً . وقد أقيمت على رؤوس الجبال أبراج للمراقبة سميت باسم حارسها وهي تعتبر مقامات أولياء والواقع أنها مراقب في الحروب الصليبية كانت تشير إلى بعضها بمشاعل النار فينقل الخبر بسرعة ويستعد الجميع للخطر المدهم . فيلاقي العدو مقاومة أينما اتجه .

طبيعته وجماله

بالرغم عن أن جبل نابلس في المنطقة المعتدلة إلا أنه يقسم من حيث المناخ والخصب إلى أربع مناطق وهي : منطقة الغور (حفرة الانهدام) التي تشد فيها درجة الحرارة إلى أن تساوي في جنوبه درجة حرارة المنطقة الاستوائية في بعض الأحيان . وتنمو في هذه المنطقة مزروعات المنطقة الحارة كالنخيل والارز والقطن والموز والنيلة.

والمنطقة الثانية منطقة السهول الساحلية الرملية التي تنمو فيها مزروعات حوض البحر الابيض المتوسط التي منها المزروعات الحمضية كالبرتقال والليمون ، والفواكه كالخوخ والدرار والجميز والعنب والتين واللوز ، والفواكه الخضرية كالبطيخ والخيار والقرع وغيره وهي ذات حرارة عالية في الصيف . والمنطقة الثالثة منطقة السهول الداخلية ، وهي معتدلة المناخ ، تزرع فيها الحبوب والقطن على اختلافها كالقمح والشعير والبول والعدس . والمنطقة الرابعة المنطقة الجبلية وهي تعتبر باردة بالنسبة لمنطقة الغور والسهول الساحلية وتنمو في هذه المنطقة على سفوح الجبال والأودية مزروعات وأشجار المنطقة المعتدلة ومنطقة حوض البحر الابيض المتوسط كالزيتون والتين والتوت واللوز والدرار والجوز والكرامة ومن المزروعات القمح والشعير والبول والعدس والحمص . وتزرع في الأودية التي ترونها مياه الينابيع الخضار على اختلافها كالبنندورة ، والبادنجان ، والقرنابيط ، واللفت ، والفجل ، والجزر ، والفاصولية ، والباميا وغيرها .

¹⁹ جمع بصة أي مستنقع الماء

ولتعدد المناخ في جبل نابلس ومجاورته للبحر الابيض من الغرب وحفرة الانهدام من الشرق يظل هواؤه متنقلاً ، فيمر نسيم البحر من الغرب الى الشرق وبعكس ذلك نسيم البر الى البحر بلا انقطاع وقلما تزيد درجة الحرارة في الجبل في ظل الصيف على ثمان وعشرين درجة مئوية كما أن درجة البرودة _ في الجبل قلما تنزل تحت الصفر فيندر سقوط الثلوج .

وجبل نابلس صحي لا سيما المنطقة الجبلية منه التي تندر فيها إصابات البرداء²⁰ وعلى العكس تكثر في الجهات المجاورة للمستنقعات في بعض السهول والأغوار وبعض الأودية . وقد أخذت تتناقص بنسبة التجفيف وال عمران .

ويكون جبل نابلس بسهوله وأوديته وجباله مناظرَ من أجمل مناظر الدنيا لاسيما في الجهة الشمالية والغربية ومناظر كتارات (انحدارات) الغور البديعة .

وجبال نابلس متوسطة الارتفاع فإن قمة جبل عيبال المطلة على مدينة نابلس لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر على الف وأربعمائة ذراع نابلسي²¹ تجاري وهي أعلى قمة في جبال نابلس وتقابلها قمة جرزيم (الطور) التي تقل عنها بمائة وخمسين ذراعاً نابلسياً . وينحط غور نابلس عن سطح البحر بنحو أربعمائة ذراع نابلسي فيمكن أن توجد في أغوار نابلس المشاتي الصحية الدافئة كما يمكن أن توجد في جباله المصايف المعتدلة الجميلة.

وجبل نابلس من أخصب بقاع الدنيا إذ لا توجد فيه بقعة غير قابلة للزراعة أو خالية من المياه وهو قابل لزراعة كثير من الاشجار والمزروعات المثمرة المعروفة في العالم المتمدن فيه تزرع مزروعات وأشجار حوض البحر الأبيض المتوسط والمنطقتين الحارة والمعتدلة كما مر . وقد صار جبل نابلس جنة يانعة في عصره الذهبي في القرن الثاني عشر الهجري اذ كانت منتوجاته التجارية من القطن والنيلة والصابون تصدر إلى جهات بعيدة فتعود عليه بالثروة الطائلة ولما كان مزدحماً²² بالسكان والأمن فيه شاملاً عمرت أراضيها كلها

²⁰ البرداء اسم عربي للحمي التي تسمى اليوم عند الغربيين بالمالاريا
²¹ راجع بحث المكايل في فصل التعامل من باب التجارة في الجزء الثاني
²² راجع الجزء الثاني



منظر عام لمدينة نابلس الحاضرة وقد ظهرت فيها المدينة القديمة ومباني عيبال وبينهما حفرة بساتين نابلس التي تعرف عند الاجانب بالنهر الاخضر

مدينة نابلس

كانت شكيم المدينة الاسرائيلية مبنية في بطن جرزيم لجهة الغرب أي في الجهة الجنوبية الغربية من بقعة المدينة الحاضرة . ثم هدمها الرومان وبنوها²³ باسم (نيوبلس) التي حرفت الى نابلس تحت قمة جرزيم الشرقية في الجهة المعروفة اليوم بخلة العامود أي في الجهة الجنوبية الشرقية من بقعة المدينة الحاضرة وامتدت مباني نابلس الى باب الوادي من الشرق حتى قرية بلاطه . وامتدت غرباً إلى الجهة المعروفة بكشيكة²⁴ ثم أعاد السامريون بناء كنيسهم ودورهم في المدينة القديمة فاتصلت بالمدينة الجديدة على جانب الوادي الجنوبي جميعه من الشرق إلى الغرب .

ولما حكمها المسلمون بنوا جامعاً في بطن الوادي في الجهة المعروفة بوكالة خان التجار اليوم وامتدت المباني الاسلامية شرق وغرب هذا الجامع فأصبحت تقابل الأحياء القديمة بطول الوادي. فكان السامريون والنصارى في الجهة الجنوبية والمسلمون في الجهة الشمالية . وفي الحروب الصليبية هدمت المدينة الرومانية الشرقية ثم الحي الإسلامي وهاجر السامريون²⁵ وهدمت أماكن النصارى فتقلصت المدينة الى الزاوية الجنوبية الغربية ، ولما عاد المسلمون نزلوا بهذا

²³ بأمر فسباسيانوس سنة ٦٦ م

²⁴ هي الحجر الجنوبي القديم .

²⁵ راجع الفصل عن السامريين في باب الدين من الجزء الثاني

القسم وأهملوا باقيها واستعملوا الأبقاض لمبانيهم . ولما نزلت حملة بني النمر عمروا حياً في الجهة الشرقية من الحي الاسلامي القديم فامتدت المدينة للشرق والشمال وأحيطت بسور وبوابات جديدة ظلت ضمنها حتى نهاية عهد الإقطاع ودور الانتقال ثم انتشرت لاسيما بعد الزلزال الكبير الاخير²⁶انتشاراً لم يسبق فقد امتدت على سفوح عيبال من الشرق الى الغرب بصورة جميلة أكسبت الوادي جمالاً رائعاً وكان الشيخ عبد الغني النابلسي نظر بعين المستقبل حين قال :

جبلها جملها فغدت شمسا تملو سبيراً وتاماً

فمدينة نابلس قديمها وحديثها تقع في أول الوادي بين قمتي جرزيم وعيبال وترتفع عن سطح البحر ثمانماية ذراع نابلسي وترتفع فوقها قمة عيبال ستماية ذراع وقمة جرزيم اربعاية وخمسين ذراعاً . وبما أن الجبلين ينبطحان بعد ثلثي الارتفاع فان القمم العليا تختفي وتظهر القمم الوسطى على ارتفاع يتراوح بين مائتين وخمسين الى اربعاية ذراع فيظهر الجبل كالكامل المرتفع . وبين قدم الجبل والقمة الوسطى في جبل عيبال تكسو السفوح المدرجة شجرة الصبير الدائمة الاخضرار وتقابلها في جرزيم السفوح المكسوة بأشجار اللوز والتين والزيتون وبذلك يصبح منظر الجبلين من أروع وأجمل المناظر الطبيعية التي شهد بها كل من زار مدينة نابلس .

ويضيق الوادي في شرقه وتتقارب صخور القمم الوسطى بحيث تصبح المسافة بينهما نحو ثلاثماية ذراع تقريباً وتكون بذلك مدخلاً للوادي يشبه الباب وراه من الشرق سهل عسكر والقرى المحيطة به والتي تبعد عن بعضها نحو عشرة آلاف ذراع أي نحو خمسة أميال هي اتساع السهل في بعض جهاته ووراء باب الوادي من الغرب بقعة مدينة نابلس التي تسير بين سلسلتي عيبال وجرزيم فتتفرج بينها مساحات متوسطة الاتساع تسمى الخلايل²⁷ وتسير غرباً بارتفاع واتساع إلى أن تتلاقى في الجهة الغربية وخارج البقعة مع قمم السلسلة مكونة بينها فسحة جميلة يبلغ اتساعها بضعة أميال بين قريتي زواتا ورفيديا .

ومن منتصف بقعة وادي مدينة نابلس تبدأ حفرة محدودة الاتساع تحيط بها طريقان رئيسيتان إحاطة تامة فتبدأ على محاذاة منتصف المدينة القديمة وتسير غرباً بانخفاض مستمر إلى أن تلتقي الطريقان الرئيسيتان مع بعضها عند باب الوادي الغربي . وهذه الحفرة ذات تربة سوداء ترويهها مجاري المدينة وينابيعها المنخفضة التي تجعلها من أخصب بقاع الدنيا . وهي مقسومة إلى بساتين صغيرة تزرع في أرضها الخضار المتنوعة وتحيط بها أشجار التين والتوت والجوز والميس والخوخ . ولانخفاض هذه الحفرة باستمرار على مسافة تزيد على ثلاثة آلاف ذراع فإنها ترى من جميع الجهات التي حولها فترى في بطن الوادي جنة يانعة تزيد الوادي جمالاً وبهاء .

وتعدُّ مدينة نابلس من أغنى المدن بينابيعها الكثيرة التي منها المرتفعة التي يشرب منها السكان وهي : رأس العين ، وعين العسل ، والقريون ، وعين الوز ، ومنها المنخفضة التي تروى منها البساتين وهي : عين دفنة ، وعين بيت الماء

²⁶ راجع الجزء الثالث

²⁷ الخلايل أي الشعاب وهي جمع خلة بفتح الخاء وهي مستعملة في اللغة الدارجة في نابلس .

، وعين حسين ، وعين الفواد ، وعين القصب ، وعين الشريش ، وعين الصبيان ، وكانت هذه الينابيع جميعها تدير الطواحين المائية قبل ظهور الآلات البخارية فتدر على أصحابها الأموال الكثيرة.

ولأن جميع مياه نابلس تجري إلى حفرة الوادي بلا توقف وتستعمل كلها للري دون أن تكون مستنقعات فإن إصابات البرداء في مدينة نابلس قليلة جداً . إلا أن العفونة التي تسببها المياه تحت أرض الوادي تنتج عنها أمراض رئوية وعصبية . لكن سرأً خطيراً يساعد السكان على مكافحة هذه الأمراض وهو غنى مياه الشرب بمعدن الحديد الذي يقوي الدم فيقوى على مكافحة هذه الأمراض . وقد كان لانتشار المباني على سفوح عيبال الصخرية التي لا تجري تحتها مياه فضل كبير في تحسين الحالة الصحية بنابلس . وقد وسعت بعض شوارع المدينة القديمة بعد الزلزال الكبير فخفف خطر جريان المياه تحت الأرض سيما بعد قيام المجلس البلدي بمشروع²⁸المياه وبعد انشاء الأقبية الواسعة المحكمة بعد حادثة السيول²⁹ولا يزال التحسن مستمراً .

الفصل الثاني

جبل نابلس في اول الفتح الاسلامي

والحروب الصليبية

في العهد الأول

لما دخل جبل نابلس في حوزة المسلمين كان سكانه خليطاً من السامريين والنصارى العرب وبقايا الرومان واليونان و كان العداء مستحكماً بينهم . فوضع المسلمون في نابلس حامية بسيطة وقد جعلت من المراكز الصغيرة . وسكنت جمهرة العشائر الإسلامية في القرى فسكن معظمهم بيسان وجنين ومردا وجماعين وسلفيت وعقربا وبيتا وطوباس وغيرها من المدن الصغيرة التي أصبحت مراكز للعلم وللمسلمين ، ففقدت نابلس مركزها ولم يكن لها في هذا العهد ذكر كالرملة والقدس وغزة وعسقلان التي كانت بارزة في ذلك العهد ولم تبلغ المدن التي ظهرت في جبل نابلس جميعه حدًا يجعل لها أهمية ولم يكن في جبل نابلس عصبية قومية فأهمل شأنه بالكلية إلى ما بعد الحروب الصليبية بقليل .

²⁸ راجع المشاريع الخيرية في الجزء الثالث

²⁹ راجع كارثة السيل في الجزء الثالث



القسم الباقي من القلعة الصلاحية على ظهر قمة جرزيم ويعرف بمقام الشيخ غانم

الحروب الصليبية

دخل الصليبيون جبل نابلس دون مقاومة فعاملوا السكان بالقسوة واضطروهم على الجلاء إلى مصر والشام ومن بقي منهم ظلّ معرضاً للاضطهاد والغارات الخارجية فقد هجم بزواش حاكم دمشق على نابلس وذبح سكانها . فحصنها الصليبيون وأصبحت مقراً لبعض الأمراء والأميرات الأقوياء إلى أن استولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي فأحرقها ودمرها وهو يستعد لمعركة حطين ولم يبق إلا قلعتها³⁰ وبعد موت السلطان صلاح الدين بنحو نصف قرن استولى عليها الصليبيون مرة أخرى وأحرقوها وقتلوا جميع من كان فيها من المسلمين . ثم هاجمها التتار والخوارزمية وهددها الصليبيون أمدا طويلا وكان ما يصيب المدينة يصيب القرى وما زالت الأحوال مضطربة إلى أن ظهر الملك الظاهر بيبرس فطرد الصليبيين من القدس ورد الخوارزمية والتتار وطرد جميع النصارى من جبل نابلس ولم تحدث بعد ذلك غارات فتوافدت الاسر والعشائر العربية واستوطن الجند وشيوخهم (ضباطهم) في جبل نابلس جميعه

³⁰ يقول السامريون انهم ساعدوا السلطان صلاح الدين في دخول نابلس وكذلك يقول بني الامير (الأدهم) بانهم ساعدوه فعهد اليهم بصيانة ومحافظة القلعة وهم آل السختيان من ذرية الامير عبد المغيث

الاستقرار والنهوض

بلغ عدد المهاجرين المسلمين في نابلس نحو مائتي ألف بعد الظاهر ببيرس فأتى الملك الناصر بن قلاوون في أواخر القرن السابع الهجري وقسم أراضي مدينة نابلس بين شيوخ الأجناد وأمراءهم فأعطى للأمير صارم الدين الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل سويسه أراضي وبساتين في الجهة الغربية من أراضي وبساتين نابلس . وأعطى الشيخ بدرا الغفير وولديه عماد الدين ومجير الدين (الذين عرفت ذريتهم فيما بعد بآل خضر خمخوم) أراضي في سفوح جبل عيبال . وأعطى الشيخ غانم الذي عرفت ذريته فيما بعد (بأبي شمس والعلبي والغفوري وأصلان) أراضي وسفوحاً في جبل جرزيم . وأعطى للأمير علاء الدين البشيري (الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل جابر) بساتين في حفرة الوادي . وأعطى أراضي وأملاكاً في الجهة الشرقية من الوادي للامير عبد المغيث (الذي عرفت ذريته فيما بعد بالأدهم والسختيان) . وأعطى لآل العامودي مقام العامود وحراسته وقد كان من مقدسات النصارى ، والراجح أن جدهم الشيخ علي الدمشقي وقد عرفوا بآل العامودي³¹ لتوليهم على مقام رجال العامود³² وأعطى الجنود بعض الأراضي والمساكن في المدينة وحولها وقد تولت كل أسرة حراسة الجهة التي استمكت الأراضي المجاورة لها، فالمقامات التي يقال لصاحبها شيخ أغلبها قلاع وأبراج للحراسة سميت باسم حارسها كالشيخ العماد ، والشيخ غانم، والشيخ السري ، والشيخ مجير الدين وغيرها . وقد أوقفت جميع الاسر الاراضي التي اقطعها فيما بعد ولا تزال بعضها تملكها إلى الآن .

وقد نزلت أسر أخرى في نابلس اشتغلت بالعلم فتولت إمامة المساجد وتولت العناية ببعض المقامات كالجعافرة والبسطاميين الذين أتوا من العراق والاضرميين الذين أتوا من مصر ممن سيأتي الكلام عليهم ونزلت أسر أخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة فازدهرت مدينة نابلس وتقدمت :

وإذا سألت عن البقاع فانها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

وبعد أن أتم الملك الناصر تقسيم أراضي المدينة خرج بنحو مائتي ألف من المهاجرين إلى القرى فأقطعهم أراضيها وأغلبها أقيمت مشاعاً للرجال تقسم بحسب عدد الرجال في كل بلد إلا الجنود فانه أقطعهم أراضي خاصة وقد أسكن المهاجرين بحسب قبائلهم وعشائرهم ونصب عليهم شيوخاً منهم كما سيأتي .

ولأن جبل نابلس أصبحت أكثريته الساحقة عربية إسلامية فقد اشتدت قوة سكانه وكانوا جميعهم من الأجناد والعشائر القوية وفيهم أسر الامارة والمشیخة المطاعة فظهرت بعد ذلك شخصية جبل نابلس وأصبح ملجأ تولدت فيه نهضة علمية نبغ بعدها عدد من مشاهير العلماء .

³¹ وقد تفرع منهم آل الصلبي وآل جملة بنابلس ويقولون ان أهلهم حجازيون .
³² ويقول عنهم الشيخ عبد الغني النابلسي انهم الاربعون الشهود من أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام.

الفصل الثالث

النهضة العلمية الاولى

بناء المساجد

حينما استولى الصليبيون على نابلس هدموا مسجدها الكبير وجعلوه ركاما ولما استردها المسلمون انتصروا عند الكنيسة الصليبية فحولوها إلى جامع سموه جامع النصر ولما هدم الملك الناصر كنائس النصارى بنى المسلمون جامعًا مكان الكنيسة الرومانية الغربية عرف بجامع الحنبلي وحولوا معبد السامريين الى جامع الخضرة (محزن يعقوب عليه السلام) وبنوا مسجداً آخر مكان معبد صليبي صغير سموه جامع الساطون وحولوا كنيسة الامبراطور يوستنيانوس الروماني الى الجامع المعروف بالجامع الكبير . وخصصت لهذه المساجد الأوقاف ورتب لها الأئمة والمدرسون .

تأسيس المدارس

أما الجامع الاسلامي القديم فقد حوله الملك الناصر بن قلاون المذكور إلى مدرستين وبنى مدرستين في الجهة الجنوبية وبنى بين المدارس الأربع السوق المعروف بخان التجار وأوقف على المدارس كثيراً من الاملاك التي تعرف اليوم بالاوقاف المدرسة وجعل التدريس في كل مدرسة من هذه المدارس الأربع خاصاً بأحد المذاهب الأربعة وهي : الشافعي مذهب الدولة ؛ والحنبلي مذهب العراقيين ، والحنفي مذهب السوريين ، والمالكي مذهب المغاربة ؛ وسارت هذه المدارس بنجاح كل القرن الثامن والتاسع الهجري فتخرج منها عدد كبير من العلماء الذين كانوا يعيشون في سوريا ومصر ويحصلون على مراكز عالية . وقد انتسب بعضهم إلى أسر كالجعفري ، وابن الشنتير ، وابن السلعوس ، وبعضهم نسبوا الى قراهم كاللبيدي ، والكرمي ، والمرداوي، والراميني ، والشويكي . وبعضهم نسبوا إلى مذاهبهم كالشافعي والحنبلي والحنفي . وقد استمرت هذه النهضة مدة قرنين ثم أخذت بالتقهقر في عهد الحكام الغرباء والاضطراب الذي ساد جبل نابلس في أواسط القرن الحادي عشر الهجري لا سيما في عهد ابن فريخ وآل فروخ والمعنيين . وقد ترجم المؤرخون لعدد من مشاهير علماء جبل نابلس وتعرض آخرون لذكر بعضهم . وقد اقتصرنا على أشهرهم فلم يذكرنا إلا القليل بالنسبة إلى الحقيقة .

تراجم مشاهير علماء جبل نابلس في هذا العهد

الشيخ أحمد الشويكي

هو ابن عبد الرحمن الشويكي³³ الحنبلي حفظ القرآن الكريم ثم المقنع الذي فهم حله على ابن عمه العلامة شهاب الدين. وقد أخذ علومه عن علماء نابلس ثم رحل الى دمشق³⁴ الشام فسكن صالحيتها الى أن مات تاركاً هناك سلالة من أهل العلم ظهر منهم علماء أفاضل . وقد عاش ومات في القرن العاشر الهجري.

قاضى القضاة الشهير الشيخ برهان الدين الراميني³⁵

هو قاضي قضاة الشام في أول القرن الثامن الهجري له عدة مصنفات ذكرها صاحب الطبقات . عاش في دمشق وعرفت ذريته فيما بعد ببني مفلح وقد ظهر منهم علماء نوابغ . وكان الشيخ برهان الدين جريئاً قوي الحجة لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت هذه الجرأة سبب استشهاده فان تيمورلنك³⁶ الطاغية لما استولى على دمشق في المرة الاولى جمع علماء الشام في مجلسه وسألهم سؤال محرجا وهو : « أيهما أفضل درجة العلم أم درجة النسب ؟ » وكان شيعياً يريد الفتك بهم إذا فضلوا العلم على النسب فتهيبوا وأطرقوا ولم يجيبوا فنهض الشيخ برهان وأجابه بلا وجل قائلاً « درجة العلم أعلى من درجة النسب وهي عند الخالق والمخلوق أعلى الرتب ، والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والدليل في هذا جلي وهو إجماع الصحابة وتقديمهم أبا بكر على علي ولي بذلك دلالة من قول صاحب الرسالة لا تتفق امتي على ضلالة » ثم أخذ ينزع ثيابه فقال له تيمورلنك : « ما حملك على نزع ثيابك » فأجابه الشيخ قائلاً : « بذلاً لنفسي في سبيل الله صابراً لعقابك » فقال له تيمورلنك : («وسعك حلمنا فلا تعدم سلمنا») ثم أرسله محروساً إلى بيته وكان أحد الحراس من غلاة الشيعة فوكزه بحربة مسمومة في رجله مات منها سنة ٧٨٤ هـ .

المفتى شهاب الدين الشويكي

هو أبو الفضل شهاب الدين بن محمد الشويكي ولد بقرية شويكه سنة ٨٧٦ هـ . وتعلم في نابلس ثم نزل الى دمشق وعاش فيها مفتياً للحنابلة إلى أن مات

³³ نسبة لقرية شويكه من قرى الشعراوية الغربية

³⁴ دمشق هي المدينة المعروفة والشام اسم القطر كله

³⁵ رامين تقع في منتصف واد الشعير - راجع خريطة النواحي في الجزء الثاني .

³⁶ هو القائد المغولي المشهور وابن أحد وزراء جنكيز خان ملك المغول العظيم كان شيعياً شغوفاً بإجراج علماء السنة بمثل هذه الاسئلة .

الوزير الفاضل مجير الدين البيساني

هو أبو علي عبد الرحيم البيساني اللخمي الملقب بمجبر الدين . ولد سنة 529 هـ وتعلم على ابيه قاضي عسقلان الشيخ بهاء الدين علي البيساني وغيره ثم نزل مصر فتعلم كتابة الدواوين³⁷ وكان البديع شائعاً فابتكر طريقة خاصة نسبت اليه فعرفت بالطريقة الفاضلية فذاع صيته واتصل بديوان ابن مدينة قاضي الاسكندرية فظهر فضله برسائله التي كان يرسلها إلى القاهرة فاستقدمه الخليفة الظافر الفاطمي وعينه في ديوانه وبعد انقراض الفاطميين استوزره سلطان الاسلام صلاح الدين الايوبي فكان يتردد معه بين مصر والشام فدبر المملكة أحسن تدبير وبعد موت السلطان صلاح الدين استوزره ابنه العزيز ثم أحضره من مصر وظل وزيراً كبيراً إلى أن مات سنة ٥٩٦ هـ وكان أبو علي ديناً محسناً وفيًا شغوفاً بجمع الكتب محمود السيرة .

قاضي القضاة الشيخ عبد الله موفق الدين الحجاوي³⁸

هو قاضي قضاة مصر تولى رئاسة القضاء لأحد عشر سلطاناً من سلاطين المالك خلال احدى وثلاثين سنة الى أن مات سنة ٧٦٩ هـ ودفن بتربة باب النصر بمصر وكان أحد السلاطين سر منه لمسألة أفتى بها فكلفه طلب ما يشاء فطلب بناء جامع بنظارته في قريته حجة فأجيب الي طلبه .

المفتي الشيخ علاء الدين المرادوي³⁹

تعلم في الخليل ودمشق فنبغ وأفتى وصنف فذاع صيته وأخذ عنه كثيرون منهم قاضي القضاة الشيخ بدر الدين الجعفري وأصبح من أكابر العلماء الي أن توفي سنة ٨٨٥ هـ

قاضي القضاة الشيخ عبد القادر الجعفري⁴⁰

هو شرف الدين أبو حاتم الشيخ عبد القادر بن محمد الجعفري تولى قضاء الشام سنة ٧٩٢ هـ ففس عليه السم في طعام مات منه هو ومن شاركه فيه سنة ٧٩٣ هـ .

³⁷ الديوان هو الإدارة أو الدائرة باصطلاح الحكومات الحاضرة

³⁸ نسبة الي قريته حجة ، التي كانت تسكنها حامولة العملة التي ظهر منها عدد من العلماء اخرهم الشيخ محمد الحجاوي الذي سكن مدينة نابلس ، وعرفت ذريته بأل الحجاوي ولا تزال .

³⁹ نسبة لقرية مردا في قضاء جماعين

⁴⁰ نسبة الي سيدنا جعفر الطيار الطالبني رضي الله عنه ، عرفوا فيما بعد بالحنبلي وهاشم والنقيب كما سيأتي .

الشيخ محمد عبد القوي المرداوي

هو الشيخ محمد بن عبد القوي بن بدران عبد الله المرداوي الملقب بشمس الدين ، ولد سنة ٦٣٠ هـ بقريته مردا ، وسمع الحديث من خطيبها ، ومن الشيخ عثمان بن خطيب القرافة ، ومن ابن عبد الهادي ، وإبراهيم ابن خليل وغيرهم ، وتفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وغيره . وبرع باللغة العربية ، ثم اشتغل بالتدريس والافتاء والتصنيف ، ونظم منظومة الآداب المشهورة التي شرحها الشيخ موسى الحجاوي ، ثم الشيخ محمد السفاريني ، وهي تبحث في جميع أبواب الفقه والآداب الإسلامية وله منظومة أخرى في العلوم الإسلامية ، قال عنه الذهني " كان حسن الديانة دمث الاخلاق كثير الافادة مطرحا للتكليف " وقد تولى التدريس في المذهب الحنبلي بدمشق الى ان مات

قاضي القضاة ابن مفلح الراميني

أخذ علومه عن ابن تيمية الذي قال له « ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح » ، وكان ابن القيم يقول عنه « ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الامام أحمد من ابن مفلح » . وقد ألف عدداً من المؤلفات في أصول المذهب الحنبلي وفروعه ليس للحنابلة أحسن منها ، وقد توفي سنة ٧٦٣ هـ عن ولده الشيخ عبد الله الذي خلف ولدا اسمه الشيخ محمد وكلاهما من أهل العلم .

المفتي الشيخ محمد شمس الدين ابو عبد الله الجعفري

ولد في نابلس سنة ٧٢٧ هـ ، وأخذ علومه عن عددٍ من علمائها ، ومنهم : الإمام شمس الدين أبي محمد عبد الله بن محمد ، والحافظ صلاح الدين العلائي ، والشيخ إبراهيم الزيتاوي ، والشيخ قطب الدين ابن المكرم ، والشيخ أمين الدين محمد بن عمر الحريري ، والشيخ محمد ابن غالب الماكسيني ، والشيخ محمد الخباز ، والشيخ عيسى بن طيحا ، والإمام صدر الدين أبي الفتح الميديمي ، والشيخة صفية بنت عبد الحلیم ، ووالدته الشیخة مريم وغيرهم من المشايخ المعتمدين . وحدث فسمع عليه الحافظ جمال الدين أبو الفرج شمس الدين بن قيم الجوزية وغيره ، وتصدر للافتاء والتدريس في نابلس ، وله مصنفات كثيرة منها تصحيح الخلاف المطلق في المقنع ، وشرح الوجيز ، وقطعة من تفسير القرآن ، ومختصر طبقات الحنابلة ، ومختصر طبقات العزلة لأبي سليمان الخطابي وقد لقبوه بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم ، لأن الجنة فيها ما تشتهي الأنفس ، وعنده ما يشتهي الطلاب ، وقد توفي في نابلس سنة ٧٩٧ هـ بعد أن اختلط عقله بسبب تسمم ولده القاضي الشيخ عبد القادر المار الذكر .

قاضي القضاة الشيخ محمد بدر الدين الجعفري

باشر القضاء في نابلس سنة ٨٤٠ هـ ، وأضيف إليه قضاء القدس والرملة ، ثم عين قاضي قضاة الديار المصرية ، وظل كذلك الى أن توفي في الإسكندرية سنة ٨٨٩ هـ .

الشيخ مرعي الكرمي⁴¹

أخذ علومه عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن القاضي الشيخ يحيى الحجاوي ، ثم ذهب الى مصر وأتم تحصيله ، فنبتغ وأصبح من أكابر علماء المذهب الحنبلي ، وقد ألف وشرح كتباً عديدة نيفت على الستين .

شيخ الحنابلة الشيخ موسى الحجاوي

هو ابن أحمد بن موسى بن سالم الحجاوي صاحب الإقناع أشهر كتب الحنابلة ولذلك لقب بشيخ الحنابلة . وقد شرح منظومة الاداب التي نظمها الشيخ عبد القوي المرداوي ، وقد عدّ الشيخ محمد السفاريني الكبير شرحه لها بعد الشيخ موسى فضولاً وقد عدّه خاتمة المحققين وقد أفاد الشيخ موسى وأخذ عنه كثيرون الى أن مات في دمشق سنة ٧٦٩



جامع قرية حجة وقد بناه أحد سلاطين المماليك باسم وإشراف الشيخ محمد الحجاوي جد آل الحجاوي بنابلس لفتوى أفتاها الشيخ فسر منها الملك

⁴¹ نسبة الى قرية طول الكرم لتي أصبحت عاصمة بني صعب اليوم و صارت تأتي بعد نابلس بالانتساع .

المفتي الشيخ ياسين اللبدي⁴²

تعلم في مصر وعاد الى الإفتاء في جبل نابلس ، وظلّ كذلك الى أن توفي سنة ١٠٥٨ .

أسماء بعض العلماء ومراكزهم

لقد عني الحنابلة بتراجم علمائهم فكان أكثر من ترجم منهم ، وقد حصلت على أسماء بعض العلماء مع بعض أحوالهم ، فرأيت من المناسب ذكرهم وهم :

- ١ - الشيخ اسكندر بن إسماعيل قاضي نابلس سنة ٩٨٨ هـ .
- ٢ - شيخ القراء شهاب الدين بن السلعوس الذي مات سنة ٦٩٧ هـ بدمشق ، ومنه آل السلعوس في نابلس والخليل ، وهو حفيد الرجل الذي تخلف من بني السلعوس حينما طلبهم الى مصر الملك الأشرف قلاوون وقتلهم مع كبيرهم الوزير شمس الدين ابن السلعوس .
- ٣ - الشيخ شهاب الدين الشنتير الذي صار إماما للصخرة الشريفة في القدس بعد وفاة الإمام شهاب الدين أحمد بن حافظ سنة ٨٧٦ هـ .
- ٤ - الشيخ محب الدين الجعفري قاضي نابلس سنة ٩٣٣ هـ .
- ٥ - الشيخ محمد سعدي قاضي نابلس سنة ٩٧٦ هـ .
- ٦ - الشيخ محمد الشنتير الذي كان إماما للمسجد الاقصى ثم صار إماما لسبباني كافل دمشق الى أن توفي سنة ٩١٩ هـ .
- ٧) قاضي القضاة الشيخ شمس الدين محمد بن يونس الشافعي⁴³ الذي كان قاضيا للقدس ونابلس والرملة سنة ٧٧٩ هـ .

⁴² نسبة الى كفر اللبد من قرى وادي الشعير الغربي بجبل نابلس
⁴³ كانوا يعرفون باليونسيين وهم اليوم يعرفون بقناديلو ، وقد تفرع منهم آل كتانة والفرع الثاني يعرف بالشافعي نسبة للقاضي الشافعي المذكور . وتوجد اسرتان في نابلس تعرفان بيونس لم أتأكد تفرعها منها .

الفصل الرابع

الأمراء الوطنيون

أحزاب العالم العربي القديمة

ينسب العرب الى أصلين كبيرين وهما : الأصل القحطاني وموطنه اليمن ولذلك عرفت قبائله بالقبائل اليمنية ، وقد تفرقوا بعد تصدع السد في جزيرة العرب كلها. والأصل الثاني العدناني الذي ظهر وتوطن في الحجاز ومنها تفرق في جزيرة العرب . وكانت القبائل اليمنية تحكم العدنانية فنارت عليها قبل الإسلام ، وخلعت نيرها بعد حروب طويلة ، كانت بدء الحروب بين الشعبيين .

القيس واليمن في سوريا

بعد الفتح الإسلامي نزلت في سوريا قبائل متعددة من القحطانية والعدنانية ، ولما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما انتصر اليمنيون القحطانيون لعلي ، وانتصر المضربون أي العدنانيون لمعاوية ولما وقع الخلاف بين الامويين أنفسهم انتصر بنو كلب اليمنيون لفريق ، وانتصرت قبيلة قيس المضربية لفريق آخر ، فعرف الحزبان بالقيس واليمن وكذلك حصل في جميع الأقطار العربية المفتوحة لاسيما سوريا والأندلس وقد ظل هذا الانقسام سائداً مرعياً في سوريا الى عهد قريب .

وكانت جمهرة القبائل العدنانية في الشمال ، فأستت الدولة الحمدانية التغلبية التي جعلت مركزها حلب وامتدت الى ديار بكر والموصل كما مر ، وقد انضمت اليها بكر رغم ما كان بينها وبين تغلب .

وكانت جمهرة القبائل اليمنية في الوسط والجنوب ، فما زالت تشن على الدولة الحمدانية الغارة الى أن قضت عليها بقيادة الأمير صالح بن مرداس الكلابي ، فاشتد العداء بين الحزبين في الحروب الصليبية وما بعدها .

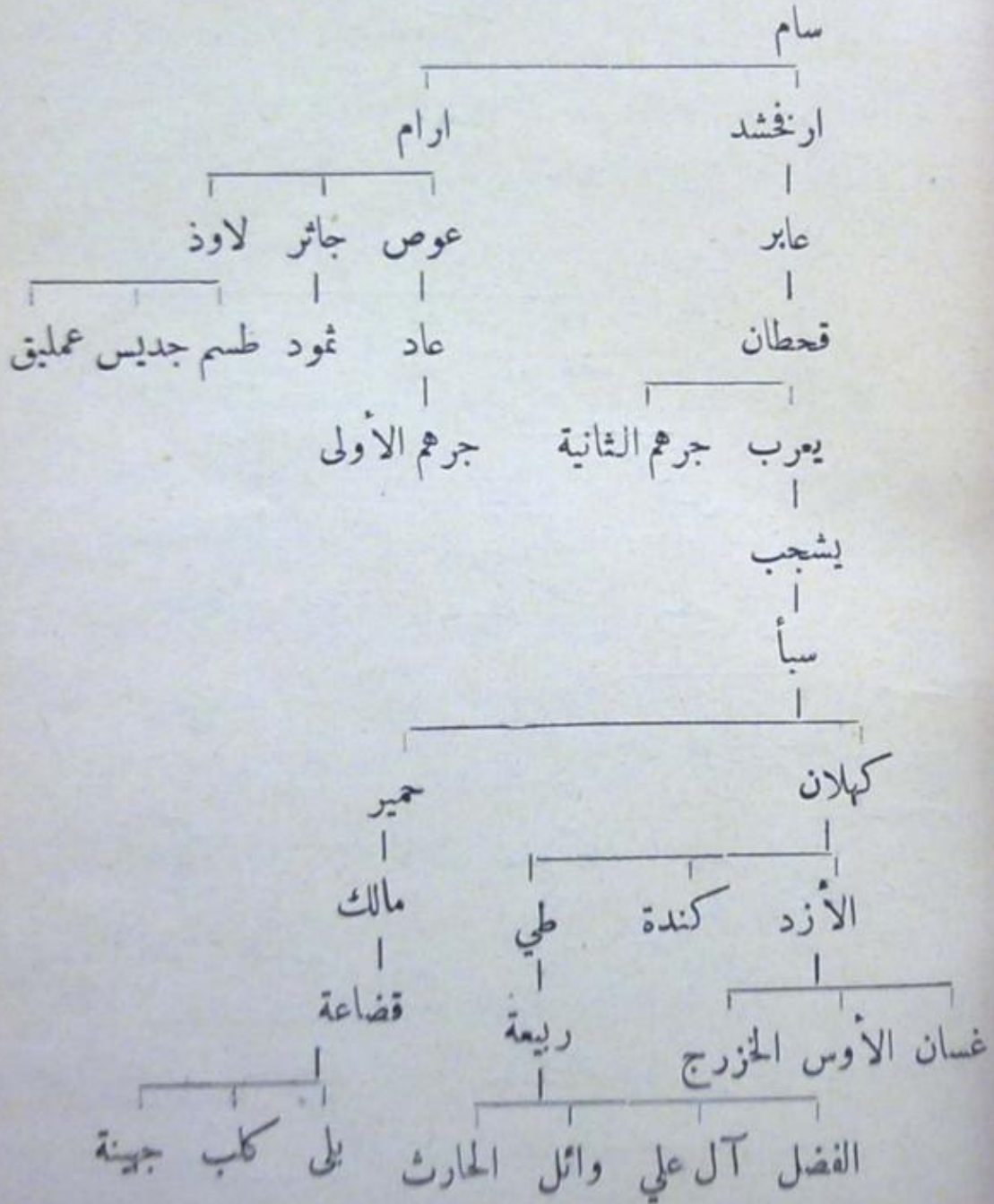
القيس واليمن في جبل نابلس

كان العمالقة⁴⁴ أول من دخل جبل نابلس من العرب ، وقد أتى بهم سرجون الثاني الأشوري ، وفي العهد الروماني دخلت جبل نابلس قبائل عربية من اليمنيين منها لحم ، وجذام ، وغسان فابتلعت العمالقة .

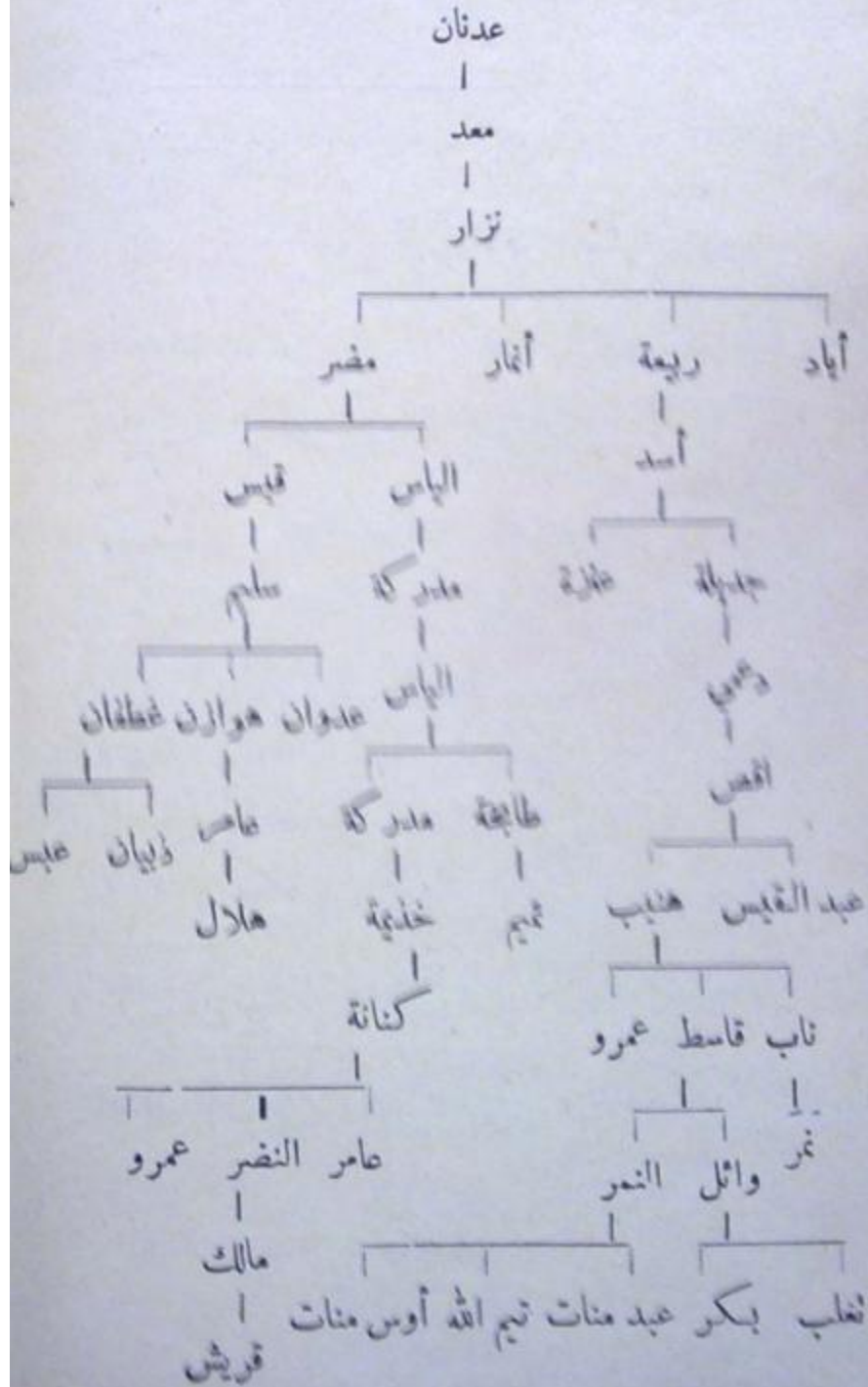
ولما دخل المسلمون كانوا خليطاً من اليمنيين والمضربين ، ولما وقعت الفتنة في العهد الأموي انقسموا الى قيس ويمن كغيرهم .

⁴⁴ هم من العرب السائدة

تسلسل القبائل القحطانية



تسلسل القبائل العدنانية



وادي نابلس فاصل بين القيس واليمن

واستمرّ النزاع بين القيسيين واليمنيين الى أن أتى الصليبيون فأجلوهم . وبعد خروج الصليبيين واستقرار الاحوال نزلت في جبل نابلس عشائر وبطون من قبيله قيس ومن ينتمي إليها ، ومثلها من قبيلة طي وبقايا اليمنيين ، ولما جاء الملك الناصر بن قلاوون وقسم الأراضي أقطع القسم الشمالي لليمنيين والقسم الجنوبي للقيسيين ، وجعل وادي نابلس فاصلاً بينهما .

الامراء والشيوخ

كان أمراء القيس في جبل نابلس يعرفون ببني اسماعيل ، وقد سكنوا نابلس في الجهة القديمة بين حي الياسمين⁴⁵ والقريون، وكان شيوخهم يعرفون بأل عبد القادر وقد سكنوا في قرية جماعين⁴⁶ وبيتنا ، و كان شيوخ المغاريب⁴⁷ يعرفون بالجبابسة، واصلهم من قواد الأجناد المصريين ، وحيث جعلت بني صعب مقراً لجيوش المماليك فقد سميت مقرّ القيادة بجيوش ثم حرفت الى جيوس ، وسمي صاحبها بالجيوش أي صاحب الجيوش، ثم حرفت الى الجيوسى، وهكذا عرفوا ولا يزالون ، وهذه أرجح وأصح الروايات ، وكان أمراء اليمن يعرفون ببني بكر شيوخ عشيرة وائل من رببعة طي ، وكانوا ينزلون في سهول بيسان ، وكان يشاركهم في الإمارة أيضاً الحارثيون الطائيون الذين عرفوا بأل طرباي ، والذين جعلوا مركزهم في مدينة جينين ، ثم امتد نفوذهم في جبل نابلس جميعه .

رد عساكر تيمورلنك

كان أول ما لفت نظر الناس لجبل نابلس كسر عساكر تيمورلنك في أوديته إذ في سنة ٨٠٣ هـ هاجم فريق من عساكر تيمورلنك جبل نابلس فحاصروهم النابلسيون في واد ضيق بين جبلين وقتلوا منهم عدداً كبيراً بالنشاب والحجارة فولوا مدبرين ، ومن ذلك الحين أصبح جبل نابلس ملجأ للفارين من وجه المغول ، وأصبح مقراً لجيوش المماليك ، وأصبح القواد والسلطين يعولون على جموع جبل نابلس كلما احتاجوا إليها.

⁴⁵ هي الدار المجاورة لدار الشيخ شحاده الخماش من الشمال والمعروفة بدار أبي الحمام على الراجح
⁴⁶ وكانوا يعرفون بالقادرية ثم ظهر بعدهم العموم، وكان لهم قصر في حي القيسارية بنابلس استولى عليه آل نقلى ثم المصري ، وقد هدم مؤخرًا
⁴⁷ يسمى القسم الساحلي أبي الغربي من جبل نابلس بالمغاريب ، وهو يقسم الى بني صعب والرمل ، والشعراوية الغربية

الفتنة الكبرى

سبق أمراء وشيوخ القيس في جبل نابلس أمراء اليمن بالسيادة والنفوذ والاتصال بالدولة ؛ وهم الذين كان عليهم المعول وإليهم أسند الحكم ، وظلوا كذلك الى أواخر القرن التاسع الهجري . وفى هذه الأثناء نهض اليمنيون وحسدوهم وصمموا على شل حركتهم . وفي سنة 891 هـ وقع الخلاف بين المماليك والسلطان بايزيد العثماني واحتاج المماليك الى نجدة جبل نابلس كعادتهم ، فأعطوا المال والعتاد اللازم لأمراء وشيوخ القيس إلا أن أمراء اليمن شلوا حركتهم وعرفلوا مساعيهم ، وأوقعوا سوء التفاهم بينهم وبين الأمير أقبردي الايتالي أحد أمراء المماليك الذي حاربهم فقتل . فوقعبت بسببه فتنة شعواء بين القيس واليمن في جبل نابلس جميعه قتل فيها عدد كبير من شيوخ وأمراء الفريقين منهم : الأمير أبو بكر الطائي أمير اليمنيين وأمراء من آل إسماعيل وآل عبد القادر والشيخ يوسف الجيوسي أمراء القيس .

اضمحلال زعامة القيس

لما بلغ الدولة خبر مقتل الأمير اقبردي الايتالي ، أرسلت جيشًا بقيادة الأمير اقبردي الداودار⁴⁸ الكبير فقبض على باقي أمراء وشيوخ القيس وأخذهم معه الى مصر مكبلين بالحديد ، فبعضهم قتل وبعضهم سجن ، وقد نكل بمن يلوذ بهم ، ولم تقم لاهالي القسم الجنوبي بعد ذلك قائمة واضمحل القيسيون ونزح كثيرون منهم الى جبل الخليل وجبل القدس واضمحلّت أسر الامارة والمشیخة وتولى الحكم في نابلس حكام غرباء مدة قرن ونصف الى أن نزلت الإمامية من بني النمر بحملتهم الكبرى في الجنوب كما سيظهر في الباب الاتي .

سيادة أمراء اليمن

أما القسم الشمالي الذي عرف بلواء⁴⁹ اللجون فقد ساد فيه الأمراء الطائيون ، لا سيما شيوخ عشيرة وائل . فلما فتح السلطان سليم العثماني سوريا سنة ٩٢٣ هـ سلم الراية للأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل الذي كان في ذلك الوقت أقوى أمراء سوريا الجنوبية كلها . وبعد موته ظهر آل طرباي الأمراء الحارثيون الذين قضوا مدة قرن كامل بحرب مع ولاية دمشق وأمراء لبنان وعجلون وحوران .

الثورة على الغزالي وأياس

بدأ الأمير جانبردي الغزالي التمهيد للعصيان بتولية حكام من قبله ، ولما حاول نزع حكم لواء اللجون من آل طرباي ، ثاروا عليه فحاربهم وقتل أربعة منهم ، كان فيهم الأمير قراجا بن طرباي أميرهم الكبير وقطع رؤوسهم وأرسلها الى السلطان سليم ولما عين أياس باشا على إيالة الشام سنة ٩٢٧ هـ بعد الغزالي ، كان الحارثيون لا يزالون متمردين ، فخرج إليهم بجيشه وعرب الشام ، واستمات الحارثيون فكسروا جيشه وجرح هو نفسه وارتدّ الى دمشق ، بعد أن قتل

⁴⁸ الداودار الكبير هو قائد المؤخرة في دولة المماليك ، والبيشداد قائد الطليعة
⁴⁹ نسبة الى وادي اللجون بين جينين وحيفا ، وكلمة لجون رومانية معناها : الكتيبة

من جيشه ومن عرب الشام خلق كثير . وفي سنة ٩٣٠ هـ ثارت مدينة نابلس ثورة عنيفة وأحرقت دار حاكمها سليمان بك قراجا⁵⁰ الذي نجا بنفسه بصعوبة .

آخرة آل طرباي

وقع العداء بين جبل نابلس وعرب الشام في حوران وعجلون ولبنان واستمر التمرد الى أن غيرت الدولة الولاية وعينت على ايالة الشام ولاية وطنيين منهم : نصوح باشا النمر ، ويوسف باشا سيفا ، وحسين باشا النمر فتفاهموا وأصلحوا ما بين الفريقين ، واعتمدوا على آل طرباي في مقاومة المعنيين ، فما زالوا في نزاع معهم الى أن غلبوا على أمرهم ، فنزلوا هم وعربانهم في سهول الرملة ثم عادوا فنزل عربانهم في وادي الحوارث⁵¹ وعادوا هم الى جينين ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر ، فلما مر الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١١٠١ هـ عن جينين في رحلته الى القدس زارهم فكتب في رحلته « وزرنا مدافن الأمراء بيت طرباي الذين كانت بلدة جينين في أيديهم سابقا ، واجتمعنا بمن بقي من أمرائهم هناك ، وقد صاروا مغارب للامارة بعد أن كانوا لها مشارق » وهذا آخر ما عرف عن آل طرباي ، وقد ساد بعدهم المهاميط ، والنزالية ، ثم آل جرار ، ولم تقم بعد آل طرباي لليمن قائمة الى أن ظهر آل طوقان

الفصل الخامس

الحكام الغرباء

الاضطراب والاضمحلال

فقدت نابلس أمراءها الوطنيين فأصبح حكمها يعطى لحكام غرباء لا يهتمهم من أمرها إلا الحصول على الأموال ، وكانوا يبدلون ويغيرون باستمرار ويستبدون بالأهالي ويعاملونهم بمنتهى القسوة بواسطة جنودهم من المماليك والانكشارية فحكمها حكام كثيرون منهم : آل نُقلى⁵² وقرقماز بن فريخ الظالم ، والحكام المعنيون ، وكانت الثورات فيها لا تنقطع ، فكثر اللصوص والأشقياء ، واضمحلّت النهضة العلمية وتأخرت التجارة والصناعة ، وتخربت المزارع والقرى ، وتوالى الجذب والأوبئة فأفقرت نصف القرى والضياع من السكان . إلا أنها تمتعت بفترة من الأمن والاستقرار حينما جعلت مركزا لامارة الركب الشامي في عهد الفقارين .

⁵⁰ ثم عاد بعد ذلك بقوة من الانكشارية فحكم ، وعرفت ذريته فيما بعد بأل سليم وصفو ولا يزالون

⁵¹ هو بقعة في سهول بني صعب سميت بوادي الحوارث نسبة إليهم

⁵² لم أعرف أصل آل نُقلا والراجح أنهم مماليك أو أتراك قصورهم في حي القيسارية والحبلية ، اشتراها آل النمر كما

سيئبين .

امارة ركب الحج

كان الخلفاء يكسون الكعبة المطهرة كلما احتاجت ، فيأخذون الكسوة معهم أو يرسلونها مع أحد أبنائهم أو وزرائهم ، وكانوا يرسلون الصدقات لفقراء مكة والمدينة من وقت لآخر بدون حراس . ولما ظهر القرامطة في عهد الفاطميين واختل الأمن في الحجاز ، صارت الكسوة والصدقات ترسل محروسة بقوة من الجند ، وصار الحجاج ينتظرون خروج الكسوة فيخرجون معها ، فسمي هذا الموكب بالركب وقد عين له أمير خاص وأصبحت الكسوة ترسل سنويًا ، وكذلك الصدقات ، وقد صار تنظيم الركب .

وقد خصص السلطان قلاون أحد سلاطين المماليك الأتراك الصدقات الكثيرة والهبات الوافرة لأمرء البدو كي يحافظوا على الحجاج ، فكانت هذه السنة سببًا في تمرد البدو الدائم ووقوفهم في سبيل الحجاج الى أن يأخذوا الهبات . وكان الأفضل من هذا تأديبهم كلما عصوا وتمردوا .

ولما ظهر سلاطين آل عثمان خصص سلطانهم الخامس السلطان محمد شلبي أربعة آلاف ذهبة لتوزع على فقراء الحجاز . ولما استولي السلطان سليم على سوريا ومصر نظم ركبًا ثانيًا عرف بالركب الشامي ، وعرف الأول بالركب المصري ، وصار الركب الشامي يخرج ومعه حجاج الشمال فيلتقي بالركب المصري ويسير الاثنان معًا .

وقد خصص السلطان سليم الأول ست ذهبات لكل شيخ من شيوخ عشائر الحجاز ولكل بدوي ذهبة ، ولكل شريف من الاشراف خمسمائة ذهبة ، وخصص خمسة آلاف ذهبة لفقراء مكة المكرمة ، وألفي ذهبة لفقراء المدينة المنورة ، وقمًا وأرزا تقدر قيمته بمائتي ألف ذهبة توزع على الفقراء والبدو ، وصار الركبان يلتقيان على برك الخليل ويسيران من هناك عن طريق واد اتصلت الى الكرك ومعان وتبوك والعلاء الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة ، وكذلك في العودة .

ولما استمرت الفتن في مصر والشام .وتولى أمانة الركب المصري الأمير رضوان الفقاري خرج من مصر وجعل مركزه غزة ، ثم تولى امانة الركب الشامي أخوه الأمير بهرام الفقاري بعد ابن فريخ فجعل مركزه نابلس وتولاه بعد موته مملوكه الأمير فروخ ، فدام حكم الفقاريين نحو نصف قرن .

آل فروخ

الأمير فروخ هو ابن عبد الله الشركسي ومملوك الأمير بهرام الفقاري تولى امانة الركب الشامي في أول القرن الحادي عشر وضم إليه حكم نابلس والقدس ، وقد جعل مركزه نابلس ، فبنى وكالة الفروخية غرب خان التجار ليسكن فيها رجال الركب الشامي وأصلح أحوال جبل نابلس بقدر الاستطاعة وقد دام أميراً للركب الشامي الى سنة ١٠٣٠ هـ ، وفي هذه السنة مات في مكة المكرمة .



وكالة الفروخية من الداخل وقد كانت مقراً لركب الحج الشامي في عهد آل فروخ امراء الحج

وكان الأمير فروخ في السنة التي مات فيها مختلفاً مع ابنه الامير محمد ، فوكل مكانه على نابلس مملوكه يوسف ، ولما علم الامير محمد بموت ابيه وثب على مملوكه ⁵³يوسف فقتله ، وتولى الحكم مكان ابيه، وحصل على مرسوم بامارة الركب الشامي بمساعدة الصدر الأعظم حسين باشا صديق أبيه .

قد اظهر بعد ذلك قوة وسطوة فهابه العربان حتى كانوا يخوفون به بعضهم ، فإذا قيل للواحد منهم جاء ابن فروخ اصطكت ركبته من الفزع ، وقد اشترك الأمير محمد فروخ برد الامير فخر الدين المعني عن جبل نابلس مرتين .

ولما ضم السلطان مراد الرابع حكم نابلس للأمير فخر الدين المعني نقل الأمير محمد مركزه الى دمشق وبنى هناك داراً عرفت بدار فروخ وسمي بهذا الاسم من سكنوها بعدهم . وظل ابن فروخ في دمشق الى أن قتل الأمير فخر الدين المعني سنة ١٠٤٣ هـ فعاد لنابلس وظل فيها الى أن مات سنة ١٠٤٧ هـ عن ولدين قاصرين وهما الأمير علي الذي مات سنة ١٠٩٣ هـ، والأمير عساف الذي صار أميراً للركب الشامي سنة ١٠٦٨ هـ ، ثم نازعه عليها عبد الله باشا النمر وحسن باشا التركماني وولده موسى باشا ، فصار أميراً على لواء عجلون ، وبعد قتل محمد ⁵⁴باشا المذكور سنة ١٠٨١ هـ سافر الأمير عساف الى الاستانة ، للحصول على مرسوم بامارة الركب من السلطان فمات في قونية وبموته انتهى ⁵⁵بيت آل فروخ .

⁵³ وقد رماه من شبك ديوان سراية نابلس الى الشارع فقتل ، وتسنده هذه القصة بعض آل طوقان الى صالح باشا طوقان خطأ

⁵⁴ قتله حمد الرشيد أمير حوران وهو عائد من الحجاز

⁵⁵ قبور آل فروخ جوار السراية القديمة بنابلس استولي عليها آل طوقان فدفنوا فيها بعض أمرائهم .



منذنة الجامع الكبير الصلاحي بنابلس التي بناها مصطفى بك الفقاري

ال بهرام

بعد موت الأمير محمد فروخ تولى إمارة الركب الشامي سيده مصطفى بك ابن الأمير بهرام الفقاري وظلّ أميراً للركب الشامي الى أن توفي سنة ١٠٥١ هـ ، ومن آثاره في نابلس منذنة الجامع الكبير الصلاحي والمارستان المجاور للجامع المذكور الذي دفن خارجه بأمر عمه الامير رضوان⁵⁶المذكور

الاضطراب والفوضى

وبعد موت الأمير مصطفى تولى الحكم في نابلس ممالك الأمير رضوان فساءت الأحوال وهمّ الاضطراب حتى سنة ١٠٦٦ هـ التي مات فيها الأمير رضوان ، فثارت نابلس وطردت الممالك ، واضطربت سوريا الجنوبية كلها ، فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة وإيجاد إمارة مستقرة خرج بها عبد الله باشا النمر ، فوفق هو وأولاده الى إيجاد إمارة مستقرة دامت مدة قرن ونصف .

⁵⁶ هو جد رضوان في غزة .

الباب الثالث

عصر بني النمر

الفصل الأول

تاريخهم وفروعهم

قبيلة النمر

قبيلة النمر تنتمي الى أسد ربيعة⁵⁷ العدنانية انضمت الى تغلب في حروبها مع اليمانيين وانضوت تحت لوائها بعد ذلك تقيم حيث نقيم ووتظعن حينما تظعن ، ولما دخلت بكر الى الشمال ولحقها تغلب نزلت النمر بين القبيلتين ، وامتدت من الموصل الى بلاد الاناضول ، وفي الفتح الإسلامي استنجد المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين بأنس بن هلال النمري فأنجده بجموع كثيرة من تغلب والنمر وأباد ، فاشتركوا في واقعة البويب وتكريت والموصل . واشترك فريق منهم بقيادة صهيب النمر الملقب بالرومي في فتح الشام وقد مات هناك ودفن في الميدان الاوسط بدمشق .

ولما أسس الحمدانيون التغلبيون دولتهم في الموصل وطلب اشتركت معهم النمر الى أن دالت هذه الدولة وقد نزحت في الحروب الصليبية الى الجنوب فنزل امرؤها في بادية مهلين وامتد باقيها حتى حوران⁵⁸ وتعد قبيلة النمر من القبائل العربية العريقة ، فقد صاهرهم الملك قيس بن زهير العبسي حينما تخلف فيهم بعد واقعة حفر الهبابة ، وولد له ولد سماه فضالة ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له على من معه من قومه .. وتزوج من النمر عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم فولد له من النمريّة سيدنا العباس وأخوه ضرار . ومن النمر سيدنا صهيب الصحابي المشهور الملقب بالرومي لنشأته في بلاد الروم . ومنها الحارث ابن حصير أحد رواة الحديث . ومنها زيد بن الكيس النسابة المشهور ومنها ابن القرية المشهور بالبلاغة معاصر الحجاج .

⁵⁷ راجع تسلسل القبائل العدنانية

⁵⁸ ورد في آخر مقدمة ابن خلدون قطعة من الشعر لامرأة من العمر تستنجد القيس في حوران بعد أن قتل زوجها .

مكانة بني النمر في الشام

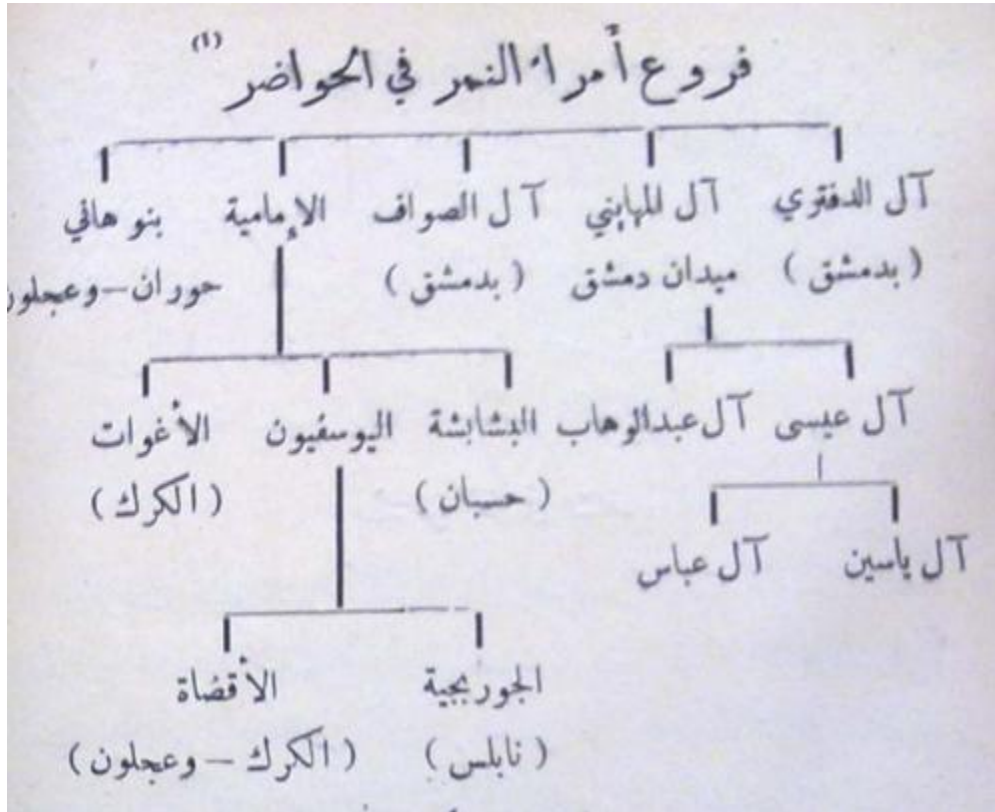
تفرعت قبيلة النمر كغيرها الى بطون و عمارات ، منها : سعد ، والجراح ، وعبد منات ، وأوس منات ، وتيم الله ؛ ولم يحافظ على اسم القبيلة إلا امراؤها الذين كان لهم حصن على حدود الأتراك كان يسمى بحصن نمران⁵⁹ أي حصن النمر ، وفي الحروب الصليبية نزلوا في بادية مهين ، وامتدت القبيلة بعد ذلك من حدود الاناضول الى حوران .

ولمجاورتهم للتركمان في الشمال واتصالهم بهم اتفقوا معهم وأصبحوا قادة الحركة ضد المماليك في بلاد الشام ، ثم اتفقوا مع السلطان سليم فدخلوا دمشق وأصبحوا أمراء و عماد الدولة في سورية ، فدخلوا جيشها وتقدموا في مناصبها الى أن بلغ أحدهم منصب الصدارة العظمى كما مرّ .

وظلّ أمرهم في بلاد الشام سائراً على هذا المنوال الى آخر عهد الاقطاع . وقد ساروا مع الدولة العثمانية بإخلاص تام الى آخر عهدها وحكموا بقاعاً عديدة وتفرعوا الى بضع أسر سميت بألقابها .

⁵⁹ هكذا يسمى بلغة الأكراد والتركمان ، لأن الألف والنون تقوم مقام آل في تلك اللغات الشرقية

فروع أمراء النمر في الحواضر⁶⁰



أنسابهم وألقابهم

بعد خروج أمراء النمر من مهالين صاروا يعرفون بالمهالينية ، ولا يزال فريق منهم يعرف بهذا الاسم ، وفريق عرف بالصواف لاتجارهم بالصوف ، وعرف فريق بالدفتري لأن جدهم كان دفتردار دمشق ، وهذا الفرع قد انقرض ، وفريق عرفوا ببني هاني نسبة لجدهم هاني بك كما مرّ ، وفريق عرفوا بالإمامية لحرصهم طريق الحاج ، وقد تفرع هؤلاء الى عدة فروع وهم : الأغوات في الكرك الذين نسبوا لأبائهم ، والبشابشة الذين نسبوا لأبيهم عبد الله باشا، وقد

⁶⁰ الحواضر جمع حاضرة وهي المدينة ويقال لسكانها حضر

تولوا حراسة قلعة حسان ، وفريق عرفوا بالاقضاة نسبة لجدهم القاضي الشيخ عمر ، والذين في نابلس عرفوا باليوسفيين نسبة لجدهم الأول الامير يوسف ، وبالجرجية كما عرفوا في دمشق ، وقد لقبوا بالأغوات أيضا .

وقد عادوا للانتساب الى نسب القبيلة القديم ، إلا أنهم اضطربوا بين ألقابهم وأنسابهم فكان بعضهم ينسب للجورجي وآخر لليوسفي وثالث للنمر مع الاحتفاظ بلقب آغا ، وقد لقب بعضهم بك ، ثم اقتصروا على لقب آغا ، ونسب النمر وهو الغالب والأصح .

الفصل الثاني

حملة الامامية للجنوب

سببها وخروجها

حكم المماليك الفقاريون الجنوب وأمنوا طريق الحج والركبين المصري والشامي نصف قرن كامل ، وحينما كانت سوريا الوسطى تضطرب كانت سوريا الجنوبية آمنة مستقرة ، ثم مات الامراء الفقاريون الواحد تلو الآخر ، فصارت الفوضى تزداد يوما فيوما الى أن مات الأمير رضوان فعم الاضطراب ، وطرد جميع المماليك الفقاريين من جبل نابلس فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة لإقرار الحالة في جنوب سوريا وتأمين طريق الحج ، فخرج بالحملة أمير عساكر الشام عبد الله باشا النمر عن طريق حوران والجولان وعجلون ، ودخلت جبل نابلس عن طريق بيسان وذلك في آخر سنة ١٠٦٦ .

عبد الله باشا النمر

كانت فرقة اليرلية⁶¹ في دمشق تتكون من كتائب أربع: الأولى من العرب وأمرؤها من النمر المهانيين، والثانية من التركمان وأمرؤها من ذرية غازي⁶² باشا شمسوار ، والثالثة من الأكراد وأمرؤها من آل بيرم ، والرابعة من المماليك وأمرؤها من المماليك الفقاريين ، وكان أمراء بني النمر يفوقونهم جميعا لأنهم فوق هذا أمراء عرب الشام في الغوطة وعجلون وحوران . وفي الوقت الذي صدرت فيه الإرادة السلطانية بخروج الحملة كان عبد الله باشا⁶³ النمر أميراً على عساكر الشام كلها وكان أولاده علي آغا ويوسف آغا وعثمان آغا ضباطا للكتبة اليرلية العرب فيها وكل منهم برتبة جورجي ، وكانوا من أنصار السنة والعلم فاعتنموا هذه الفرصة للاستيلاء على الجنوب ، ولأنهم عمروا المساجد والقلاع ، وأحيوا العلم والسنة ، وأمنوا طريق الحج ، فقد عرفوا بالإمامية ، وبهذا عرفت حملتهم وعساكرهم .

61 اليرلية أي الوطنيين

62 من ذرية شمسوار المار الذكر صار واليا على دمشق فسكن فيها ، وواشغلت ذريته بالعلم والجنديّة

63 وهو ابن حسين باشا النمر أحد ولادة الشام اشتهر بالاغا الجرجي كأسرته وقد نال لقب باشا مؤخرا أي بعد الحملة ، وإنما اختير للحملة لمكانته الشعبية أكثر من رتبته الحكومية .

جموع الحمد

تكوّنت الحملة من فصيلة من اليرلية العرب بقيادة يوسف آغا. وعثمان آغا ولدي عبد الله باشا أمير الحملة ، وفصيلة من اليرلية الاكراد بقيادة أحمد آغا بيرم ، وفصيلة من التركمان بقيادة مصطفى بك شهبسوار ، وفصيلة من الأنكشارية بقيادة جعفر بك الانكشاري ، وفصيلة من التركمان بقيادة الأمير عساف فروخ .

وانضمت الى الحملة جموع من عرب الغوطة وبادية الشام بقيادة علي آغا ابن عبد الله باشا المذكور ، ومن عرب عجلون وحوران بقيادة أبناء هاني بك المهاني ، ومن عرب الجولان بقيادة الحاج محمود طوقان ، ومعهم أحلافهم من العيطة⁶⁴ والبشاتوة⁶⁵ وانضم إليهم من عرب الغور العبيدات الجراحيون⁶⁶ وكان مع الحملة فرحان بك دروزة الذي يقال انه من الفريجات في جبل عجلون .

خطة عبد الله باشا وأعماله

خولت الدولة عبد الله باشا وأولاده سلطة مطلقة لوجودوا استقرارا في الجنوب إلا أن عبد الله باشا رأى وجوب استعمال الحكمة ، فاتفق مع أولاده على تجنب الصدام والعمل للاستقلال بامارة البلاد والتخلص من الفصائل المتمردة واستمالة الأهالي بالعدل والإنصاف . فلم يبحث عن مسيبي الفوضى والاضطراب لأن الغرض منها كان للتخلص من حكم المماليك الفقاريين ، فشكل حكومة إدارية في نابلس برئاسة ولده علي آغا، وشكل مجلس الشريع الشريف برئاسة القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، ثم شكل حكومة في القدس وشكل كتائب عسكرية يرلية ولاها لولديه يوسف آغا وعثمان آغا، ثم ترك جبل نابلس للوالي الجديد علي باشا كيوان ولأولاده ، وخرج ببعض الفصائل التي انضمت إليها جرود من جبل نابلس ونزل في البلقاء ، فبنى قلعة وشكل حكومة ، ثم رحل الى الكرك ، فصاهر العمرو⁶⁷ وعهد إليهم بحراسة طرق الحج ثم رحل الى معان ونزل فيها ، وبنى معان الجديدة وبنى القلاع ومنازل الحج حتى تبوك ، وأمن بذلك طريق الحج من دمشق الى العلاء فصار يسير بأمان . وقد اشتهر هو ورجاله بين البدو بالإمامية ، وظلت الأحوال سائرة على غاية ما يرام الى حوالي سنة ١٠٨٠ هـ التي مات فيها، فاضطربت الأحوال بعده في المناطق الشرقية ، فخرج إليها ولده الأمير يوسف بحملة ثانية فبدأها كما سينتبهن .

⁶⁴ العيطة منهم : الصدر والسخن والقصص وأبو شامة في نابلس ، وهم طائفيون .
⁶⁵ منهم آل البشتاوي وآل النابلسي في نابلس ، وقد سميت الاسرة لأخيرة بالنابلسي لنزول جدها الى مكة فاشتهر هناك بالنابلسي ، ولما عاد ولده أو حفيده لنابلس عرف بالنابلسي المكي ، فأنكره أبناء عمه ليغصبوا أملاكه
⁶⁶ ومنهم آل الخماش وأبو الهدى والجوهري الآتي الكلام عليهم .

⁶⁷ هم أقوى عشائر الكرك إذ ذاك ، وهم من عمرو مضر أو ربيعة اعتمد عليهم لكرتهم وقوتهم كما سينتبهن

الفصل الثالث

استقلال الامامية بالامارة

الخطة الحكيمة

لم يرد عبد الله باشا وأولاده سلوك طرق العنف للتخلص من عناصر التمرد لاسيما الانكشارية ، فأخذوا يتحينون الفرص للتخلص منهم . وكانوا في نفس الوقت يعملون لاستمالة أهالي البلاد والتخفيف عنهم .

تخفيف الضرائب

تحرى علي آغا النمر متسلم نابلس الخانات ، فأثبت بتقرير رسمي لدى الحاكم⁶⁸ الشرعي أن خمسا وثمانين خانة قد تخربت وتركها أهلها نظراً لما حلّ بهم من الدمار في المدة الماضية ، وكان عدد الخانات كلها مائة وستاً وثمانين خانة ، وكان ذلك بمناسبة طلب مشير الشام قرشين عن كل خانة ؛وجب أمر سلطاني . وبناء على تقرير علي آغا المصدق من الحاكم الشرعي ، أبقى جبل نابلس من نصف الضرائب والأموال الأميرية المعتادة ، وذلك سنة ١٠٦٨ هـ

احراج الانكشارية

ازداد أهالي البلاد تمسكا بالإمامية ، فشجعهم ذلك على التعهد بحراسة البلاد وحكمها بلا أنكشارية ولا مماليك ، فصدرت الأوامر لهم بالرجوع الى الشام ، ثم تلاهم الاكراذ ، ولم يبق في البلاد إلا فصائل اليرلية من العرب والتركمان ، وكان هؤلاء متعربين وقد اختاروا سكنى السهول ، وبذلك تمكن بنو النمر من توطيد إمارتهم دون منافسة . وفي أوائل القرن الثاني عشر تمرد تركمان المرج ، فأبعدوا أيضاً كما سيأتي .

خروج امارة الركب الشامى والمماليك

بعد استقرار الحملة في جبل نابلس صار الأمير عساف فروخ أميراً للركب الشامى سنة ١٠٦٨ هـ إلا أن عبد الله باشا خشى من أن يكون وجود الأمير عساف سبباً في رجوع المماليك الفقاريين ، فعمل بالاتفاق مع حسن باشا التركمانى

⁶⁸ راجع فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني .

على نزع امارة الركب من الأمير عساف ، فتولاها حسن باشا الذي جعل مركزه دمشق ، ولأن الأمير عساف عين مير لواء على عجلون ، فقد خرج من نابلس⁶⁹ ، وبخروجه خرجت فصيلة المماليك وبعض الأكراد ، ثم خرجت باقي العناصر . فزاد ذلك أهالي البلاد اغتباطا إذ أصبحت البلاد كلها متفاهمة رغم وجود بعض أمراء من الأكراد والتركمان ، وقد تعاون الإمامية مع رؤساء وعشائر البلاد ، فأنهضوها وأصلحوها ، فدخلت في دور استقرار دام مدة قرن ونصف كانت فيهما من أسعد بلاد الدولة العثمانية⁷⁰

الفصل الرابع

رؤساء وعشائر العصر

«القضاة»

كان الشيخ عبد القادر العلمي⁷¹ أول قضاة عصر آل النمر في نابلس ، وقد ساعدهم على توطيد مركزهم ، وصاهر الأمير يوسف وعاضده ، وولاه خلافة الصوفية فأكسبه بذلك عطقاً شعبيًا كبيراً ، وكذلك حفيده الشيخ عمر الآتي ذكره . ثم ظهر القضاة التميميون⁷² في القرن الثاني عشر ، فوقفوا مواقف كانت من أهم الأسباب في القضاء على التمرد . وكانت لهم مواقف إباء مجيدة ، فقد بلغت بأحدهم الجرأة الى حد التمرد على السلطان كما سيظهر . وقد تلاهم قضاة من آل البسطامي والخالدي⁷³ والخماش كانت ظروفهم مضطربة .

⁶⁹ ولم يعد الركب الشامي الى جبل نابلس إلا مرة في أوائل القرن الثاني عشر الهجري حينما صار أميره الشريف يحيى باشا البركات من آل أبي نما أمراء مكة المكرمة ، ثم عين حاكماً على معرة النعمان فعاد الوكب الشامي الى دمشق ، و كان امراء آل العظم قد ظهوروا فاستقر الركب في دمشق .

⁷⁰ راجع الجزء الثاني

⁷¹ العلميون هم حسنيون من بلدة علم في بلاد المغرب وقد نزل جدهم الشيخ محمد العلمي في القدس في القرن العاشر الهجري فأحيا التصوف فيها ، وقد ظهر من ذريته علماء وقضاة أجلاء

⁷² هم من ذرية سيدنا تميم الداري الصحابي المشهور ، جاء جدهم الشيخ عبد الفتاح بن درويش التميمي قاضياً لنابلس فاستوطنها، ومن ذريته آل التميمي بنابلس ، وستأتي في تراجم قضاتهم في الجزء الثاني .

⁷³ نسبة لسيدنا خالد بن الوليد الخزومي رضي الله عنه ، سكنوا القدس ، وظهر منهم عدد كبير من القضاة الأجلاء بدرجة القاضي الكبير .

الأمراء الشافعيون

هم من ذرية القاضي جلال الدين يونس قاضي قضاة القدس والرملة ونابلس في عهد المماليك الشراكسة ، وأصله من مصر توالى من ذريته القضاة الشافعيون فعرفت ذريتهم بأل الشافعي ، وقد ظهر منهم في العهد العثماني أمراء فخام صاروا أمراء للركب المصري وحكاماً على لواء غزة بعد الأمير رضوان الى أن ظهر آل مكي . فظهر منهم : محمد باشا الشافعي ، وولده مصطفى باشا ، وابن أخيه حسين باشا ، وظهر منهم أيضاً بيكوات وجورجية كثيرون ، وقد ظلوا أمراء اقطاعيين الى أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، وكان آخر أمرائهم الرسميين صالح بك الشافعي ميرالاي كتيبة نابلس بعد اسماعيل آغا النمر ، وبعده اعتزلوا وعاشوا من اقطاعهم وأملاكهم وأوقفهم الكثيرة التي لا يزالون يملكون جانباً منها . وقد عاشوا مع أصهارهم آل النمر على تفاهم وونام تام .

بيكوات التركمان

قرب العثمانيون آل شهسوار ، ولوهم حكم الايالات في الروملي والأناضول والبلقان ، وقد عين أحدهم غازي باشا شهسوار والياً على ايةالة الشام ، فاستوطن دمشق ، واشتغلت ذريته بالعلم والجنديّة ، ولما خرج عبد الله باشا النمر بالحملة كان فيها كتيبة من التركمان بقيادة الميرالاي مصطفى بك شهسوار الذي ظلّ ميرالايّاً في نابلس واستوطنها ، فبنى قصرأ جوار قصر الأمير يوسف النمر ، وقد تولى بعده ولده خليل بك امارة ألاي نابلس ، وبعده انتقلت لآل النمر ، وظل أبناؤه وأحفاده زعماء اقطاعيين الى آخر عهد الاقطاع ، وكانوا من أخلص وأوفى الناس لآل النمر .

الاغوات التميميون

بعد الحرب الاهلية التي نشبت بين الصف النعيمي والصف الكردي في الخليل سنة ٨٧٨ هـ تفرق التميميون في جهات شتى منها الكرك ونابلس ودير نظام: وقد عرف الذين تولوا في نابلس بأل سلطان ولما شكل الامير يوسف النمر كتيبة نابلس اليرلية دخل فيها مصطفى سلطان التميمي وصار زعيماً بلقب اغا وجورججي وتوالى الزعماء من ذريته ثم نافسوا آل النمر وعاضدتهم بعض الاسر الخليلية فثاروا في أواسط القرن الثاني عشر مرتين جلوا في الاخيرة منها عن جبل نابلس كما سيأتي .

الاسر والعشائر الخليلية

بعد الحرب الاهلية في الخليل المار ذكرها توالى جلاء الاسر والعشائر الخليلية من الفريقين الى جبل نابلس ومنها :
التكروري ، والصاحب ، وكعكور ، والدودة ، وبعارة البقرة ، وسالم اليحي من التميميين ويلحق بهم من صفهم
الشتيوات ، وأبو الرووس ، وكلبونه والحامد⁷⁴، والزاعة ، والعانول . ومن الصف الكردي آل شاهين⁷⁵والخليلي⁷⁶،
وقادري عيناشي ، والمصري⁷⁷ ، وزكريا ، والسائح ، والرطروط⁷⁸ والقنصير ، والبحش⁷⁹ وعشيرة الدويكات⁸⁰.
وقد نزع عن بيت جبرين الحلواني وعايش والشريم وقد كان لهذه الاسر اثر في حوادث المدينة .

« شيوخ النواحي »

كان شيوخ نواحي جبل نابلس من بقايا عشائر العهد الماضي المتباغضين المتمردين ، ومنهم عشيرة المشاقي مشايخ
الجبل الشمالي ومركزهم ياصيد وعشيرة⁸¹الرشيدات شيوخ بلاد حارثه ومركزهم «صير» ، والمهاميط ومركزهم
جينين والعشيرة النزالية في القراوية الشرقية ومركزهم«عرابه»، والهناطشة في القراوية الغربية ومركزهم « شويكة
« ثم « قاقون » ، وعشيرة شبيطه في بني صعب ومركزهم في رأس العين ، وعشيرة العتوم⁸² في جماعين ومركزهم
عزون المعروفة اليوم بعزون ابن عتمه او عزون الخراب، وعشيرة بني شمسة في المشاريق ومركزهم بيتا والعطاعة
في وادي الشعير ومركزهم رامين . وقد ظلت هذه العشائر تنثور وتتمرد إلى أن قضت على بعضها وضعفت فحل محلها
غيرها كما سيأتي في الباب الرابع .

⁷⁴ الحامد والزاعة والعالول يرجعون الى أصل واحد

⁷⁵ آل شاهين ينسبهم البعض لبني مخزوم وقيل انهم اتو من الكرك

⁷⁶ هم من عشيرة الحمامرة

⁷⁷ وهم الذين تفرع منهم ياسين ورزق وزروق وسعادة

⁷⁸ وهم من حامولة الهنانية

⁷⁹ وهم من حامولة العويض في الخليل

⁸⁰ راجع عشائر جبل نابلس في الباب الرابع

⁸¹ وهم يمانيون من الضغيم الزبيدي من بقايا اليمنيين في جبل نابلس ومن اقدم عشائر الاقطاع

⁸² والراجع انهم من نسل آل عبد القادر المار ذكرهم .

الفصل الخامس

الأمير يوسف النمر

نشأته وثروته

الأمير يوسف هو ابن عبد الله باشا النمر المار الذكر ، وأمه بنت الصدر الاعظم نصوح باشا النمر المار الذكر ، وحفيده السلطان أحمد⁸³الأول ، علمه والده في دمشق ، ثم أدخله في جند اليرلية ، فصار بلوكباشيا⁸⁴ بلقب آغا ورتبة جورجي ، ثم صار ميرالياً بلقب بك ، فعرف بيوسف بك في أخريات حياته . وكان والده في أخريات حياته قد أشرك معه في حكم المناطق الشرقية ولديه علي آغا وعثمان آغا ، وترك جبل نابلس لولده الامير يوسف بك وحفيديه علي آغا وصالح آغا ، وكان الأمير يوسف أشجع اخوته وأكثرهم ثروة ، إذ ورث من أمه ثروة كبيرة ، كما ورث ثروة أخرى من زوجاته وإحداهن بنت الصدر الأعظم سياغوش باشا والأخرى بنت الأمير رضوان الفقاري ، والثالثة بنت القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، وبهذه



بوابة قصر الأمير يوسف النمر المعروف بدار الأغا الكبيرة

الثروة اشتغل بالتجارة ، وأسس الإمارة ، واشترى أملاكاً كثيرة من دور وبساتين وأراضٍ في نابلس وقراها ، وقد اشترى قرية بيت سلوم جوار عزون ابن عتمة .

⁸³ لان جدة آل النمر اليوسفيين حفيده السلطان أحمد ، فقد منعوا تزويج بناتهم من غير اسرهم ولا يزلون
⁸⁴ كانت هذه الرتبة كبيرة ذكرها المرادي

تأسيس الامارة

كان الأمير يوسف مصمما على سكنى نابلس ، فحالما نزلت الحملة واستقرت اشترى دارا حولها إلى قصر اقطاعي⁸⁵ جميل في الجهة الشمالية⁸⁶ الشرقية من مدينة نابلس أوفاه جميع ما يجب أن يكون فيه حسب طراز ذلك العهد من الدواوين والغرف والمقاصير ، فصار هذا. القصر قاعدة الحكم ومقر إمارة جبل نابلس مدة تزيد على القرنين .

وقد بنى الأمراء والضباط والزعماء والتجار دورهم في البقعة التي بنى فيها قصره ومنهم آل مرعي ، والاخرص ، والنابلسي ، وشهسوار ، وشاهين ، والمصري ، ومنكو ، والبابا ، وبعارة ، وأمين العرين ، وبكري ، والطوباسي ، والششتري وغيرهم من الاسر ، وقد نقل مجلس الشرع الشريف إلى هذا الحي أيضا . وقد انتشر البناء في هذه البقعة ووسع السور⁸⁷ وزيدت البوابات .

وكان الأمير يوسف فوق هذا عالما ، فبعد اتصاله بصهره الشيخ عبد القادر العلمي أخذ عنه طريقة التصوف فأحبه الشعب وصار أميراً عسكرياً ورئيساً روحياً . وكان محبا لل عمران والتقدم والنهوض ، ففي الوقت الذي كان يعمل فيه لتأسيس الإمارة ، كان يبذر بذور النهضة العامة ، ويخطط خطط العمران ، فهو مؤسس إمارة بني النمر ومنهض جبل نابلس ، على أن أعماله لم تقتصر على جبل نابلس اذ ان موت أبيه وثورة الكرك والبقاء واضطراب منطقته معان وعجز الإمامية هناك عن تسكينها كل ذلك حمله على الخروج بحملة أخرى وفق فيها كل التوفيق فعد بعد ذلك أمير سوريا الجنوبية وكافل قلعة الكرك وحمي طريق الحج كما سيأتي .

النهضة العسكرية

بعد خروج الانكشارية والمماليك والأكراد قام الأمير يوسف بتشكيل كتيبة من النابلسيين فيها الفرسان والمشاة وقد ساعده والده في تشكيلها . وبتوزيع الاقطاع على الفرسان الذين عرفوا بالسباهية ، أصبح منهم الزعماء والعرفاء الذين لقبوا بك ، وأغا ، وجورجي ، وبشه . فانتظم في هذه الكتائب عدد من أبناء الأسر الكبيرة الذين نالوا فيها مراكز طيبة ومنهم : مصطفى أغا جورجي سلطان التميمي ، وناصر جورجي ومراد بك وحسين بك أبناء محمد باشا الشافعي ،

⁸⁵ راجع بحث القصر في فصل الاماكن الخاصة في باب أحوال المجتمع في الجزء الثاني
⁸⁶ وقد سمي هذا الحي بالحبلية لانه كان مقسما الى بساتين تعرف بالحواكير المحاطة بأحجار غير مبنية تسمى الحبلية
⁸⁷ كانت نابلس محاطة بسور بسيط فيه أربع عشرة بوابة لاخذ المكوس (الجمرك) .

وصالح بك المصري ، وعثمان بشه بن كمال⁸⁸ بطوطه ، وفخر الدين بك ابن الحاج علي قمحية⁸⁹ ، وحسن آغا جوربجي بن أبي بكر الأخرمي ، وحسن آغا جوربجي ابن الشيخ بكري النابلسي ، ومراد بك بن ابراهيم مرعي⁹⁰ ، وعلي بك ابي زعرور وقد احترفت الجندية أسر كثيرة فيما بعد منها : عسقلان ، والبشتاوي ، وخرم ، وجيري باشي ، والرطوط وأبي سمرة ، وأبي شلبك ، والمعري ، وابي زعرور ، والخلة ، والطوباسي وباكير ، والبيت ، والحلي ، والششتري ، وبعاره ، والكنة⁹¹ وشهسوار ومخلوف فكان منهم الزعيم ، والشاويش ، والسباهي ، والتابع ، وقد كانت هذه الكتيبة الوطنية التي عرفت بالاي سباهية نابلس سبباً في الحيلولة دون وجود الانكشارية في جبل نابلس حتى نهاية عهد الاقطاع. وقد تولى إمارتها الأمير يوسف بنفسه ، ثم ولاها فيما بعد لخليل بك شهسوار ، ثم انتقلت لحفيده محمد آغا واستقرت في آل النمر حتى نهاية عهد الإقطاع كما سيأتي .

النهضة الاقتصادية⁹²

كان مما سهر عليه الأمير يوسف انهاض البلاد اقتصادياً فأنشأ المصبنة التي عرفت باليوسفية نسبة اليه وأمن طرق التجارة واتصل بأصهاره وأقاربه في القدس ودمشق ووكل الوكلاء .. وقد حذت حذوه أسر كثيرة سيأتي الكلام عليها فتحسنت الأحوال التجارية، وقد عمر العمارات وشجر البساتين وسهر على الاقطاع فتحسنت الحالة الزراعية . وأتى بمهرة الصناع من حلب وحماة ودمشق وانزلهم في نابلس ، فازدهرت الصناعة وتحسنت اقتصاديات البلاد كلها . ولحسن الصلة بين نابلس والمقاطعات الشرقية ، فقد أصبحت نابلس تصدر كثيراً من مصنوعات اليها وتستورد منها كثيراً من المواد اللازمة لها . واستمرت الحركة الاقتصادية في تحسن يغذيها أولاده وأحفاده حتى بلغت بعد قرن الغاية المنشودة في التقدم وأصبح جبل نابلس من أغنى بقاع المعمور وازدحمت نابلس بالكنوز .

النهضة العلمية⁹³

مضى على جبل نابلس نحو قرن ونصف كان فيهما مسرعاً للفوضى فتقهقرت الحركة العلمية ثم اضمحلت ؛ فلما نزل فيه آل النمر بحملتهم وجدوا أن مدارس العلم قد درست وضاعت اوقافها وقد تناقص علماء نابلس ولم يبق منهم إلا الشيخ أبو بكر الأخرمي ، فاتفق معه الأمير يوسف النمر ومعه صهره الشيخ عبد القادر العلمي على القيام بنهضة علمية فقبضوا الأوقاف وحضوا على العلم وتولى الشيخ أبو بكر الأخرمي التدريس في الجامع الحنبلي فجلس على

⁸⁸ نسبة إلى جدهم ابن بطوطة السائح المغربي المشهور وقد تفرعوا الى دياب ، وبطوط ، والمغربي، وكمال
⁸⁹ يرجع نسبهم لبني سليم الحجازيين ولهم أقارب في مصر ومنهم تفرع آل الداري بنابلس .

⁹⁰ آل مرعي أسرة حلبية اشتغلت بالعلم والجندية كان منهم كتاب مجلس الشرع وكلاء لا يرألوي نابلس ولتمسلي آل نمر

⁹¹ وكانت أسرة الكنا تلقب بالببيك وقد انقرضت من عهد قريب .

⁹² راجع باب التجارة في الجزء الثاني

⁹³ راجع باب العلم في الجزء الثاني

حلقتة الامير يوسف النمر بنفسه وأولاده الثلاثة صالح آغا وعلي آغا وعمر آغا واقتدى به سائر الأمراء وتحركت أسر العلم ، فصارت تحض أبناءها على العلم وترسلهم الى القدس ودمشق ومصر فازدهرت الحركة العلمية وتقدمت فظهر في القرن الثاني عشر عدد كبير من العلماء⁹⁴ الأعلام .

الاضطراب والثورة في المناطق الشرقية

كانت قبيلة العمرو خارجة من الحجاز قبل الحملة بقليل ولما تولت أمر حراسة طرق الحج في البلقاء والكرك طغت واستبدت حتى كانت تجبر البدو على قطع الشوك وجعله طرحه يدوسونها حتى تدمى ارجلهم فثارت عليها عشائر الكرك ووقعت حرب أهلية امتدت إلى البلقاء ومعان دارت فيها الدائرة على العمرو وباغت التميمة رجال الحكومة والحامية في القلعة من رجال عبد الله باشا فذبحوهم عن آخرهم . وكان عبد الله باشا قد مات قبل ذلك وتعطلت طريق الحج وامتد التمرد حتى حوران فقتل امير الحج موسى باشا التركمان سنة ١٠٨١ و عجز علي آغا وعثمان آغا ولدا عبد الله باشا النمر عن إخضاع التمرد ولم يمددهم والي الشام بشيء فاستنجدوا بأخيهم الأمير يوسف في نابلس .

حمد الجوريجي الى البلقاء والكرك

أصبحت كتيبة الأمير يوسف قوية متماسكة ، وانضمت إليها جموع كثيرة من عشائر جبل نابلس البواسل ، ومن التركمان وبقايا الأكراد ، فدخل البلقاء وأخذ ثورتها ، وضم إليه ما استطاع من عربانها ، وتقدم بهم نحو الكرك ، ولما قرب من مدينة الكرك لاقاه التميمة بجموعهم ، فغلبهم وهربوا تاركين في الساحة منهم ثلاثين قتيلاً ، فدخل الكرك دخول الظافر ونزل في قلعتها . وقد ضرب ببسالته المثل فصار يقال سيف يوسف جوريجي ولا يزال ، وقد عرفت حملته بحملة الجوريجي وملاط سطوته قلوب العشائر الشرقية رعياً ، فأخذت تتوافد عليه مقدمة له الطاعة ، وكانت هذه الحملة أول عمل قامت به الكتيبة النابلسية ، فأكسبها ذلك شهرة واسعة .

⁹⁴ راجع تراجم العلماء في الجزء الثاني في باب العلم

اجلاء بعض عشائر الكرك والبلقاء

وبعد أن استقرت الأحوال قرّب الأمير يوسف إليه عقلاء العشائر وأخذ بمساعدتهم يجلي العشائر التي ثبت أنها أصل الثورة ، فأجلى التميمية الى الخليل ، فعرفوا بالمجالي ، وأجلى الجرادات أكبر عشائر العمرو الى جبل الخليل وجبل نابلس . ثم تحوّل نحو البلقاء فأجلى بني غازي⁹⁵ والحواترة وغيرهم الى ناحية جماعين في جبل نابلس ، وأجلى عشيرة قمير الى جورة عمرة ، فنزلوا في كفر قدوم ، وأجلى الشقران الى لواء اللجون ، وقد أجلى غيرهم وأسكن عدداً من عشائر جبل نابلس من عرب وتركمان ودويكات في منطقتي الكرك والبلقاء ، وأصبح الإجماع الى جبل نابلس ، ومنه عادة جارية مدة قرن كامل ، ولهذا فإنها توجد قرابة وصلة بين كثير من عشائر جبل نابلس والكرك والبلقاء ، كما أن أسماء بعض القرى والبقاع في الجهتين واحدة.

التنظيم الجديد

رأى الأمير يوسف أن من الصعب حكم المناطق الشرقية ما دام المركز العام في معان . فنقله الى الكرك لانها تقع بين البلقاء ومعان ، وأتى بالإمامية⁹⁶ وأمرائهم من الأغوات⁹⁷ والبشابشة ومعهم بنو حميدة⁹⁸ الى الكرك فأسس علي آغا الحكومة وعثمان آغا كتيبة عسكرية مساعدة أخيه الأمير يوسف وأسس الشيخ عمر ابن الأمير يوسف مجلس الشرع⁹⁹ وصارت حكومة الكرك تسيطر على مناطق شرق الأردن كلها من عجلون الى العقبة ، وظلت كذلك الى أواخر القرن الثاني عشر . وقد سكن الأغوات قلعة الكرك¹⁰⁰ ، وتولى إخوتهم البشابشة حماية قلعة حسيبان . وقد أصبح الأمير يوسف كافلاً لقلعة الكرك ، ولقب بأمرير الامراء .

⁹⁵ راجع عشائر جبل نابلس في الباب الآتي

⁹⁶ عرف رجال عبد الله باشا جميعاً بالإمامية في المناطق الشرقية

⁹⁷ عرف علي آغا وعثمان وذريتهما فيما بعد بالأغوات وعرف اخوتهم الصغار وذريتهم فيما بعد بالبشابشة نسبة الى لقب أبيهم عبد الله باشا .

⁹⁸ يقال ان منهم اسرة النبط بنابلس

⁹⁹ عرفت ذريته بالاقضاة ومنهم فربق ب جبل عجلون .

¹⁰⁰ وفي أواخر القرن الثاني عشر بدأ التميمية يعودون الى الكرك تدريجياً فرتبوا مؤامرة مع العشائر الحاسدة للاغوات وباغتوهم في القامة يوم العيد وقتلوا عدداً منهم واخرجوا الاطفال والنساء واستولوا عليها وقد رحل الاغوات بعد ذلك الي خربة سمرة وانضم اليهم الامامية جميعا واصهارهم من العمرو وبني حميده فحافظوا على كيانهم ولا يزالون

تغير طريق الحج

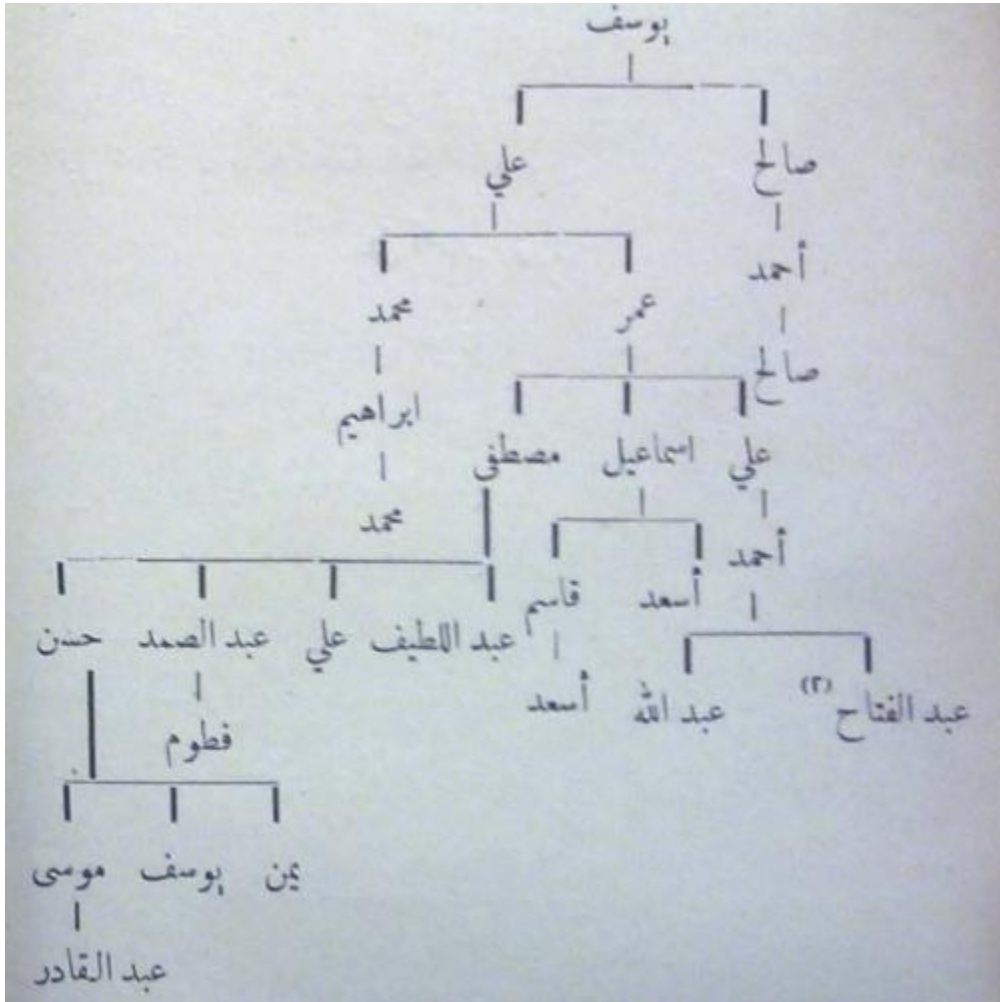
كان من رأي الأمير يوسف تغيير طريق الحج فوافقه والي الشام على ذلك ، وبعد أن كان الراكب يسير عن طريق معان الى قلب الحجاز صار يسير من الكرك الى الشوبك فالعقبة ، ثم يسير عن طريق ساحل الحجاز الى الوجه والينبع ، وبهذا أصبح الطريق أكثر أماناً من ذي قبل ، وقد دام على هذا السبيل نحو قرنين كاملين .

باقي أعماله وذريته

قضى الأمير يوسف باقي حياته التي انتهت حوالي سنة ١٠٩٧ هـ منتقلاً بين نابلس والقدس والسلط والكرك ومعان ينظم الكتائب ، ويصلح أحوال البلاد ، ويؤمن طريق الحج . وقد حسن العلاقات التجارية بين نابلس والقدس والمناطق الشرقية ، فكان البدو يستوردون من نابلس ما يحتاجون إليه من الملابس الصوفية والقطنية والمصنوعات الحديدية والسروج وغيرها ، ويأتون لنابلس بالقلبي والسمن والصوف وغيره ، وصار سكان شرق الأردن وغرب الأردن يتبادلون السكنى والسلع وقد رسخ الأمير يوسف قدم بني النمر في الجنوب ، وعرفت ذريته فيما بعد في جبل نابلس بالأغوات الجورجية ثم باليوسفيين الى أن عادوا للانتساب الى النمر مع بقاء لقب آغا . ولقد وفقوا الى إيجاد امارة¹⁰¹ مستقرة مستوفية لكافة الشروط والتقاليد ، وقد مات الأمير يوسف محترماً محبوباً من الجميع بعد أن أوجد في سوريا الجنوبية نهضة حقيقية

¹⁰¹ راجع باب الإمارة في الجزء الثاني

تسلسل بني النمر في نابلس



الفصل السادس

البلوغ المفرد علي جوربجي النمر

نشأته وصفاته

علي آغا جوربجي هو أكبر أبناء الأمير يوسف النمر وأمه السيدة علمية بنت الشيخ عبد القادر العلمي .

نشأ نشأة الفتوة¹⁰² مشبعاً بروح الفروسية كأبيه وأعمامه ؛ ولما كبر طلب العلم على حلقة الشيخ أبي بكر الأخرمي وسار على خطة أبيه في التصوف فنبغ وفاق الأقران حتى خوطب بالبلوغ المفرد . ثم أدخله والده في ألوي السباهية وأعطاه اقطاعه ثم صار متسلماً على نابلس بعد انتقال عمه علي آغا الى معان وقد تعاون مع أمراء آل الشافعي وآل شمسوار على حكم جبل نابلس فأحسن القيام به ، ولما كبر أخوه الشيخ صالح وأولادهما أحمد آغا ومحمد آغا وعمر آغا ساعدوه في الحكم ثم ضم اليهم حكم القدس واللد والرملة فترك الجربجي الحكم لهم واعتزل .

وكان علي آغا مثال الزهد والنبيل والشجاعة والكرم مع الحكمة في الحكم والسياسة فاشتهر فضله عند العام والخاص واحترمه العلماء وأجلوه وقد أعجب به الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي¹⁰³ كبير علماء عصره فنزل ضيفاً عليه حينما زار القدس سنة ١١٠١ هـ وأثنى عليه ثناء عاطراً في رحلته القدسية فقال : « وقد نزلنا في بيت متسلم تلك البلاد النابلسية والأماكن الشريفة الانسية ، وهو صاحب الأخلاق الرضية والسلالة العامية مفخر الأعيان وانسان العين بالنسبة الى نوع الانسان جناب على الجربجي من أعيان الجربجية التي في دمشق المحمية ابن المرحوم مفخر الأمراء المعتبرين الأمير يوسف كافل قلعة الكرك سابقاً فقابلنا بصدرة الرحيب ووجهه الذي هو وجه الحبيب فمكثنا عنده خمسة أيام في عيش هني وقدر سني وروض جني ، فتصافحنا بكفوف الأرواح والسرور ودخل علينا الإخوان والأحباب وتفتح لنا من بشاير القبول آيات» وقد قال فيه الأبيات الآتية :

زرت في بلدتنا ناباس	أهل أصل في العلا منغرس
أهل إكرام وجود وتقى	ما لهم غير الهدى من حرس
عندهم انست نور الأي	مثل موسى طالباً للقبس
دوحة الوادي له الظل الذي	ينعش الغارس قبل الغرس
نسل عز وفخار وعلا	كل سار من نداء يحتسي

¹⁰² راجع فصلي الفتوة والفروسية في باب الامارة من الجزء الثاني

¹⁰³ آل النابلسي بدمشق أصلهم من قرية جماعين في جبل نابلس ، رحلوا الى دمشق في الحروب الصليبية .

عليّ الاسم والقدر وما هو إلا ياء فيه ياء نسي
زاده الله كمالات في الورى وحياه بالمقام الأقدس
وله أوهب أعلا دولة جودها كالوابل المنبجس
وعن الشر حمى ساحتة بين من يحسن فعلا وبسي
مازها الروض بزهر فايج وتبدي في ثياب السندس

وقال في مكان آخر : « وتذكرنا بسيرنا من دمشق الشام الى نابلس المحروسة ، ونزولنا بالساحة العلية على قدم الاعزاز والإكرام فقلنا في ذلك :

قد سرت من عند ابراهيم آغاتنا¹⁰⁴ بجلق الشام نجل المجد والكرم

الى علي ابن بحر الجود يوسف يوم النداء يده السمحاء كالديم

وهذا من الشيخ عبد الغني الصوفي الكبير لا يكون مجرد مجاملة ، لأنه لم يكتبه لغير الجرجي إذ كان علي آغا الجرجي عالماً صوفياً وأميراً خطيراً ، وقد أصبح قطب الرحي في الجنوب ومرجع الولاية ، وموضع ثقنتهم ، ولم يكن علمه وتصوفه مع الضعف فقد كان ثرياً كبيراً وحاكماً قوياً قديراً ، وفق للقضاء على التمرد والعصيان والى حلّ مشاكل خطيرة دخلت البلاد بعدها في عصر ذهبي زاهر كان كله عهد خير وبركة .

طرد التركمان

ضعفت صلة تركمان المرح بأمرائهم آل شهسوار في نابلس وانفرط عقدهم ، ففسدوا وكثر أذاهم وتسلطهم على القرى المحيطة بالمرج فقطعوا الطرقات حتى بلغت بهم الجرأة الى الاعتداء على جمال وذخائر متسلم الواء اللجون حسين بك الشافعي الذاهبة من جينين الى عكا بحراسة رجاله . فطلب حسين بك علي آغا النمر متسلم نابلس الى جينين وكتبا تقريراً لدى الحاكم الشرعي عددا فيه فظائع التركمان وعدوانهم على القرى وقطعهم الطرقات بشهادة شهود العيان ، وأرسلا التقرير الى والي دمشق ، فصدرت الأوامر بطرد التركمان من جبل نابلس ، فقام بطردهم علي آغا وحسين بك والشيخ علي المهابيط شيخ جينين ، فأجلوهم الى جهات حيفا وطبريا ، ولا يزالون يعرفون بعرب التركمان ، وهم آخر

¹⁰⁴ ابراهيم آغا هو ابن سعيد آغا جد آل المهابيط بدمشق وهو سبب الصلة بين الشيخ عبد الغني النابلسي وعلي آغا الجرجي ابن عمه .

العناصر الغربية ، وكان إبعادهم آخر مادة في خطة عبد الله باشا النمر وأولاده ، وقد حدث ذلك في سنة ١١٠٦ هـ .

غارة نصوح باشا الطاغية

بعد خروج الרכب من نابلس واستقراره في دمشق ، صار أميره يمر عن وعجلون والبلقاء وينزل في جماعة¹⁰⁵ حسبان حيث يلتقي بباشا¹⁰⁶ الدورة الذي يمر عن الجهة الغربية ، فيجمع الأموال الأميرية المطلوبة من صفد وجبل نابلس وجبل القدس وجبل الخليل ، وكانت عادة باشا الدورة النزول في مراكز الألوية¹⁰⁷ وهي : جينين ونابلس من جبل نابلس ، وهناك يحاسب المتسلم¹⁰⁸ وشيوخ النواحي . وتسمى هذه المراكز بالمنازل . وفي سنة ١١٢١ هـ خالف باشا الدورة نصوح باشا هذه العادة وأتى الى القرى رأسا وصار يطلب من شيوخها الأموال الكثيرة ، فعصوا وخطف بضع¹⁰⁹ بنات من بنات قرى لواء اللجون ، وعاد مسرعاً الى دمشق .

اغتيال نصوح باشا

هاج جبل نابلس جميعه حينما بلغه ما فعله نصوح باشا ، إلا أن الجورجي سكن الهياج واعدأ باغتيال نصوح باشا إذا عاد . وبقيت البلاد تنتظر مرور نصوح باشا ، إلا أنه لم يمر بالدورة إلا سنة ١١٢٦ هـ فمر عن جبل نابلس خلسةً ونزل على بركة الرباط في الرملة ، وأرسل بطلب أمراء وشيوخ جبل نابلس اليه ، فاجتمعوا في رأس العين عند الشيخ شبيطي شيخ بني صعب واتفقوا على عدم الذهاب اليه ، ولما بلغه الخبر جاء بنفسه ونزل ضيفا على الشبيطي ، ولما أراد العودة خرج معه الشبيطي لوداعه فقتله الباشا في الطريق . وفي تلك الأثناء كانت المؤامرة قد تمت بين أحمد آغا بن صالح آغا النمر متسلم اللد وبين فدائية عمه الحاج علي آغا الجورجي وأهل البنات على اغتيال نصوح باشا . ولما كان يتجول في ناحية بركة الرباط بعيداً عن جنوده وثب عليه فدائية نابلس فقتلوه وهجمت عربان نابلس والرملة ونهبت جردة الحج وكل ما كان فيها من الذخائر ، فشرد جنود الجردة الى القدس .

¹⁰⁵ هي قطعة أرض يملكها آل النابلسي اليوم

¹⁰⁶ باشا الدورة يقال له أمير الجردة أيضا وهو نائب أمير الרכب ، فإذا مات أمير الרכب حل محله بموجب مرسوم احتياطي من السلطان ، كما سيظهر في الجزء الثاني في آخر باب الامارة

¹⁰⁷ كان القسم الشمالي في أكثر الاحيان يعتبر لواء مستقلاً يسمى لواء اللجون ومركزه جينين .

¹⁰⁸ راجع بحث شيوخ النواحي في باب الامارة من الجزء الثاني

¹⁰⁹ ولم تكن البنات المخطوفات سبعمائة كما يقول بعض المؤرخين ، لان اختطاف هذا العدد من جبل نابلس في ذلك العهد يحتاج الى جيوش .

التحقيق في مقتل نصوح

كانت القدس لواء ، تتبعها الرملة واللد ، وكان حاكمها يعرف بالمتصرف¹¹⁰، ولما وصل جنود الركب الشامي الى القدس وبلغ المتصرف ما حلَّ بهم وبأميرهم جنَّ جنونه فجزَّد الجرود¹¹¹ والجموع ويطش بعربان الرملة وبني صعب . وكاد يقع صدام بين جبل القدس وجبل نابلس ، فأنذر علي آغا الجوربجي متصرف القدس بالكف ، وطالب من والي الشام التحقيق ، وأطلعه على الواقع وسبب هياج جبل نابلس ، ففوض الوالي علي الجوربجي النمر المذكور بالتحقيق ، فأرسل من طرفه ولده عمر آغا الذي قام بالتحقيق بمساعدة ابن عمه أحمد آغا متسلم اللد .

فاظهر التحقيق أن الذين قتلوا نصوح باشا هم أهل البنات اللواتي اختطفهن نصوح باشا في غارته ، وأرسلوا بعد التحقيق الى والي الشام .

العفو عن قتلة نصوح

ولما وصل المتهمون إلى الوالي طلبوا التحقيق مع البنات أنفسهن وكانت اليعبدية¹¹² أجملهن في الاستانة عند زوجة نصوح باشا وكانت تتردد معها على حرم السلطان فأعجبين بجمالها وتعرفن عليها . ولما طلب التحقيق معها استدعاها السلطان وحقق معها ولما تأكد الخبر أصدر الامر بإعادة البنات وبالعفو عن قتلة نصوح باشا فعفي عنهم وكان في هذا المصير عبرة لمن تلوا نصوح باشا من الولاة وامراء الدورة .

عزل متصرف القدس وتعيين عمر الاغا

على أثر التحقيق بالحادث تبين أن متصرف القدس خرج عن حدود التأديب فعزل ، وقد الغيت متصرفيه القدس وأصبحت هي والرملة واللد سناجق أي ألوية تابعة للوالي رأسا واحتفظ ولاية آل العظم من ذلك الحين بإمارة اللواء لأنفسهم ولم يتجاسر أحد على طلبها منهم وقد عين عمر آغا النمر متسلماً على الرملة ثم على القدس ، وبذلك بدأ حكم آل النمر للقدس من ذلك الحين حتى أواسط القرن التالي أي نحو قرن كامل فشمّلها عصرهم الذهبي

اعتزال الجوربجي ووفاته

لما تقدم علي جوربجي النمر في السن ، ترك حكم نابلس لأخيه الشيخ صالح ولولده محمد آغا وبقي حكم القدس بيد ولده عمر آغا واعتزل إلا أن الثورة التي حصلت بعد ذلك اضطرته على الخروج من عزلته والاشراف على حكم البلاد إلى أن استقرت الأحوال وازدهرت البلاد

¹¹⁰ كانت هذه الرتبة معروفة

¹¹¹ الجرود أي جموع العساكر و المحاربين

¹¹² وهي من قرية يعبد

ودخلت في عصر ذهبي طويل مات الجوريجي في أوائله قرير العين حوالي سنة ١١٥٠ هـ بعد أن تمتع كل عمره بمكانة كبرى عند الشعب والولاة ، فهو العالم الصوفي الكبير والسياسي المحنك والحاكم القدير ، طارد المتمردين ومذل الطغاة والفاثك بالجبابرة . تركه والده في جبل نابلس وحيدا فبحكمته وسماحته وحسن خلقه استطاع أن يحتفظ بالإمارة والحكم بمساعدة أصدقائه ثم أخيه وأبنائهما فمات وحوله عدد من أمراء أسرته وكلهم حكام ازدهرت البلاد في عهدهم وأصبحت في اسعد حال ، وكفاه فخرا أن يمدحه الشيخ عبد الغني النابلسي العالم الصوفي الكبير وقد وفق لتربية حكام حكماء أصلحوا البلاد ووحدها ورفعوا¹¹³مستواها الأخلاقي الى أسنى الدرجات .

الفصل السابع

الحاج¹¹⁴ محمد اغا جرجي النمر

نشأته وامارته

درب الحاج¹¹⁵ على جرجي المار الذكر ولديه محمد آغا وعمر آغا على الحكم وأشركهما معه في غرة شبابهما فجعل الأول عسكريا والثاني اداريا وكان الأول شغوفاً بالفتوة فنشأ فتى فارسا شجاعا كريماً ، فتدرب على ألعاب الفتوة والتمارين الحربية الساندة في ذلك العهد وأعطاه أبوه اقطاعه واقطاع جده الأمير يوسف وأدخله الألي السباهية فصار زعيماً على زعامة بيت وزن . وفي سنة ١١٣٩ هـ انتخبه الزعماء والسباهية أميراً للألي نابلس وبذلك انتهى عهد أمراء الأكراد والتركمان وهذه أمنية الجرجي وهي استرداد الامارة العسكرية لأسرته ، وقد اشتهر محمد آغا كأبيه وأجداده بالجرجي ولقب بالآغا لقب أسرته ولقب بالبيك لقب أمير الألي .

اعادة تنظيم الألي

كثر الأشقياء في جبل نابلس ممن اعتادوا قطع الطرق وحرق الشجر والعدوان على الناس ، وكان هؤلاء يحتمون بالشيوخ والزعماء والسباهية المتمردين الذين كان يعجز أمراء الأكراد والتركمان عن إخضاعهم . فلما تولى الحاج محمد آغا النمر اماره الاالي صمم على تجديده وقطع دابر الأشقياء فصار يبذل الأقطاع¹¹⁶القديم ويعطيه الى سباهية جديدين ويتوب الأشقياء في القرى ويضمهم الى السباهية بعد أن يأخذ عليهم عهداً باتباع تعاليم الفتوة وروح الفروسية . وقد قام بهذا بمساعدة والده فأصلح أحوال البلاد وبدل روحها¹¹⁷كما سيبين من مباحث الفتوة والفروسية في الجزء الثاني .

¹¹³ راجع فصل رقي المجتمع في الباب الأخير من الجزء الثاني ، وكذلك مباحث الفروسية والفتوة من باب الامارة
¹¹⁴ أصبح الوصول الى الحجاز عسيرا لاختلال الأمن هناك ، فصار من يحج يلقب بالحاج ويعتبر لقبه لقباً دينياً كلقب شيخ فيضمه الولاة لألقابهم كما سيظهر ، وقد أبقيت هذا اللقب لمحمد آغا تميزاً له عن حفيده وعن منافسه وسمين ابن سلطان
¹¹⁵ الحاج علي جرجي وعلي آغا جرجي هو نفس المتسلم المار الذكر
¹¹⁶ راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني
¹¹⁷ راجع باب الامارة في الجزء الثاني .

ثورة ابن سلطان

كانت أعمال محمد آغا النمر سببا في تحرشه واصطدامه بالشيوخ الزعماء والسباهية المتمردين الذين صار يضرب على أيديهم ويوقفهم عند حدهم وقد ابتهج جبل نابلس جميعه بخطة محمد آغا فعاضده الجميع بكل اخلاص وكان محمد آغا سلطان التميمي أحد زعماء السباهية في ذلك العهد يطمع بإمارة الألاي فأضمر الكيد لمحمد آغا النمر ولما شرع بخطته الإصلاحية ترأس المتمردين ودعاهم الى الثورة فاشتد التمرد في المدينة والقرى .

وفي ذلك الحين كان متسلم نابلس الشيخ صالح آغا النمر ابن الأمير يوسف ، وكان الحاج علي الجرجي نازلا في القدس يساعد ولده عمر آغا على حكمها . وكان وكيل المتسلم بنابلس مصطفى آغا شابا صغيرا فأغرى ذلك المتمردين على الثورة والتمرد . فثار ابن سلطان وانقادت اليه أكثر الأسر الخليلية في المدينة . وامتدت الثورة للقرى والبدو .

عصبان القرى والبدو

كان المشاقيون يقتطعون بضع قرى في الجبل الشمالي منها : عصيرة وياصيد ، وزواته ، وطلوزة ، وطمون ، وطوباس . وكان الرشيدات يقتطعون بضع قرى اخرى وراء اقطاع المشاقيين وهي : الكفير ، وسريس وصير ، وخربة أبي علي ، وعقابة ، ومسلية ، وتياسير . وكانت العداوة قوية بينهم وبين المشاقيين ، وكان هؤلاء في نهضة وتقدم فباغتوا الرشيدات وذبوحهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا امرأة مع طفلها لجأت به الى الشيخ جرار في صانور . واستولى المشاقيون على اقطاعهم بعد ذلك فاستفحل أمرهم في الجبل الشمالي وصاروا يهاجمون الشقران وشيخهم جرار .

كان الشقران بعد رحيلهم من البلقاء يتولون في بعض الأحيان حكم اللجون فنافسهم النزاليون شيوخ الشعراوية فضايقوهم واخرجوهم من من الشعراوية فنزلوا بلاد حارثة ونزل شيخهم في صانور ، مع الحقد على النزاليين والاتصال بال النمر .

وكان الأمير يوسف النمر قد أنزل الجرادات في بيت سلوم ملك الخاص فتخوف منهم العتوم واخرجوهم منها ، فنزلوا في كفر الديك ، فأخرجهم شيخها الأجلق . فنزلوا في عين الصورتين جوار تل¹¹⁸ وظلوا ينتظرون سنوح الفرصة الى أن حصلت هذه الثورة فاستنجدوا بعرب الجبارات النازلين اذ ذاك في جهات غزة فقلبوا حدو الخيل ومروا عن عزون وكفر الديك دون أن يشعر بهم احد ليلا ، فلم يفتن العتوم والاجلق للمكيدة فباغتوهما في الضحى وهم مشغولون بالحصاد ، فتشرد سكان كفر الديك¹¹⁹ وذبح العتوم عن آخرهم ولم تنج منهم الا امرأة وطفلها نزلت¹²⁰ في نابلس ورجلان كانا متغيبين فنزل أحدهما في سوق بناحية المعراض من جبل عجلون والاخر في الصنمين من حوران¹²¹ واستغل البدو

¹¹⁸ هي قرية في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة نابلس

¹¹⁹ ومنهم آل ملحس في نابلس

¹²⁰ ومنه آل عتمة بنابلس وهم على الراجح من آل عبد القادر شيوخ جماعين القدماء

¹²¹ ولهم هناك ذرية معروفة .

هذه الفوضى فغزوا حوران ، فاستنجد عرب حوران بالوالي وهذا استنجد بمحمد آغا النمر فأصبح امام آل النمر اخضاع المدينة والقرى والبدو .

تكاثرت الطباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

تبديل المتسلم

لما بلغ والي الشام اسماعيل باشا العظام ما حل بجبل نابلس جاء بنفسه ونزل في جينين فتوافد عليه وجهاء نابلس، وشيوخ النواحي وأخبروه بأنهم طائعون وان ما حصل إنما هو من ضعف المتسلم الشيخ صالح فسحبه أخذه معه الى دمشق مؤقتا وعين مكانه ابن أخيه عمر آغا النمر ووكّل الحاج محمد آغا النمر عن أخيه عمر آغا إلى حين حضوره . وقد استسلم فريق من الثوار فأعطاهم الوالي مراسيم الأمان ليتمكنوا من الوصول الى دمشق وفيما يلي مرسومنا التعيين والأمان .

كتاب الوالي للحاج محمد آغا النمر

قدوة الأقران ميرألاي بيك جوربجي زاده محمد آغا زيد قدره تحيط علما انه في وصول مرسومنا هذا اليك تفتح سراي مدينة نابلس وتنقيد في المتسلمية وكالة الى أن يصل الى المدينة المزبورة قائمقامنا¹²²بالقدس الشريف الحاج عمر آغا وتفتح عينك لأمر الضبط والربط والحفظ والحراسة مع تناول ما بالمدينة عايد لطرف الميري من احتساب وغيره من الاقلام¹²³من حين طلوع الشيخ صالح من نابلس حسب اليومية وتحفظ احتساب ذلك واعتمده في غرة ربيع الأول سنة ١١٤١ هـ

الحاج اسماعيل

محافظ الشام ومير الحاج

¹²² صار يعرف متسلم القدس بقائمقام الوالي بعد الغاء رتبه المتصرف

¹²³ راجع فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني

مرسوم الامان للثوار

قدوة الأمجاد والأعيان المتسلمين من طرفنا بسنجق نابلس والقدس

الشريف وغزة¹²⁴ عمر آغا ومصطفى آغا وحسين آغا زيد قدرهم .

نعرفكم أن الشيخ شهاب الدين أخو صاحب العرضحال وأولاده الشيخ كمال ومحمد وعثمان وعلي أعطيناهم من طرفنا رأي الله وأمان الله ورأينا وأذنا لهم بالمجيء الى الشام ففي دخولهم ومرورهم عن السناجق لا أحد يتعرض لهم ولا يمانعهم اعلموا ذلك واعتمدوه من غير خلاف في ١١ رجب سنة ١١٤١ هـ

الحاج اسماعيل باشا

محافظ الشام وامير الحاج الشريف

محاولة اغتيال عمر آغا

بعد استقرار عمر آغا النمر في نابلس أخذ يعالج الأمور بالحكمة ويستميل الثوار فيستسلمون وقد عقد محاكمة ادارية في بيته ليصل الى النتيجة فلجا بعض المتهمين الى محمد آغا سلطان رأس التمرد ورفض ارسالهم للتحقيق ولما ألح عمر آغا في طلبهم هجم ابن، سلطان برجاله عليه وهو في مجلس التحقيق يريد اغتياله فقتل من رجال عمر آغا ثلاثة وجرح آخرون ثم لاذوا بالفرار . فأوقف عمر آغا المحاكمات والتحقيقات ووقع محضراً . من وجهاء البلد بما حصل أرفقه بكتاب منه وأرسلهما للوالي ليطلق يده ويد أخيه وليمده بما يجب في هذا الظرف ، فأجاب الوالي بالمرسوم الآتي :

جواب الوالي لنابلس

قدوة النواب والمنتشرين نايب الشرع الشريف بنابلس فندي¹²⁵ زيد علمه ، ومفخر الفضلا المفتي بها زيد فضله ، والعلماء الكرام زيد علمهم ، وعين السادات قايمقام نقيب الأشراف زيدت سيادته ، وقدوة الاماثل والأقران ميرالاي السنجق ، والزعما¹²⁶ وأرباب التيارات زيد قدرهم ، وفخر أمثالهم وجوه ناس المدينة المرقومة وأعيان رعاياها ؛ بعد التحية نعرفكم أنه ورد علينا محضركم مع عرض حال من قايمقامنا بالسنجق الحاج عمر آغا وفهمنا ما ذكرتم وما تضمناه من أنه اقتضى سماع دعاوى على أناس صدر منهم شقاوة وفساد ولما طلبوا لذلك وجدوا فارين عند محمد ابن سلطان من أهل المدينة فأرسل اليه بطلبهم محضر المحكمة وترجمان السرايا فمنعهم من التوجه الى سماع الدعوة

¹²⁴ كانت العادة الاكتفاء بذكر لقب الموظف ورتبه دون اسرته كما يتبين
¹²⁵ راجع باب الحكومة في الجزء الثاني فان فيه التفصيل عن هؤلاء جميعا وعن الاقطاع والزعامة والسباهية والتمييز مع الشروح الدقيقة .

¹²⁶ راجع باب الحكومة في الجزء الثاني أيضا

الشرعية ، ولم يكتف بذلك حتى جمع أعوانه من أهل الشقاوة والفساد وتسلحوا بألات الحرب وأتوا صابليين وهاجموا على دار الحكم وأشهروا المحاربة وضرب البارود وقتلوا ثلاثة أنفار وجرحوا كم نفر ، فلا يخفى أن هذا سعي بالفساد كبير سيما إذا صادفه الإقدام على قتل النفس التي حرم الله وخروج الشقي المذكور بهذه الفعال ومن تابعه وأعانه ظاهراً وباطناً وأغواه فهو داخل فيما دخل فيه يجازى انشاء الله بما يجازى في أيام خلافة مولانا سلطان المسلمين قمع الله ببقاء دولته الكفرة أعداء الدين والطغاة المفسدين ، بناء على ذلك أصدرنا الى قائمقامنا الحاج عمر آغا المومى اليه بيور لدينا يتضمن مباشرة الخروج من حق الشقي المذكور ولكم هذا المرسوم ان شاء الله تعالى مع وصوله اليكم وتحققكم الأحوال تكونوا مع قائمقامنا المذكور جميعكم قلباً ولساناً بهمتكم معه يداً واحدة في دفع هذا الخارج عن الطاعة المخالف بفعله وبغية أهل السنة والجماعة وكل من لم يكن مع قائمقامنا المذكور وخالف الشرع الشريف ونحا عن طريق الجمهور يجب علينا الخروج من حقه في الحال فتفكروا عاقبة وخامة هذه الأحوال والحاصل تقدم من كبيركم وصغيركم حركات تعرفونها ولكونكم اطمأنيتم لطرفنا وتاملتم المرحمة ورجوتم العفو منا أغضينا عن حركاتكم وعفونا عنها مع المقدره . وبحمد الله لم نلنفت لشيء حتى أن دعاوي شرعية عرضت علينا لم نسمعها وخرجنا راضين عنكم وما أقمنا بايالة الشام لا تروا انشاء الله تعالى أمراً يسوءكم وتأمنوا على أنفسكم ومالكم وتشاهدوا ثمرة الطاعة والأمان والراحة وأما إذا طواعتم محمد المذكور ورافقتوه في هذه الشقاوة نعلم أن الشقاوة فيكم طبع خامس وان أرجعنا الله¹²⁷بالسلامة يتعين علينا مقابلتكم بما تستحقوه وتجذوا غير ما مضى وأنتم بصلاح أمركم أدري وهذا التحرير منا نصح لكم وبالله التوفيق في ١١ ل 128 سنة ١١٤١ هـ

الحاج اسماعيل

محافظ الشام حالاً

التضييق على ابن سلطان

كانت الاسر الخليلية المنتمية الى الصف الكردي ميالة لآل النمر فهددوا بها الأسر المنتمية للصف التميمي فخضعت ثم استمالوها بواسطة القاضي الشيخ عمر العلمي والنقيب السيد عمر الاخرمي . وبعد ذلك ضيق الحاج محمد آغا النمر برجاله الخناق على ابن سلطان الذي تحصن في قصره وما زال محمد آغا يستقبل أنصاره وأعوانه ويقوم عليه الارصاد في الأزقة والمسالك الوعرة المحيطة بال سلطان الى أن اضطره على الهرب منها دون أن تسفك الدماء داخل المدينة وبعد خروجه من نابلس خرجت في اثره الخيل فوجد نازلاً في طمون أقطاع المشاقية المتمردين الذين صاروا يهاجمون الشقران ويحاولون الاستيلاء على باقي القسم الشمالي .

¹²⁷ كان في طريقه الى الحجاز

¹²⁸ ل أي شوال - راجع مخاطبات الامراء في باب الامارة من الجزء الثاني

القضاء على المشاقية

اتفق محمد آغا النمر مع الشقران للقضاء على المشاقية فباغتوا شيخهم وهو بيني قصرا له في ياصيد سخر فيه الرجال والنساء فقتلوه وقتلوا من دافع عنه من رجاله وعشيرته وقضوا على المشاقيين فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة . وأعيد اقطاع آل الرشيد فيما بعد للشباب الشيخ أحمد الباقي منهم فأهدى لآل النمر قرية مسلية التي ظلت من اقطاعهم حتى نهاية عهد الاقطاع ، واقتسم محمد آغا النمر¹²⁹ والشيخ جرار شيخ الشقران اقطاع المشاقية بينهما .

القضاء على النزالية

لما بلغ ابن سلطان خبر القضاء على المشاقية في ياصيد فرّ هاربا الى عرابه ونزل على النزالية هناك ، فخرج الحاج محمد آغا النمر بكتيبته وجموعه وانضم اليه الشيخ جرار بجموعه وهاجموا عرابه يطلبون ابن سلطان ولما رفض الشيخ النزالي تسليمه حل به وبعشيرته ما حل بالمشاقية واقتسم آل النمر والشقران اقطاعه وضم لآل النمر اقطاع دير الغضون والسيلة الحارثية وباقر المغربية الذي ما زال تحت يدهم الى آخر عهد الاقطاع .

تفريق الجرادات

بعد هدوء المنطقة الشمالية التفت محمد آغا الى المنطقة الجنوبية التي اضطربت على أثر مقتل العتوم والأجلق وأصبحت تهاجم الجرادات ، فجمع شيوخ البلاد فحكموا بإجلاء الجرادات وسكان عين الصورتين مفرقين . فنزل منهم آل جيري باشي ، والعبوة ، وغانب الحصني¹³⁰ ، وهواش ، وعوكل والبيت في نابلس . ونزل فريق في دير الغضون ، عرفوا بالصورة نسبة لعين الصورتين ، وفريق آخر نزلوا في السيلة الحارثية . وما زالوا يعرفون بالجرادات الى الآن . وقد عرف شيوخهم بأولاد صالح السليمان . وقد وقع نزاع بينهم على المشيخة في آخر عهد الاقطاع فنزل الشيخ أسعد الطاهر منهم في نابلس وعرفت ذريته بال طاهر ولا تزال .

اخضاع البدو

بعد أن تم لمحمد آغا القضاء على المتمردين في جبل نابلس جمع كل ما أمكنه من الجرود والجموع ونزل بهم الى غور بيسان وأحاط بالبدو هناك فأدبهم وأخذ عليهم العهود بأن لا يعودوا لغزو حوران وبذلك انتهت الثورة وشمل الهدوء جميع جبل نابلس وما جاوره .

¹²⁹ فاخذ آل النمر عصيره من ذلك الحين وامتد نفوذ جرار حتى طوباس فعرفت المنطقة الشمالية من ناحية نابلس بمشاركة الجرار من ذلك الحين. وبعض الروايات والتواريخ تنص على ان هذه الموقعة سابقة لهذا لتاريخ إلا ان الواقع كما هو

¹³⁰ وقد نزح فريق منهم الى دمشق فعرفوا بالحصني ولا يزالون

رجوع ابن سلطان وصلحه

كان صالح باشا طوقان متصرفاً على القدس حينما قتل نصوص باشا وقد عزل¹³¹بذيول الحادثة وحل عمر آغا النمر محله فكان هذا أول صدام بين آل النمر وآل طوقان ، وظلّ صالح باشا حاقداً على آل النمر ، ولما تحرك ابن سلطان شجعه وشجع حركة التمرد ، ولهذا فالوالي يقول في كتابه « وقد أخبرنا من يوثق به أن هذا الحالة أجبرتم وأكرهتم عليها » وفي كتابه المدروج هنا يقول ((ومن تابعه وأغاثه ظاهراً وباطناً وأغواه)) ، ولما اشتدت الثورة وظهر العصيان خذل صالح باشا ابن سلطان ، ولما قتل الشيخ النزالي هرب ابن سلطان وسلم نفسه لوالي الشام ، وادعى بأن صالح باشا طوقان هو الذي دفعه على الثورة وبعد هدوء الثورة وحوالي سنة ١١٤٤ هـ عفا عنه والي الشام وأطلقه فعاد لنابلس وطلب الصلح مع آل النمر بوجهه¹³²على رأسه القاضي الشيخ محمد التميمي والمفتي الشيخ مصطفى التميمي ، فقبل آل النمر الصلح وعفو عما حصل على شرط أن لا يثير آل سلطان فتنة أخرى في حكمهم .

وقوع الفتنة بين آل سلطان وآل طوقان

لما فضح محمد آغا سلطان المؤامرة التي تمت بينه وبين صالح باشا طوقان على آل النمر ، طلب الوالي الأخير الى دمشق ، فأنكر ما نسبته ابن سلطان اليه ، وقد أعجب الوالي به فعينه مير لواء على بعلبك فأغاض هذا الأمر ابن سلطان كثيراً ، ولما عاد لنابلس بدأ النفور بين آل سلطان وآل طوقان ، ولما شرع الشيخ ابراهيم بك طوقان ببناء القصر الاقطاعي عارضه آل سلطان بحجة غصبه الدار التي يقيم القصر على انقاضها من امرأة¹³³ من اقاربهم ، فانتصر باقي آل طوقان للشيخ ابراهيم بك ، وانتصرت عشائر أخرى لآل سلطان ، فاتسعت الفتنة وانقسمت البلد الى فريقين : فريق يناصر آل سلطان ؛ وفريق يناصر آل طوقان .

اجلاء آل سلطان

كان الواجب على آل سلطان مراجعة مجلس الشرع الشريف ، وعدم إثارة الفتنة ، ولأنهم لم يفعلوا فقد عد هذا العمل منهم اخلاقاً بشروط الصلح مع آل النمر حكام البلاد الذين اشترطوا في صلحهم معهم الهدوء فدعا آل النمر امراء ووجهاء نابلس بما فيهم الوجه الذي حصل¹³⁴ الصلح على يده ، فقررروا إجلاء آل سلطان عن جبل نابلس جميعه . ولما لم يذعن آل سلطان لذلك أحاط الحاج محمد آغا النمر قصرهم برجاله ،

131 ذكر المرادي في تراجمه قصيدة للسيد عبد الغني النابلسي يهدد فيها أهالي بعلبك بأعمال صالح باشا في فلسطين وبتطشه بعربانها جاء فيها :

أما عندكم علم بشدة بأسه
إني في فلسطين الرؤوس صوامعاً
وعن قتله العربان لم لا سألتكم
فهل هذه الاخبار ضلّت عنكم
132 راجع القانون العشائري في باب الامارة من الجزء العاني

133 كان احمد آغا طوقان يصلح جانباً في دار ابيه ابراهيم آغا جرجي فاشار ابن اخيه الشيخ ابراهيم على البناء برأي فلم يقبله عمه احمد آغا فاقسم ان لا ينام إلا في دار له خاصة فاعطى امرأة زيادة عن قيمة الدار واشتراها ونام بها فير يقسمه وعلى انقاضها بنى القصر إلا ان آل سلطان بغضاً بانه ادعوا أنه غصبها .

134 إلا ان القضاة التميميين احقدوها لآل طوقان لتشددهم بطلب اجلاء آل سلطان فتابوا عن آل سلطان في عداوتهم الي اخر عهد الاقطاع وما بعده كما سيأتي .



بوابة قصر آل سلطان وقد جدد بناءها الشيخ حسين عبد الهادي سنة ١٢٥٠ هـ و هي المعروفة في نابلس بدار سعيد الحسين

، ولما لم يسلموا ؛ اعتلى رجال محمد آغا اسطحة القصر وصاروا يهدمون العقود ، وبعد هدم ستة عقود استجارت النساء فأوقف الهدم وأذعن آل سلطان وجلوا الى خليل الرحمن . وقد برهن آل النمر أنهم إنما صالحوا آل سلطان عن مقدرة وتجنباً للانتقام ، فصبروا الى أن أجلوهم جميعاً¹³⁵ الى جانب أبناء عمهم مجالي الكرك ، قبل نحو نصف قرن .

انجاد المهائنية

استعرت في دمشق الفتنة بين الجند اليرلية والجند الانكشارية في اواسط القرن الثاني عشر ، فذهب ضحيتها أسعد باشا العظم وأكثر التركمان ، فاستنجد المهائنية ببني عمهم في نابلس ، فأجدهم محمد آغا النمر بألاي نابلس وجموع جبل نابلس من القرى والبدو ، فأنفذ اليرلية العرب وأمراءهم المهائنية وأوقف الانكشارية عند حدهم ، فتعدت شهرته الى دمشق .

وقد عاد ابواز بشه سلطان بعد ذلك بنصف قرن وسكن قصر اجداده ثم باعه ولده يوسف آغا سلطان للشيخ¹³⁵ حسين عبد الهادي وهذا أسكنه اولده سعيد افندي الحين ولا تزال ذريته فيه وهو المجاور لجامع الساطون في حارة الياسمينية

سائر أعمال محمد آغا وذريته

لقد هيات ثورة ابن سلطان محمد آغا الأسباب للقضاء على المتمردين فجدد الاقطاع والشيوخ ، وأوجد نظام الفتوى وصفات الفروسية ف المدينة والقرى ، وقضى على جميع الأشقياء هو وابن أخيه مصطفى آغا بالحكمة والتأديب ، ورفع المستوى¹³⁶ الأخلاقي الى حدّ عظيم فرتعت البلاد بعد ذلك في عصر ذهبي زاهر مات في منتصفه حوالي سنة ١١٧٠ هـ وقد ورث بطولته ولده إبراهيم آغا ، وحفيده محمد آغا اللذان أصبحا هم ورجاله. سيوف آل النمر ينقذونهم من المازق الحرجة ، وقد رفعوا رأس نابلس عاليًا ، واطهروها بأسمى وأقوى مظاهر القوة .

الفصل الثامن

الصدر الأمد عمر آغا اليوسفي النمر

سياسته ومكائنه

هو ابن الحاج علي آغا جوربجي النمر ، أشركه معه في المتسلمية من صغره ودربه على حل المشاكل ، فوقف في أول شبابه على عرف البلاد وعاداتها ، فشب إدارياً محنكاً ، وقد ترك الانتساب للجوربجي اللقب العسكري ، وانتسب لجدّه الأمير يوسف فاشتهر باليوسفي ، وصار الأمراء العسكريون من آل النمر يشتهرون بالجربجية ، والأمراء الإداريون يشتهرون باليوسفيين ، ومنهم من يجمع النسبين ، ثم عادوا للانتساب الى نسب القبيلة القديم فوحدوا نسبهم جميعاً ، ومنهم من كان يجمع الثلاثة معاً فيقال فلان آغا جوربجي¹³⁷ اليوسفي النمر .

وقد سر الجوربجي من نبوغ ولده عمر آغا ، فاعتزل وصار يشرف على الحكم إشرافاً ، ولما طلب منه التحقيق في مقتل نصوح باشا عهد به لولده عمر آغا فظهر اسمه وسر منه والي الشام ، فعينه متسلماً على الرملة وبعد إلغاء متصرفية القدس عين قائمقاماً على القدس ، فظهر من الحنكة والدراية ما أدهش ولاة الشام ، ولما ثار جبل نابلس عين لإخماد الثورة فوفق لذلك كما مر بمساعدة أخيه محمد آغا ، ولما كبرت سنه عهد بحكم القدس لولده مصطفى آغا وبحكم نابلس لولده اسماعيل آغا ثم لحفيده قاسم آغا .

وكان عمر آغا اليوسفي سياسياً حكيماً مسالماً ، يعمل على جمع كلمة البلاد ، فقد استمال كثيراً من الأسر بسياسة المصاهرة ، فصاهر بنفسه أولاً أمراء أسرته الجعافرة ، وطوقان ، وأمين الدين العمري ، وآل الشافعي ، وجدّد مصاهرة العلمية في القدس ، واستمال أسراً أخرى باشتراكها في حكم القدس ونابلس فعين صالح بك الشافعي مير ألياً لألاي

¹³⁶ راجع فصل الصفات الفروسية في باب الامارة ، وفصل رقي المجتمع في باب أحوال المجتمع من الجزء الثاني

¹³⁷ راجع الوثائق التجارية في فصل المعاملات التجارية في باب التجارة من لجزء الثاني .

نابلس ، وبعد وقوع الفتنة بين الجيايسة عين مصطفى بك ابن الشيخ ابراهيم بك طوقان شيخًا على بني صعب ، وولى علي بك بن مصطفى بك جبيري باشي مير ألياً لألاي القدس ، وحسين بك كنعان من نابلس ولاه إحدى زعامات ألي القدس . وقد استمال أسرا وعشائر أخرى بالصفح مع المقدرة وبالإحسان فقد صالح ال سلطان ، واستمال بعد ذلك الأسر والعشائر الخيلية بنابلس وأدخل قسماً كبيراً منهم في ألي نابلس ، وصفح عن كثيرين ممن اشتركوا بالثورة ، واستمال شيوخ القرى والنواحي بعد القضاء على الشيوخ المتمردين ، فتوثقت العلاقات في عهده بين آل النمر والشقران والرشيدات بعد القضاء على المشاقية والنزالية وكذلك بينهم وبين بني غازي في جماعين بعد تفريق الجرادات ومع ذلك فقد أعطى الجرادات اقطاع آل النمر في دير الغضون والسيلة الحارثية وأعطى الذين نزلوا في نابلس بعض الأراضي والأملاك فظلوا جميعاً من أخلص أصدقاء آل النمر ، وسيظهر تفادي آل هواش في عصر موسى بك .

وكان اليوسفي كسائر امراء أسرة آبائه واجداده سلفياً ييغض الحزبية فعامل الجميع معاملة متساوية فالتفوا حول بيته . وكان أعرف من حكموا نابلس بعقلية النابلسيين فساسهم كما يجب ان يساسوا فأجلوه واحترموه وقد دهش بسياسته ومقدرته¹³⁸ ولاة الشام ، ففوضوا اليه حكم الألوية الجنوبية كلها ، واصبحت تدار بإشرافه ولا يعين حكامها إلا برأيه وصار الوزراء وأمراء الحج يخاطبونه بالأخ العزيز وفي المكاتبات الشعبية كان يخاطب بالصدر الامجد .

وقد قام اليوسفي بكثير من المشاريع والاعمال وعم الامن في عهده جميع البلاد التي يحكمها او يشرف عليها لا سيما القدس ونابلس واللد والرملة وقد عظم نفوذه في البلاد المجاورة فسارت القوافل بأمان في طول البلاد وعرضها فبلغت متاجر نابلس قلب الأناضول ، وبلاد المغرب ، والسودان ، واليمن ، والحجاز ، والبحرين ، والهند ، وبغداد ، وبلاد الموصل ، والأكراد ؛ وازدحمت أسواق نابلس التجارية بالبضائع والمكاتب التجارية ، وازدحمت صناديق اهلها بالكنتوز والحلي واللؤلؤ والمرجان وترعت نابلس والقدس في عهده وعهد أمراء أسرته بعصر ذهبي زاهر دام أكثر القرن الثاني عشر . وقد كان أخوه محمد آغا لا يقل عنه وكذلك ولداهما مصطفى آغا و ابراهيم آغا الآتي ذكرهما

حكمه في القدس والمقاطعات المجاورة

لم يكن حكم القدس كحكم نابلس فإن احتاج الأمير إذ ذاك في حكم نابلس الى الحكمة والعصية والمعرفة بعقلية النابلسيين ونفسياتهم . فإنه يحتاج فوق هذا في حكم القدس الى الوقوف على عادات وأحوال اتباع الأديان الأخرى لا سيما طوائف النصرى وصلتهم ببعضهم ، ويحتاج الى القوة والمقدرة الكافية للحيلولة دون العدوان على زوار النصرى الأوروبيين وعلى إقرار الأمن في المواسم والأعياد ، ولهذا فقد نزل الحاج علي الجرجي في القدس ليساعد ولده عمر آغا الحاكم الشاب على حكمها ، وقد كان لال النمر في القدس أحوال محترمون وهم آل العلمي ، فساعدهم ذلك في حكمها ، وقد كان اليوسفي على جانب عظيم من المقدرة فجدد ألي القدس بمساعدة ال الدردار¹³⁹ العسلي واستمال الأسر والعشائر الكبيرة واضطر شيوخ القرى على التعهد بالمحافظة على زوار النصرى حين مرورهم من جوار قراهم . وقد وفق

¹³⁸ وقد ساعد اليوسفي الحظ باضطراب ولاية الشام وعصيان ظاهر العمر وفعنة اليراية والانكشارية ولو أراد الاستقلال عن والي الشام لفعل كما سيظهر في الباب الآتي

¹³⁹ الدردار كلمة فارسية معناها المحافظ لانهم كانوا يحافظون على قامة القدس .

لحل مشاكل الطوائف المسيحية بكل حكمة فسروا منه ووثقوا به حتى كانت الهدايا والصر¹⁴⁰ تأتي تحت يده وتوزع بمعرفته لا سيما صر الروم أكبر طوائف ذلك العهد . وقد قطع دابر اللصوص والأشقياء وأصبح الأمن في جبل القدس كجبل نابلس وارف الظلال معدوم النظير في ذلك العهد المضطرب وقد ولى حكم المقاطعات المجاورة لأمرأه يثق بهم من أهلها ومن أمرأه القدس ونابلس ، فكانت غزة وبيافا والخليل واللد والرملة تدار بإشرافه وتسير على خطته وقد اتصل بأبناء عمه في الكرك ، وكان لتأمين طريق الحج يتدخل في البلقاء فشمّل حكمه سوريا الجنوبية كلها وقد قام بمشاريع عمرانية وأعمال خيرية عامة حسنت مرافق البلاد وأسعدتها .

المشاريع العمرانية والأعمال الخيرية

كان عمر آغا عمرانيًا محبا للخير قام بمشاريع عمرانية وأعمال خيرية في جميع البقاع التي حكمها أو أشرف على حكمها . وقد قام بكثير منها من ماله الخاص ، فعمر في سور القدس باب الأسباط وباب السور ومقام الشيخ محمد العلمي وجامعه في الطور . وكان ماء القريون في نابلس يجري من واد عميق تنصب عليه الجسور للمرور من جهة الى جهة ، فقام بردمه ، ورفع مجرى الماء فاستفادت¹⁴¹ منه مساجد البلد كلها بعد أن كانت لا تنتفع منه بشيء إذ كانت تأخذ من ماء رأس العين وعين العسل البعيد المكتشف . وقد أصلح الجانب الشرقي والشمالى من الجامع الكبير ، وأجرى سبل الماء والعيون في أنحاء نابلس كلها ، وقد أصلح الطرق والجسور والمدارس ، وضبط أوقاف المساجد في البلاد التي يحكمها أو يشرف عليها ، وأعمر المساجد والخانات ، وحض على إيقاف الأوقاف ، وحسن أحوال أهل العلم ، وأخذ العهود على شيوخ النواحي بالمحافظة على الأمن في نواحيهم ، وأخذ العهود على حكام وأمرأه البلاد المجاورة للمحافظة على القوافل التجارية في ذهابها وإيابها . وقد قطع الغزو بين البدو ، وأخذ عليهم العهود بعدم العدوان على الخارج ، فساعده هذا على أخذ العهود على بدو الخارج في حوران والجولان والجهات المجاورة بالمحافظة على القوافل التجارية فازدهرت التجارة ايما ازدهار . وكان لأعماله الخيرية ، لا سيما المحافظة على الأوقاف ، وإصلاح المساجد وإصلاح أحوال أهل العلم فضل كبير في نضوج النهضة العلمية التي غرسها جده الأمير يوسف . وكان لسهر الأمراء العسكريين وسائر الحكام في باقي المقاطعات فضل كبير على الأمن الذي ضرب به المثل وحمل كثيراً من التجار ومهرة الصناع على المجيء الى القدس ونابلس ، لا سيما نصارى الشام والقدس فأنتت أسر كثيرة بطلبه أو برغبتهم ، من الحجاز والشام ومصر والعراق ، فازدحمت نابلس والقدس بالسكان من الصناع والتجار ، ورتعت في عصر ذهبي جعل امارة اليوسفي كواحة في بطن صحراء ، فكانت جنة بينما البلاد المحاورة تعج فيها الفتن العظيمة :
ففي مصر فتن المماليك ، وفي دمشق فتنة البرلية والانكشارية ، وفي الحجاز يذبح البدو الحجاج ، وقد بلغ بهم ذبح أمير الركب بالذات وظل ملقى بلا دفن ثلاثة أيام .

¹⁴⁰ الصر هو المال المعدوم المصروع وكان هذا الصر والهدايا يأتي هبات لنقارى القدس من البطارقة والملوك .

¹⁴¹ وقد جر الى داره من ماء القريون فوجد الفقيه والشادروان الذي يعطي ارقى نموذج في البناء ؛ راجع فن البناء في باب العلم من الجزء الثاني .

العصر الذهبي

بدأ الاستقرار في جبل نابلس بعد قتل نصوص باشا الذي كان سبباً في حصول آل النمر على القوة والثقة ، ثم انضمت إليهم الامارة العسكرية وحكم القدس ، فازدادوا قوة على قوة ، وقضوا في الثورة على الشيوخ والزعماء المتمردين ، وقبضوا على ناصية الحكم ، وأصلحوا الاحوال ، وقضوا على الشقاوة فبدلوها بالفتوة ، وقضوا على التمرد وبدلوه بصفات الفروسية ، وساعدوا العلماء ، وأمنوا طرق التجارة ، فنمت البلاد وازدهرت واندمجت فأصبحت كأنها أسرة واحدة خالية من عناصر الفساد، ترتع في أمن وسعة ، فضجت في هذا العهد النهضة التي قام بها الأمير يوسف مادة ومعنى .

باتت نابلس مقر الامارة في سوريا الجنوبية كلها ، وأصبحت مركزاً كبيراً كحلب وبغداد والموصل ودمشق ، فكان يفد إليها الطلاب من كل صوب لتلقي دروس العلم عن فحول علمائها¹⁴² وأساتذتها الكبار : الشرابي ، والطوقاني ، والتميمي ، والقنومي ، والبسطاي ، والحنبلي والجعفري ، وهاشم الجعفري ، والجوهري ، والخماش ، والعقرباوي ، واللبيدي ، وابن مكية ، والباقاني ، وعالمها الكبير السفاريني . وكان أصحاب المسائل يفدون إليها لاستفتاء مفاتيحها الكبار ابن مكية ، والسفاريني ، والتميمي .

وكان يفد إليها الأشراف والسادات¹⁴³ من صيدا وبعليك وبيروت لتسجيل أسمائهم وأنسابهم ، وأخذ التوصيات اللازمة للحكام من قائمقام نقيب الأشراف السيد عمر الاخرمي

ويقفد إليها الصوفيون للأخذ عن خلفائهم وكبرائهم الحاج علي جورجني النمر ، والشيخ عبد الغني مكية ، ثم السيد مصطفى البكري الدمشقي الذي كان نازلاً فيها ، وعمن تولوا خلافة الصوفية بعده .

وكان التجار يأتون إليها من مختلف الجهات لتنظيم علاقاتهم مع تجارها¹⁴⁴ وخواتمها الكبار من آل العمر ، والبشتاوي ، وعبد الرزاق طوقان ، وشويكة ، ومرواد ، ويعيش .

وكانت القوافل تصدر¹⁴⁵ منها مثقلة بمنسوجاتها القطنية والصوفية ، ومصنوعاتها النحاسية والفضية والحديدية وصابونها الممتاز ، وبمنتوجاتها من النيلة ، والحبوب ، والفواكه المجففة ، فتنجبه الى مختلف الجهات ، ثم تعود مثقلة بحاجاتها من الاسلحة المزركشة بالذهب والفضة ، والمرصعة بالأحجار الكريمة ، ومن الملابس الكثيرة والحريرية ومن الحلي والذهب والمرجان ، ومن السجاد والخيول الأصيلة .

وفي هذا العصر السعيد اختزنت نابلس قوتها النفسية وكنوزها الذهبية وعلومها وفنائها ، فكانت تدهش زائرها بقصورها الاقطاعية ومساجدها ومدارسها ومكتباتها ، وحلقات علمائها ، وكتبيتها العربية بفرسانها وفتيانها . وإن كان الزائر من ذوي المكانة حضر مجالس علمائها الاعلام فازداد دهشة من مباحثاتهم في الأمور العلمية الدقيقة ، وحضر مجالس أمرائها من النمر والشافعي وطوقان وشهسوار ، فسحره أسلوبهم الرقيق ونبههم الممتاز . وحضر مجالس خواتمها¹⁴⁶ الكبار ، فأصغى الى مباحثاتهم عن المتاجر والصادرات والواردات ، وعلاقاتهم بالخارج .

¹⁴² راجع تراجم علماء هذا العهد في باب العلم من الجزء الثاني .

¹⁴³ راجع فصل الأشراف في باب الحكومة من الجزء الثاني

¹⁴⁴ راجع فصل التجار في باب التجارة من الجزء الثاني

¹⁴⁵ راجع فصل المتاجر والواردات والصادرات في باب التجارة من الجزء الثاني

¹⁴⁶ الخواجة لقب شيخ التجار في ذلك العهد

وباحثوه عن بلاده وما تنتج وما تحتاج ، وقد يجرم الحديث الى البحث عن غيرها ، فيجد عندهم من العلم عن البلدان¹⁴⁷ والأقطار النائية ما لا يجده عند غيرهم . وان صادفت زيارته نزول باشا الدورة في منزله بنابلس شاهد مواكب شيوخ النواحي والبدو بخيولهم العربية وملابسهم المزركشة التي تلفت الأنظار برونقها وبهائها .

وإن دخلت زوجته المقاصير¹⁴⁸ شاهدت الستات¹⁴⁹ نساء الأمراء والخواتم وبناتهن وحولهن الجوارى والخاديات يعنين بالبيوت ويسهرن على تربية أولادهن تربية الفتوة العالية ، ويقطعن الوقت بأشغالهن اليدوية الحريرية والقطنية لزر كشة البيوت وتزينها بفاخر الأثاث والريش . وان سررن منها أطلعنها على حليهن الثمين من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والخواتم المرصعة بالزمررد والياقوت ، وعلى السلاح ذي القبضات الذهبية والحمايل المزركشة ، وعلى التحف الثمينة من الكؤوس والأواني الذهبية والفضية والمقالم والعلب¹⁵⁰ الصغيرة الثمينة ، وتشاهد في سقف المقصورة الثريات والمصابيح المزركشة ، وعلى الجدران المصاحف الشريفة ذات الأغلفة المزركشة ، وتحتها الأسلحة الحربية . وحيثما تجول الزائر شاهد الخانات¹⁵¹ ، وأماكن القوافل ، والمعامل ، والمصانع ، والمصابن ، والمخازن المزدهمة بالمتاجر ؛ وشاهد الخيول المطهمة والفرسان والعدائية الذين بارزوا - قبل ذلك وبعده - أبسل رجال عصرهم ؛ شاهد عمراننا وسودداً ، وإمارة عربية مزركشة بالألقاب العثمانية تتمتع بالعزة والمتعة القومية الكاملة . هكذا كانت نابلس يوم فقدت¹⁵² أميرها الكبير عمر آغا اليوسفي وولده مصطفى آغا النمر ، فطمع فيها الطامعون وتوالت عليها السنون :

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يعزَّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرّه زمن ساعته أزمان

هو أكبر أبناء عمر آغا اليوسفي النمر ونائبه في الامارة والحكم في نابلس والقدس ، درّبه والده على الحكم صغيراً وأنابه عنه في حكم القدس سنة ١١٤١ هـ حينما نقل الى نابلس لإخماد ثورة ابن سلطان ، وظل يحكم القدس الى سنة ١١٤٣ هـ ، فعاد اليها أبوه وعين هو لنابلس ، وكان لا يزال صغيراً ، وكان عمه الحاج محمد آغا لا يزال مشغولاً بإخماد باقي الثورة وتعقيب أشقياء الخارج ، فاستهان به النابلسيون ، فكثرت اللصوصية ، وتمرد شبان نابلس ، وفقد الأمن ، فصار ينزل الى الحراسة بنفسه ويكمن برجاله في الأزقة ، تقبض على الأشقياء الواحد تلو الآخر ، وقد أظهر من الأساليب العجيبة في القبض عليهم وبتأديبهم ما حدا بالعامّة للاعتقاد بممارسته السحر ، وقالوا إنه يحبس الجان في القمام¹⁵³ ، الى غير ذلك من الأفكار والإشاعات التي راجت بين العامة وتنفقت الى عصرنا الحاضر ، وقد أوجد نظام

147 راجع بحثٌ معرفة البلدان من باب العلم في الجزء الثاني

148 راجع أحوال المجتمع في الجزء الثاني

149 الستات بدلاً من السيدات ، هكذا كان الاصطلاح - راجع مبحث الألقاب .

150 المقالم جمع مقلمة أي محل وضع الأقلام ، والعلب جمع علبة ومنها ما يكون للنشوق ومنها ما يكون للعطور

151 جمع خان وهي الفنادق اليوم ، وكانت تسعى الوكالات أيضا فيكون الطابق الأول للخيل والثاني والثالث للمتاجر ونزول التجار والمسافرين

152 مات عمر آغا النمر حوالي سنة ١١٨٠ وقد مات ولده مصطفى آغا النمر في السنة التالية .

153 هذا مثل قديم ضربه أبو بكر الصيرفي عن موقف أبي الحسن الأشعري من المعتزلة فقال (كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم) فذهب مثلاً وحول الى القمام ، وهي الأنابيب المسدودة من طرفها والمفتوحة من الطرف الاخر ، وقد قيل هذا عن مصطفى آغا مناسبة قبضه على أبناء ربحان السبعة وأبيهم الذين أدخلوا بالامن

الفتوة بين شبان نابلس فشغلوا به عن التمرد والشقاوة ، وأصبحت اللصوصية عارا كبيرا ، فاستتب الأمن الى حدٍ عظيم ولما كبر أخوه اسماعيل آغا ترك له حكم نابلس وتولى هو حكم القدس حيث كبر سنّ والده فأوجد في القدس من الأمن ما أوجد في نابلس ، إذ أن بعض أشقياء نابلس انتقلوا اليها . وجدد العهود لحماية الزوار النصارى على القرى الأتية : بيت اكسا ، وبيت أونية ، وبيت حانيا ، والبيرة . وقد كان لأبيه كالظل وكانت كل أعماله بمشورته ، فقضى عمره حاكماً عادلاً وأميراً فروسياً محبوباً ، وقد كان نزاعاً الى البداوة شغوقاً بنظم الفتوة وأساليها ، فكان يعرف ما تقصد العجاوات والطيور والوحوش في أصواتها مما يعده علماء الغرب اليوم من الابتكار والنبوغ ، وقد انتسب للنمر نسب القبيلة القديم ولم ينتسب للجرجي واليوسفي ، وقد تغلب هذا النسب فيما بعد على العائلة كلها .

وقد مات مصطفى آغا حوالي سنة ١١٨٣ هـ عن أولاد أربعة وهم :

حسن آغا وعبد اللطيف آغا وعبد الصمد آغا وعلي آغا ، وقد كان الأول خير مثالي لابييه وجده فخلفهما كما سيتبين .

اسماعيل آغا النمر

هو ابن عمر آغا النمر كان ينوب عن عمه محمد آغا في امارة الألاي فشهد إحدى الحروب العثمانية الروسية فأنعمت عليه الدولة بأقطاع خاص في بساتين نابلس الذي كان يسمى بالمالكانة أي الملك الخاص ، وبعد موت عمه تولى امارة الألاي ، ولما نقل أخوه الى القدس تولى متسلمية نابلس مكانه تاركاً امارة الألاي لصالح بك الشافعي . وقد ظل متسلماً على نابلس الى حوالي سنة ١١٧٧ هـ فمات وتولى مكانه ولده قاسم آغا الذي هاجم ظاهر العمر نابلس في عهده .

ابراهيم علي آغا جورجي النمر

هو ابن الحاج محمد آغا الجورجي المار الذكر كان وكيلاً للمير الألاي صالح بك الشافعي ، ثم صار أميراً للألاي بعد موته ، ولما مات عمه عمر آغا وابن عمه مصطفى آغا تولى حكم القدس تاركاً امارة الألاي لحسن آغا ابن مصطفى آغا ، وفي هذا الظروف هاجم ظاهر العمر نابلس فاشترك ابراهيم آغا النمر في رده ، وقد أعطي رتبة أمير الأمراء مع لقب باشا فرضه لخلافه مع الوالي عثمان باشا ومع مصطفى باشا طوقان وقد قضى عمره في عداة مع البيكات من ال طوقان فجره ذلك للتمرد على أوامر السلطان والصدر أعظم كما سيأتي .

الحاج علي آغا اليوسفي النمر

هو ثالث أبناء عمر آغا وأصغرهم ، كان ثرياً حكيماً وكان قاضياً عشائرياً وأحد الخبراء في المسائل الشرعية ، وكان مساعداً لابن عمه قاسم آغا ، وقد أنجد الجزائر في عكا حينما هاجمه الإفرنسيون . فعين أميراً لجردة الحج ثم متسلماً على القدس الى أن مات سنة ١٢٢٦ هـ عن ولده أحمد آغا الآتي ذكره .

في نابلس والقدس ، وتفلتوا من السجن مراراً فقبض عليهم أخيراً وسجنوا الى أن ماتوا في بيت صغير مكبلين بالاصفاد، وكان مصيرهم عبرة لجميع الاشقياء فتابوا وأنابوا .

الباب الرابع

الهجوم الخارجي والتنافس الداخلي

الفصل الأول

أحوال الولايات المجاورة

احوال ولاية مصر

بعد زوال دولة المماليك بقي بيدهم الضياع والاقطاع وظلوا اصحاب النفوذ وكل ما كان للدولة في مصر بضعة آلاف من الانكشارية ووال ينزل في القلعة ، ليستلم الاموال المطلوبة وكثيرا ما قتله المماليك اذا تدخل في شؤونهم او حاول اصلاحهم . وكانوا في كل وقت يحاولون الاستقلال عن الدولة إلا ان انقسامهم كان يحول دون ذلك وقد انقسموا بعد الفتح العثماني الى فرقتين احدهما برئاسة احد أمرائهم قاسم بيك سميت بالقاسمية والاخرى برئاسة ذو الفقار بك سميت بالفقارية وقد ظلت هاتان الفرقتان في نزاع الى ان فازت الفقارية على القاسمية سنة ١١٤٢ هـ وبعد فوزها انقسمت الى عدد من الفرق كل منها تطلب السيادة والنفوذ برئاسة احد بيكات المماليك الكبار وفي سنة ١٠٨٠ هـ فازت فرقة علي بك الكبير على جميع الفرق فقبضت على ناصية الحكم في مصر واتفق رئيسها علي بك مع دولة روسيا واعلن استقلاله بمصر . وفي سنة ١١٨٤ هـ ارسل مملوكه ابو الذهب الى الحجاز فاستولى عليها وصمم علي بك على ارجاع دولة المماليك حاول الاستيلاء على سوريا ، إلا ان هذه المحاولة قضت عليه ، لأن قائده أبو الذهب انقلب ضده مع الدولة العثمانية كما سيتبين .

احوال ولاية الشام

استقر آل العظم¹⁵⁴ في دمشق في القرن الثاني عشر الهجري وصار الولاة يعينون منهم في غالب الاحيان . والراجح ان أولهم اسماعيل باشا العظم الذي مر زكره في ثورة ابن سلطان . ثم ظهر بعده اسعد باشا العظم الذي وقعت في عهده الفتنة بين اليرلية والانكشارية فذهب ضحيتها وكانت سبباً في تمرد حكام الألوية على والي الشام وظهر بعده سليمان باشا العظم الذي سمه ظاهر العمر . وقد ظهر بعد هذا سعد الدين باشا العظم الذي قتل في قونية فظهر بعده محمد باشا العظم الآتي ذكره . وقد كان حكمهم مضطرباً لضعف الدولة العثمانية ودسانس دولة روسيا .

احوال جبل لبنان

نزل الشهابيون¹⁵⁵ في وادي التيم في عهد الايوبيين فصاهروا المعنيين امراء لبنان .

وفي سنة ١١١٨ هـ مات الامير احمد المعنى آخر الامراء المعنيين فورث اماره لبنان بعده حفيده من جهة الأم الأمير ملحم الشهابي وكان هذا قيسياً متطرفاً فرأى وجوب القضاء على الحزب اليميني في لبنان لأنه سبب ضعف المعنيين من قبل فقضي مدة حكمه في حرب مع هذا الحزب وقد تولى الإمارة بعده ولده الامير منصور الذي سار على سياسته مدة اربع وعشرين سنة تنازل في نهايتها لابن اخيه الأمير يوسف الذي ولاه الامارة رسمياً عثمان باشا الكرجي والي دمشق واستعان به لمحاربة جبل نابلس فخذل بخذلانه فانقلب عليه وحاربه فغلبه وكان سبب عزله ، وفي عهد الامير يوسف ظهر امر الجزار وظاهر العمر ، فخرج من يد الشهابيين الساحل جميعه وما زالوا بعد ذلك في نزاع مع الامراء الثانويين

154 اختلف المؤرخون في اصل آل العظم فمنهم من قال انهم اترك ومنهم من قال انهم اكراد

155 هم من بني مخزوم من قریش

رغم تدينهم بأديانهم ومذاهبهم الى ان فقدوا نفوذهم فقدا تماما . وقد قسم لبنان بعد ذلك الى شمالي وأمرأوه آل أبي اللمع المسيحيون ، والى جنوبي وأمرأوه آل أرسلان التنوخيون .

ظاهر العمر الزيداني

يقال ان رجلاً من بني زيد في جبل القدس وقيل من قرية بلاطة في جبل نابلس نزل هو واخوانه في صدف واتصل بالشهابيين فاحبوه ووثقوا به فولوه حكم صدف وقد اشتهر بالزيداني والقبلاوي¹⁵⁶ ثم حكمها بعده ولده ظاهر العمر الذي اغتتم فرصة انشغال الشهابيين في النزاع الحزبي وانشغال ولاة الشام بالفتنة البرلية فعصى في صدف واستولى على عكا وحيفا والناصره وجبل عجلون . واتفق مع علي بك الكبير امير المماليك ومع حليفته الروسية فاستفحل امره . ولما هاجمه والى الشام سليمان باشا العظم قتل اخوه فانسحب الى عرب عنزه ودرس السم على الوالي المذكور فقتل به وعاد بعد ذلك الى اسوأ مما كان فهاجم دمشق هو وأبو الذهب قائد المماليك ثم هاجم جبل نابلس وما زال متمردا الى ان قضي عليه وعلى اولاده سنة ١١٩٠ هـ كما سيأتي .

عثمان باشا الكرجي

هو مملوك سعد الدين باشا العظم كان متسلماً على حماة يعرف بعثمان اغا فلما نقل سعد الدين باشا المذكور الى سيواس اخذه معه ولما قتل سعد الدين باشا في قونية طلب عثمان اغا هذا الى استانبول للمحاسبة فاعجب به الوزراء وعينوه والياً على ايبالة مصر على شرط اخضاع ظاهر العمر والمماليك . وكان والى الشام إذ ذاك محمد باشا العظم مع الراكب الشامى في الحجاز فأمد مصطفى بك طوقان وساعده على مقاومة الظاهر ، فنجح برده ومقاومته وكان عثمان باشا هذا يطعم بولاية الشام فتامر هو ومصطفى بك طوقان على عزل محمد باشا العظم فنجحاً إلا ان الدائرة دارت عليهما فعزل عثمان باشا وعاد محمد باشا لولاية الشام كما سيأتي .

الفصل الثاني

أحوال أمراء وشيوخ جبل نابلس

آل النمر

نظراً لأهمية القدس وصعوبة حكمها أصبحت تهتم آل النمر بعد انضمامها اليهم بالدرجة الأولى ، وصار كبارهم ينزلون فيها ، فقد نزل فيها الحاج علي الجرجي وولده عمر آغا ، ثم عمر آغا وولده مصطفى آغا، وبعد موتها نزل فيها

156 نسبة الى جهة القبلة

كبيرهم إذ ذاك ابراهيم اغا وولده محمد آغا ، وبقي في نابلس شبان أكبرهم قاسم آغا حفيد عمر آغا . وكان بيكات الطوقان في نهضة فطمعوا بحكم نابلس وساعدهم على ذلك هجوم ظاهر العمر عليها ومجي عثمان باشا الكرجي لولاية الشام ، ثم موت قاسم آغا النمر متسلم نابلس الشاب . فاضطر آل النمر الى إشراك آل جرار في حكم نابلس والاتفاق مع ظاهر العمر للتخلص من البيكات ، ثم أعادوا مشيخة بني صعب للجيايسة ، ولما عاد البيكات لحكم نابلس تركوا حكم القدس وصمدوا لهم وجهاً لوجه فوق وقع الصدام الذي لا مفر منه والذي أطمع الشيوخ بالحكم والامارة ، فجر هذا الى الحروب والثورات وتدخل الولاة ، ففقد جبل نابلس استقلاله الذاتي ، وانحدر من قمة المجد والنهوض الى هاوية الانحطاط والتقهقر . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

آل الطوقان

اختلف في اسم طوقان فمن قائل : إنهم شيوخ الموالي من الفضل الطائيين كانوا يضعون طوقين في أعناقهم تميزاً لهم عن عشيرة الموالي النازلين بينها ، ومن قائل إن الطوقين من الدولة العثمانية¹⁵⁷رتبة حسب الأصول المتبعة ، وعلى كل حال فلا خلاف في أن طوقان نسبة الى طوقين .

كان الطوقان في الجولان فجاءوا مع حملة عبد الله باشا النمر الى نابلس ، وأول من يعرف من أجدادهم عبد الله الذي يقال إنه دفن في مادبا في قرية تسمى بقبر عبد الله ثم ولده ابراهيم الذي مات عن ولدين ، وهما : عفيف والحاج محمود ، ومنهما آل طوقان جميعاً كما يتبين من الفروع الآتية وهي :

١ - آل خليفة - خلف عفيف بن ابراهيم ولداً اسمه خليفة وقد عرفت ذريته فيما بعد بال خليفة ولا تزال

٢ - خضر ورحال - أما الحاج محمود فقد خلف أربعة أولاد ، وهم :

رحال ، وعلي ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، فعرف فريق من ذرية الأول بال رحال الذين فقدوا نسبتهم لطوقان ، وقد تفرع منهم فرع عرفوا بال خضر الذين انقرضوا في القرن الحاضر ؛

٣- آل سعيد - أما علي ابن الحاج محمود فقد عرف بالشيخ علي لأنه كان يشتغل بالمسائل الشرعية والدعوى ، وقد مات قبل والده الحاج محمود عن ولدين وهما : حسن ومحمد اللذان وهب اليهما جدهما داراً ومالاً ، وقد مات الأول بلا عقب ، ومات الثاني عن ولد اسمه سعيد عرفت ذريته بال سعيد الذين صار منهم ضباط على جنود موسى فقتل بعضهم في عصره والآخرين انقرضوا .

٤ - عبد الرزاق والعثمان - أما عبد الرحمن ابن الحاج محمود فقد أدخله والده في جردة الحج حين نزول الامير عساف في نابلس فصار ضابطاً بلقب بشه ، ثم صار ولده يوسف ميراً لياً بلقب بك فكان أول من لقب بهذا اللقب من آل طوقان

¹⁵⁷ كانت قبيلة الموالي تعيش بين قبيلتي استاجلي والحريري على حدود الاناضول وكانت اول عشيرة عربية اتفقت مع الاتراك العثمانيين والراجع ان الدولة العثمانية اعطت امراءهم من الفضل رتبة امير الامراء وطوقين فعرفوا بطوقان اي ذوي الطوقين

، ولقبت به ذريته الى آخر القرن الثاني عشر ، فتركوه ولقبوا بالخواجه لاشتغالهم بالتجارة ، وقد تفرع منهم العثمان والخواجه .

٥- الخواجه - توالث مشيخة التجار في فرع من آل عبد الرزاق طوقان فعرفوا بال الخواجه نسبة للقب الذي اعتيد استعماله لشيوخ التجار ، وقد تركوا نسبتهم لطوقان .

٦- الأغوات - وأدخل الحاج محمود ولده ابراهيم في جردة الركب الشامي فصار زعيماً بلقب آغا جرجي وكذلك لقب أولاده فيما بعد وهم ثلاثة أحمد آغا ومصطفى آغا وصالح آغا ؛

البيكات - اشتغل أحمد آغا ومصطفى آغا بالتجارة والأملآك ، وسارت ذريتهما فيما بعد كذلك وعرفوا بالأغوات ؛ أما صالح آغا فانه التحق بامير الحج فعينه متسلماً لاحدى النواحي ثم متصرفاً على القدس فصار يعرف بصالح باشا ، ثم فصل على اثر الغاء المتصرفية بعد قتل نصوص باشا ونهب جردته فعاد للاشتغال بالتجارة في نابلس ولما اتهمه ابن سلطان بالتحريض على الثورة وتبرأ منها ، واعجب به والي الشام فعينه ميرلوا على بعلبك التي لما ثارت عليه وادبها وبطش فيها ، عظمت سطوته وخشيته والي الشام سليمان باشا العظم فسمه سنة ١١٥٥ هـ ، ولما شعر بالسم أسرع بالمجيئ الى نابلس فمات فيها ودفن في مقبرة ال فروخ جوار السارية القديمة وقد لقب ابنا صالح باشا بالبيكات ، وكذلك عرفت ذريتهم من بعدهم ولما تألق نجمهم اختفى جميع بيكات نابلس الكثيرون واصبح هذا اللقب خاصاً بهم فاذا قيل البيكات عرف هذا الفريق من آل طوقان .

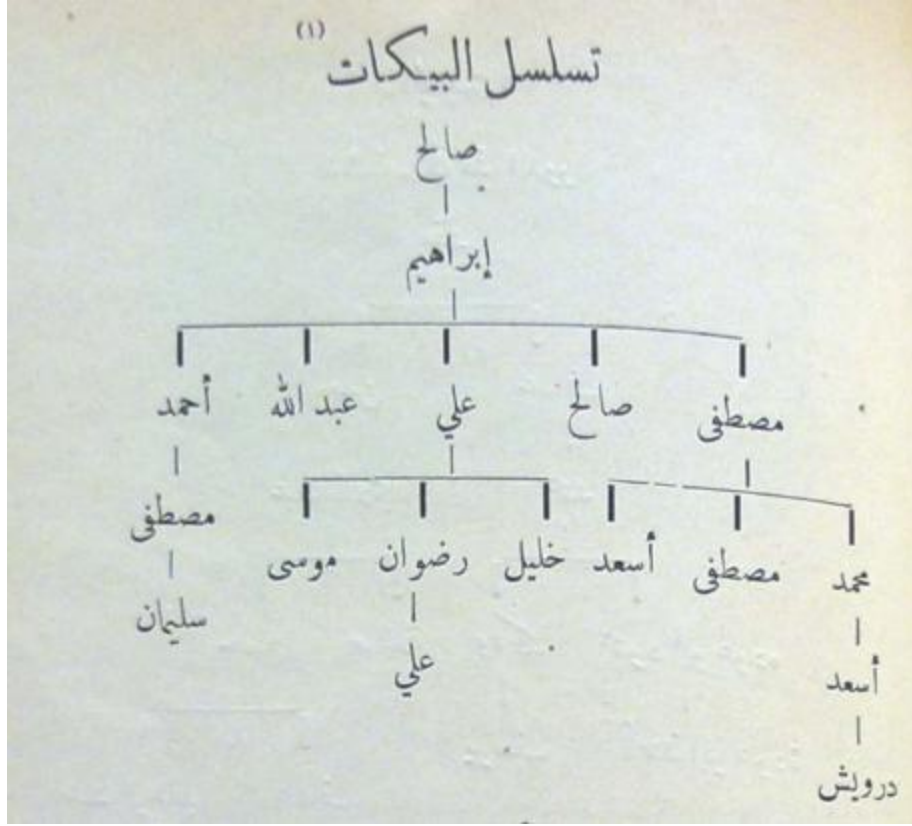


بوابة قصر الشيخ ابراهيم بك بن صالح

باشا طوقان وقد ظهرت فيها الخوخه
إي الباب الصغير ؛ وتعرف في نابلس بدار البيك

تسلسل البيكات¹⁵⁸

¹⁵⁸ فالحكام والمتسلمون الذين حكموا نابلس في القرن الثالث عشر والذين مثلوا الدور السياسي في عهد الاقطاع من آل طوقان هم المذكورون في هذا التسلسل ومن ذريتهم الذين مثلوا دور الانتقال ولم يشاركهم فيه أحد من آل طوقان بخيره وشره كما سيظهر .

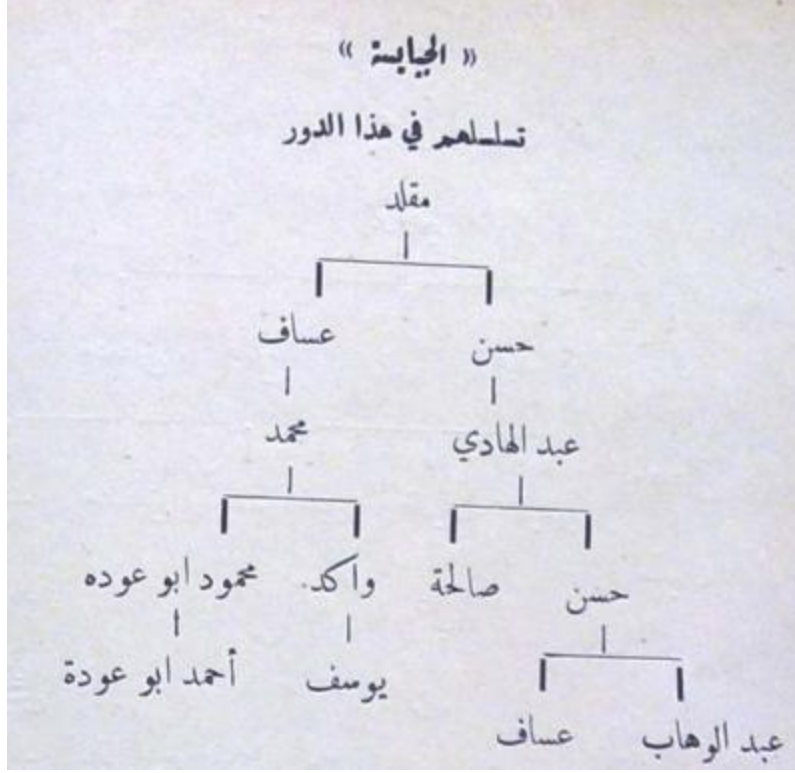


وقد خلف صالح باشا ولداً اسمه إبراهيم بك ، فاشتغل بالعلم واصبح يعرف بالشيخ ابراهيم بك فاحرز مكانة بين علماء نابلس الذين ولوه¹⁵⁹ رئاستهم وقد امده والده بالاموال ، فبنى القصر الاقطاعي الكبير ، وعمر جامع العين .

وقد خلف الشيخ إبراهيم خمسة اولاد وهم : مصطفى بك واحمد بك وعلي بك وصالح بك وعبد الله بك . ولما وقعت الفتنة بين الجبايسة حصل الاول على مشيخة بني صعب بمساعدة عمر آغا النمر ، وكان ذلك حوالي سنة ١١٨٠ هـ وهو بدء حكم البيكات في جبل نابلس ، وفي هذا العهد لما هاجم ظاهر العمر نابلس رده مصطفى بك فظهر امره كما سيأتي .

الجبائسة

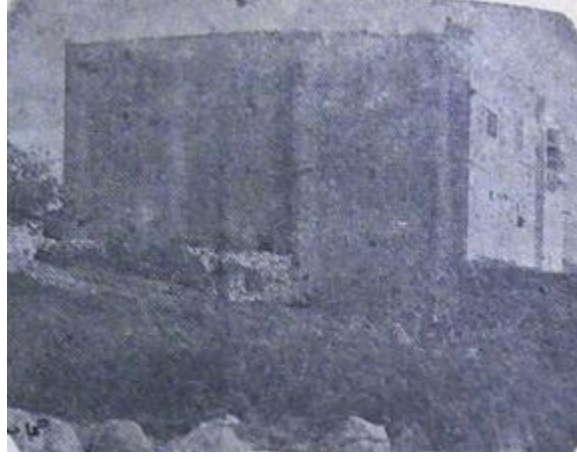
¹⁵⁹ راجع تراجم العلماء في باب العلم من الجزء الثاني



بعد قضاء المماليك على شيوخ جيوس في آخر القرن التاسع خرجوا من جيوس ونزلوا في قرية كور الحصينة واعتزلوا وعاشوا عيشة هادئة وبعد ان قتل الشيخ الشبيطي في رأس العين سنة ١١٢٤ هـ اجتمع شيوخ بني صعب وانتخبوا الشيخ مقلد الجيوسي ، وبعد موته انتقلت المشيخة لولديه الشيخ حسن والشيخ عساف ، وفي سنة ١١٤٢ هـ تنازل الشيخ حسن لأخيه الشيخ عساف وبعد موتهما وقع الخلاف بين اولادهما فادعاها الشيخ عبد الهادي ابن



المنظر الأمامي لقلعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب



المنظر الامامي لقلعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب

الشيخ حسن وادعاها الشيخ محمد ابن الشيخ عساف واخيراً، لجأ محمد الى العنف فقتل الشيخ عبد الهادي ولما كبر الشيخ حسن ابن عبد الهادي قتل ابن عمه الشيخ محمد فاتسعت الفتنة واختلفت عشائر بني صعب فعين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب ، واستمر النزاع بعد ذلك من اجل مشيخة بني صعب بين آل طوقان والجيايسة ، وقد اشتهر الجيايسة بالكرم والنظافة وكثافة الحجاب ولذلك يقول يوسف اغا الجرار في قصيدته¹⁶⁰

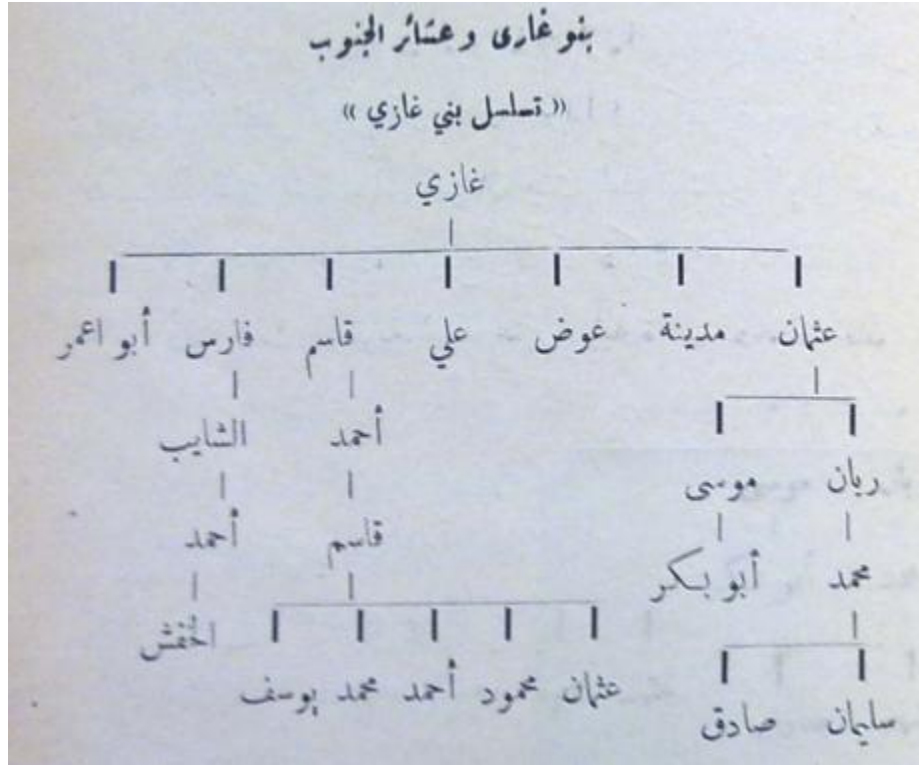
الجبوسي أسد في يوم الطراد حامي الزينات سور المحصنات

واشتهروا ايضا بالمحافظة على الصهارة وهم كآل النمر يتمسكون بعادة عدم تزويج بناتهم من غير اسرتهم .

الشقران

¹⁶⁰ راجع القصيدة في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني .

بنو غاري وعشائر الجنوب



على أثر الثورات والفتن التي حصلت في الكرك والبلقاء سنة ١٠٨٠ أجلبت عشائر كثيرة الى ناحية جماعين أشهرها بنو غازي الذين تفرعت منهم أسر كثيرة منها : عثمان ، ومدينة ، وعوض ، وعلي ، وقاسم ، وأبو اعمر ، وفارس ؛ وأصل بني غازي من بني حسن في شرق الأردن ، وقيل من الحجاز .

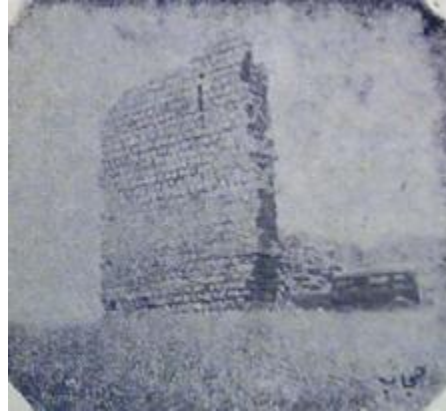
وبعد القضاء على العتوم شيوخ جماعين ساد بنو غازي في ناحية جماعين كلها ، وقد ظهر منهم فرعان كبيران بلغا درجة الامارة وهما : آل القاسم الذين نزلوا فيما بعد في نابلس وال ريان الذين نزلوا في مجدل يابا . وممن نزحوا مع بني غازي من البلقاء الحواترة الذين نزلوا في سلفيت وتفرع منهم : الدحادلة ، واشتية ، والمناصرة ، وشيوخ الجميع آل عفان الذين عرفوا بعفانة ولايزالون .

وممن نزحوا أيضا بنو نمرة الذين نزلوا في سلفيت وبنو خلف الذين نزلوا في رنتيس وآل قمير¹⁶¹ الذين نزلوا في كفر قدوم ، وتفرعوا الى عبيد الذين منهم : آل صوفان بيت العلم المشهور¹⁶² والى جمعه الذين منهم آل حمدان العودة الشيوخ الاتي ذكرهم .

وقد نزلت في قرية حجة عشيرة جبارة التي دحرت حامولة الصملة الى اجليل وحلت محلها ، وأصل عشيرة جبارة من بلاد المغرب تنسب إلى الشيخ عبد السلام المشيشي ، وقد أصبحت ذات شأن في أواخر عهد الاقطاع وعصر موسى بك ، وقد تفرع منها : آل بيدس والسعيد في يافا .

عشائر وادي الشعير

العطاطة¹⁶³ هم أقدم شيوخ وادي الشعير كان مركزهم رامين ثم رحلوا الى شويكة وبنو صعب للمحافظة على برجم ومدخل وادبهم من هجوم الافرنسيين



القسم الباقي من برج العطاطة في سهل قاقون الذي راقب منه محمد آغا والعطاطة والصملة حركات نابليون وجيشه وكمنوا له في جواره

الاحفاه - هم من قبيلة عتيبة في الحجاز ، نزلوا في برقة من وادي الشعير الشرقي وانتشروا في القرى المجاورة لها وهي : برقة ، ودير شرف ، وسبسطية ، والناقورة ، وبيت أمرين ، وسيلة الظهر وبزارية ، ونصف اجبيل ، واجنسنية . وقد تفرعوا الى :

صلاح ، وأبي امير ، ودغلس ، والحاج .

¹⁶¹ وقد نزل ناصر أخو قمير في عتيل ، ونزل نصير الاخ الثاني في دير البلح فعرفت ذريته بعرب النصيرات ولا تزال

¹⁶² راجع تراجم علماء جبل نابلس في الجزء الثاني .

¹⁶³ وليس بينهم وبين العطوط بنابلس قرابة لان هذا متفرع من العامول .

آل سيف - هم من آل سيفا أمراء طرابلس الشام ، نزلوا في برقة بعد أن ضايقهم المعنيون في القرن الحادي عشر ، ولما كثروا وقعت بينهم وبين الاحفافة دماء فخرجت منهم فروع ثلاثة وهم :

ال داود ، موسى ، وعيسى . ونزلوا في وادي الشعير الغربي فنزل الأول في ذنابة وعرفت ذريته بال سيف ولا تزال ، ونزل آل موسى وال عيسى في شوفه وكفر اللبد وعرفت ذريتهم بالبرقاوي نسبة الى برقة ، وقد بقي فرع منهم فيها ، أصبح لهم شأن كبير في حوادث جبل نابلس من بداية عصر موسى بك الى آخر عهد الاقطاع .

آل اعمر - هم عشيرة في عنبتا ، نزل جدهم الشيخ ابراهيم المحمد في نابلس فعرفت ذريته بال العنبتاوي .

الجيتاوية - هم عشيرة أخرى ف عنبتا ، تفرعوا الى الفقهاء ، والحمد لله ، ونصار ، والقبح ، ومزيد ، ونور .

عشائر المشاريق

ال الحاج محمد - الحاج قيل إنه من أعيان المدينة المنورة ، وقيل إنه من شيوخ اقضاة عين جنة في جبل عجلون ، نزل في أواسط القرن الثاني الهجري ضيقاً على آل النمر في نابلس فاختر السكن في قرية⁶⁴أبيتا ، فساعدوه على ذلك فظهر أمره في مشاريق نابلس كلها ، وبعد حادثة العتوم مشائخ جماعين أصبح الحاج محمد شيخاً على المشاريق كلها ، ولما حاول بنو غازي شيوخ جماعين بعد العتوم مدّ نفوذهم الى المشاريق عارضهم ، فصالحهم آل النمر وشيوخ البلاد بحيث تكون طريق القدس فاصلاً فتكون المشيخة على القرى التي تقع شرقها للحاج محمد ، والتي تقع غربها لبني غازي قرية تيمة فإنها اعتبرت تابعة لناحية جماعين . وقد خلف الحاج محمد أربعة أولاد وهم : (١) الشيخ سعادة الذي نزل في قريوت وعرفت ذريته بال سعادة . (٢) والشيخ أحمد الذي نزل في بيت فوريك وعرفت ذريته بالأحمد . (٣) وكنعان الذي عرفت ذريته فيما بعد بالعبد الجليل ، وقد نزلوا في جوريش وقصره وبيت دجن . (٤) ومنصور وقد بقي في بيتا وعرفت ذريته بال ناصر . وبعد أن وقعت الفتنة بينهم وبين ابن شمس انتشروا في تلفيت وجالود والمغير وبيت دجن . وقد اشتهر آل الحاج محمد عموماً بالكرم والبسالة واشتهرت نساؤهم بالحجاب الكثيف والحياء والنظافة والإخلاص والتعقل فصاهرتهم .العشائر الكبيرة في جبل نابلس .

بنو شمس - هم عشيرة قديمة استوطنت بيتا واحرصين وتفرعت الى العديلي ، والحمائل ، وبلوط ، والرماطي ، وذياب : ولما وقعت المنافسة بين آل النمر وآل طوقان حصل خليل بك للشيخ مصطفى العديلي على أمر مشيخة المشاريق ليقضي على نفوذ الشيخ سعادة الحاج محمد فاستمالهم .

الدويكات - أصلهم من جبل الخليل نزلوا في بيتا وانتشروا في عسكر ، وبلاطه ، وروجيب ، ورحل منهم فرع الى البلقاء ، ونزلت منهم أسر في نابلس وهم : آل بدران ، وأبي شرخ ، وأبي عودة ، والجردانة . وكان لهم تأثير في مجرى الحوادث ، كما سيأتي .

164 كانت بيتا تابعة لزعامه اولده من اقطاع آل النمر كما سيظهر في فصل الاقطاع من الجزء الثاني .

الفصل الثالث.

عشائر البدو¹⁶⁵

(عباد)

ربما كانت هذه العشيرة من بقايا نصارى الحيرة الذين عرفوا بهذا الاسم ؛ أو من بقايا الطائيين الذين نزحوا عن جبل نابلس بعد أن ضويقوا في القرن الحادي عشر الهجري وتقسّم عباد الى أربع عشيرة عشيرة تسمى بهذا الاسم وترجع الى أنساب متعددة ، وقد أصبحت ذات شأن فى القرن الثاني عشر ، ثم ظهرت عشيرة العدوان القوية فكونت عباد حلفا ضدها من الصقر ، والبشتاتوة ، وفلاحي الغور .

(الصقر)

ينسبهم بعض المؤرخين الى المقداد بن الأسود الكندي الحضرمي ، وهم يقسمون الى صقر ، وشاهين ، والمقداد ؛ ثم انضم اليهم السردية والمهادوة وحالفوا عباد في البلقاء والهنادي في فلسطين ، ومنازلهم في سهول بيسان وغوره .

(المهيدات)

هم من بقايا جذام القحطانية ، عظم أمرهم في البلقاء فصاروا يسخرون البدو والفلاحين هناك في أشغالهم ومصالحهم الخاصة ، ولما نزلت عندهم عشيرة العدوان ثارت واستمالت البدو ، ف وقعت الحرب بينهم وقتل فيها عدد من الفريقين وغلب بنتيجتها الأمير ضمان شيخ المهيدات ، فلجا الى ابن عسرة شيخ البلاونة¹⁶⁶ في غور¹⁶⁷ أبي عبيدة ، فتبعه العدوان وقتلوا ابن عسرة وابن الأمير ضمان ، فاضطر البلاونة على ترك الغور والرحيل الى عجلون . ورحل الأمير ضمان ومن بقي معه الى غور بيسان عند الصقر . وخشي آل النمر اتساع الفتنة ووقع حرب بين بدو جبل نابلس وبدو البلقاء ، فاستقدموا الامير ضمان الى نابلس فجاء ونزل بين نابلس¹⁶⁸ وقرية عسكر . ولما وفد آل النمر للسلام عليه في الصباح وجدوه في حالة تجمد من البرد ، فقال لهم العبيد : قرقش الأمير من البرد ، فعرف بعد ذلك بالأمير قرقش ، وعرفت ذريته بعد ذلك بال قرقش ولا تزال .

وبقي باقي عربانه عند الصقر فعرفوا فيما بعد بالمهادوة ، وقد أصلح آل النمر بينهم وبين العدوان ، وبذلك بدأت صلتهم بهم من ذلك الحين . وقد أنجدوهم في الحرب الأهلية ، فكان لنجدتهم أثر كبير في مجرى الحوادث .

¹⁶⁵ اكتفيت بذكر من اشتركوا في الحوادث لا سيما الحرب الاهلية

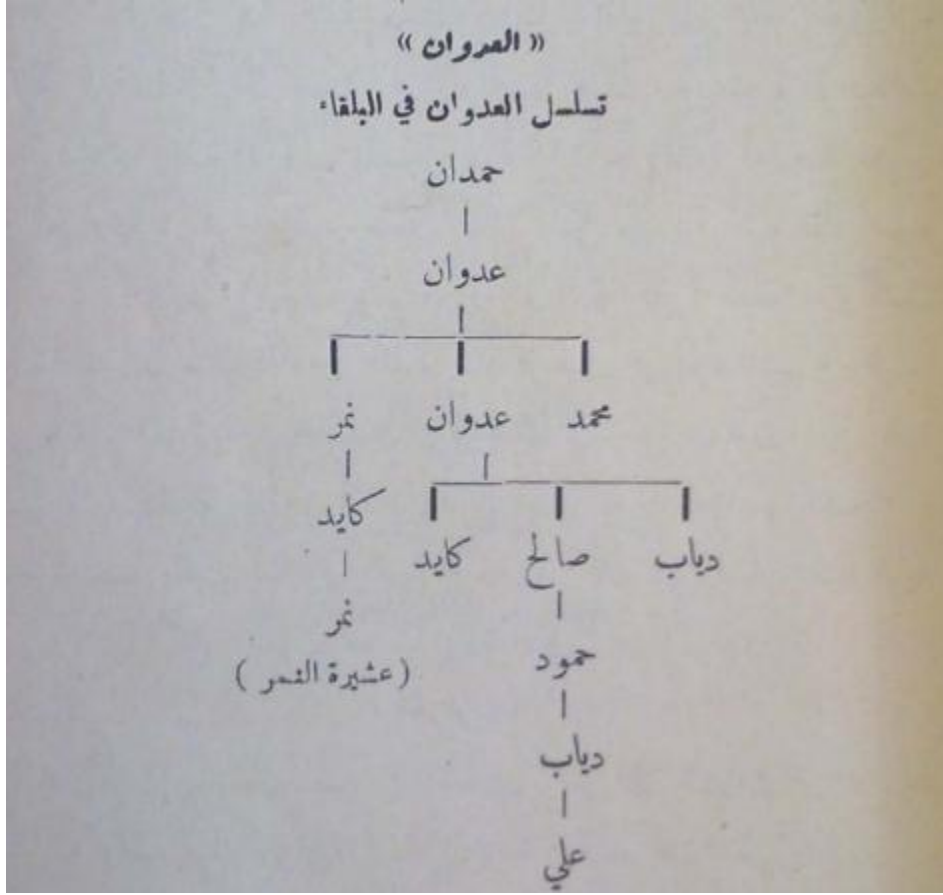
هم من قبيلة بلى الحجازية¹⁶⁶

هو القسم الشمالي من الضفة الشرقية لغور الاردن وهو وقف لسيدنا أبي عبيدة الجراح المدفون هناك¹⁶⁷

وقد نزل في الارض المعروفة بقلع الوقية¹⁶⁸

((العدوان))

تسلسل العدوان في البلقاء



هم من قبيلة عدوان¹⁶⁹ القديمة نزلوا على المهيدات في البلقاء وبعد أن تغلبوا عليهم كما مر أصبحوا أصحاب السيادة في الغور جميعه . فكونت عباد ضدهم لحلف المار الذكر فتحالفوا مع بني صخر الذين عادوا الى البلقاء في ذلك الحين . وقد عظمت سطوة العدوان في الغور والبلقاء فلقب أميرهم بسلطان البلقاء ، وقد اشتهر أمرائهم بالسطوة واليسالة الفائقة فخضعت لهم عشائر الغور ودفعت أكثرها لهم الخاوة¹⁷⁰ .

الصخر

هم من جذام القحطانية كانوا يسكنون جهة العلا في الحجاز فنزحوا الى بلاد الكرك ، ولما ضايقتهم عشائرها انتقلوا الى البلقاء فضايقتهم العدوان ، فارتحلوا الى جهات غزة واتحدوا هناك مع عشيرة الوحيدات ونهبوا وإياهم جردة الركب المصري سنة ١١٩٧ هـ وقتلوا أميرها موسى باشا المعراوي ، فخرج إليهم حسين¹⁷¹ أباشا المكي ميرلوا غزة فقتل منهم

¹⁶⁹ راجع تسلسل القبائل العدنانية فرع مضر

¹⁷⁰ الخاوة هي ترضية يدفعها الضعيف لرد غارة القوي عنه

¹⁷¹ وتعرف ذريته بال مكي في غزة ويلقبون بالبيكات

عدداً كبيراً ونهب إبلهم وخيولهم فعادوا الى البلقاء فقراء ضعفاء . وكانت عشيرة العدوان متضايقة من حلف عباد فرحبت بهم وحالفتهم ، وقد انضم لحلفهم الغزاوية في فلسطين والفريجات في جبل عجلون . وفي هذا الوقت خرجت قبيلة عنزة من نجد فردها بنو صخر الذين عدوا سوراً للבלقاء ، وصار شيخهم يلقب بسلطان البرية ، وقد كان لبني صخر صلة قوية بنابلس لأنهم كانوا يأتون لمصابنها بمادة القلى¹⁷² من البوادي

الغزاوية

يقال إنهم ينسبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم من التياها الغزيين ، وقد سموا بالغزاوية نسبة لغزة ، وقد نزلوا حول بيسان¹⁷³ وحالفوا العدوان ضد الصقر .

الهنادي

كانوا ينزلون في مديرية البحيرة من القطر المصري فتمردوا وتسلط عليهم أحمد بك البشناقي¹⁷⁴ وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واضطروا على الجلاء الى بلاد الشام فاستقروا في شفا عمر وتحالفوا مع الصقر .

المساعد

هم من وادي الحرير في الحجاز نزلوا في جهات الكرك ثم رحلوا على أثر فتنة وقعت هناك ودخلوا في غور نابلس المعروف بغور الفارعة ولم يظهر لهم شأن الى أن ظهر الأمير بركات أحد أمرائهم فرفض خاوة العدوان ، وانقلب مع عباد وقد كان له أثر في الحرب الأهلية كما سيأتي .

الفصل الرابع

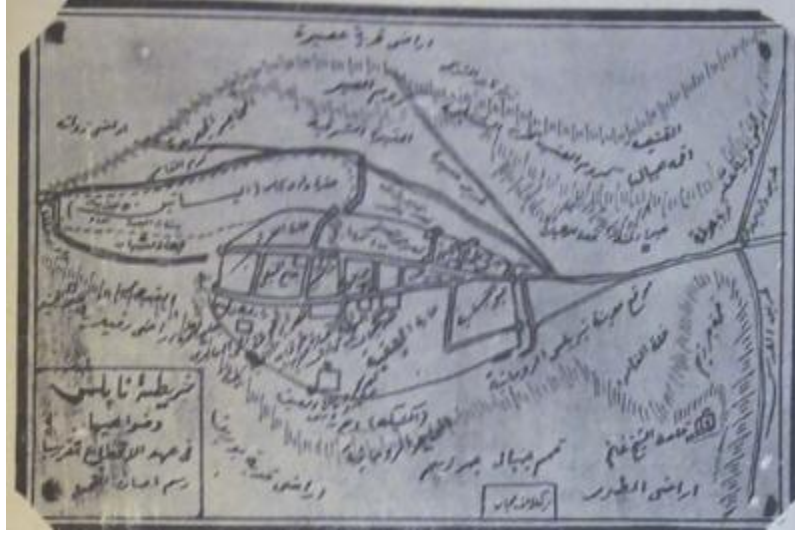
هجوم ظاهر العمر ونتائجه

اصطدام الظاهر بمصطفى بك

بعد أن اتفق ظاهر العمر مع علي بك الكبير أمير مماليك مصر ، استولى على بني صعب والساحل حتى مصر ، فاصطدم بمصطفى بك طوقان شيخ بني صعب الذي امده والي الشام بالسلاح والعتاد والاموال ، وكلفه بعرقلة مساعي ظاهر العمر إلا أن ظاهر العمر أصبح قوياً جداً إذ أمدته حليفته روسيا بالمدافع والأسلحة الجديدة والأموال والخيول فلم يثبت مصطفى بك أمامه بل اضطر على الانسحاب الى نابلس ، فتبعه الظاهر بخيوله ورجاله ومدافعه ساخطاً ناقماً ، وذلك في أواخر سنة ١١٨٥ هـ .

¹⁷² هو نبات يحرق ويؤت به محروقا فيحل ويخلط مع الزيت فيصنع منه الصابون بعد جهد وقد سدت مسد مادة القلى التي تصنع في اوربا اليوم
¹⁷³ ومنهم آل فطير في نابلس .

¹⁷⁴ هو مملوك صالح بك المملوك أحد رؤساء المماليك ، وسيأتي الكلام عليه في هذا الباب .



(مصور مدينة نابلس)

استعداد نابلس لرد الظاهر

لما بلغ ابراهيم آغا النمر ما حصل أسرع بالمجيء من القدس واتفق مع البيكات على الدفاع عن نابلس بكل قواهم ، فحشدوا فيها جميع سكان القرى المجاورة وهي : بورين ، وعورتا ، وعسكر ، وبلاطة ، وروجيب ، وأودلة ، وحواره ، ورفيديا وغيرها ، وقسموا البلد الى قسمين جاعلين خان التجار حداً فاصلاً بينهما ، فتولى آل النمر الدفاع والمحافظة على القسم الشرقي وفيه ثلاث حارات¹⁷⁵ وهي : الحبلية ، والقيسارية ، والعقبة ؛ وتولى البيكات الدفاع والمحافظة على القسم الغربي وفيه ثلاث حارات وهي : الغرب ، والقريون ، والياسمينية . وقد بلغ عدد السلاح الناري في نابلس اثني عشر ألف¹⁷⁶ بارودة ، وكانت نابلس في عصرها الذهبي تزدهم بالكنوز والسكان فصموا على الدفاع عنها دفاع المستميت .

وصول الظاهر ومفاوضته

لاقى الظاهر مشقة كبيرة في الوصول الى نابلس لأنه كان يهاجم في الطريق من قرويي جبل نابلس ولم تكن الطرق سهلة فلاقى مشقة كبيرة في نقل المدافع والذخائر ، فكان هذا كافيًا لاستعداد نابلس وحشدها الرجال واصلاح البوابات والأسوار .

¹⁷⁵ الحارة هي الحي ويقال لها المحلة ، وقد صارت هذه القسمة حزبية بين آل الندر وآل طوقان كما سيأتي

¹⁷⁶ البارودة هي البندقية .

ولما وصل الظاهر نزل في كرم القاضي من سفوح عيبال تحت المحاجر الشمالية وأرسل يطلب تسليم مصطفى بك ويهدد نابلس ، فخرج اليه احمد بك أخو مصطفى بك بالهدايا ، فاتفقا على ايفاد وفد من قبل الظاهر لمفاوضة نابلس . استعدت نابلس لاستقبال الوفد استقبالا حريياً ، فنصب آل النمر سلاحهم من باب خان التجار الشرقي الى البوابة الشرقية ونصب آل طوقان سلاحهم من باب خان التجار الغربي الى داخل دارهم ، وكان البارود في كلتا الجهتين على أربعة صفوف ، واحتشد في قصر آل طوقان نحو ألف بواردي وفي الوقت المعين جاء أحمد بك وصحبته الوفد المكون من الشيخ كريم بن أيوب والشيخ ناصيف المتوالي ومعهما ستون فارسا . فاستقبلوا بحفاوة كبيرة ثم اجتمعوا بامراء نابلس ووجهائها وعرضوا عليهم شروط الظاهر وهي تسليم جميع السلاح وخروج مصطفى بك وأحمد بك الى الظاهر كي يلبسهما¹⁷⁷ الأول متسلماً على نابلس والثاني متسلماً على القدس بدلاً من آل النمر متسلمي والي الشام فيهما أي أنه يريد ارغامهما على عصيان الدولة والانقياد اليه . فرفضت نابلس هذه الشروط بلا تردد واتفقوا على خروج أحمد بك اليه ليفاوضه على شروط جديدة .

كبرياء الظاهر ودهاء أحمد بك

خرج أحمد بك براسين من الخيل الجياد للظاهر الذي لما بلغه رفض نابلس للشروط احتدّ و غضب وألح بتسليم مصطفى بك صاغراً وتسليم جميع السلاح الموجود في نابلس واذعان نابلس اليه وإلا فانه يهدمها بمدافعه . ولما سمع ذلك أحمد بك تظاهر بالقبول ليتمكن من التقلت وأعلم الظاهر بأنه يود الرجوع الى نابلس ليأتيه بأخيه مصطفى بك فصدق الظاهر كلامه وسمح له بالرجوع إلا أنه لم يكذب بل يبلغ حدود البلد حتى استنجد فأنجده رجال نابلس وأغار من ساعته على رجال الظاهر وقت الغروب وبذلك بلغه الرفض عملياً . قال ابراهيم الدنفي السامري كاتب سراي نابلس عن ذلك في كراسه¹⁷⁸ (أرسلوا أحمد بك وراسين خيل ولما وصلوا لعنده حكى حكى غير ما احكوا مراسلية ضاهر يبين عن باطن اذاه وقد حتم على حضور مصطفى بك لعنده لازم ضروري فعمل أحمد بك رجولة تامة وأخبره بأن نحن يا شيخ مرادنا نكون كعيالك ونتحد في حبالك بل مرادنا ثقة منك ونأخذ الأمن وأنا بدخل احضر معي مصطفى بك لطرفك فحلف له وخال في عقل ضاهر أن الامر صحيح لا خلاف فيه ولبس أحمد بك فروة ومشى من عنده ولما انفصل عن منزله نادى على من معه الشوباش¹⁷⁹) .

هجوم الظاهر على نابلس

لم يحدث شيء في اليوم الثاني بين الفريقين وفي اليوم الثالث هجم رجال الظاهر على بوابة نابلس الغربية فتلقاهم النابلسيون برباطة جأش وردوهم سبع مرات قتل فيها نحو مائة رجل من رجال الظاهر وعدد كبير من الخيل . ولم يقتل من النابلسيين سوى ثلاثة وفي اليوم التالي باغت النابلسيون رجاله على عين دفنة في الجهة الشرقية وقتلوا عدداً منهم ومنعوهم السقاية واستاقوا ابلهم .

¹⁷⁷ كانت العادة أن الوالي حينما يعين متسلماً على بلد يلبسه فروة والمتسلم بدوره يقدم له هدية من المال .

¹⁷⁸ راجع المصادر قسم المخطوطات

¹⁷⁹ راجع بحث الشوباش في فصل الفتوة من باب الامارة في الجزء الثاني

تخريب القرى

بعد أن تكبد ظاهر العمر هذه الخسارة ترك نابلس وتحول نحو القرى يهدم بيوتها ويتلف زروعها ليضطر النابلسيين في المدينة ومن معهم من أهل القرى على الخروج اليه لكي يتمكن من مباغطة المدينة بعد أن تضعف فيها قوة الدفاع إلا أن النابلسيين فطنوا لمكيدته وأثر القرويون المخلصون الدفاع عن امهم نابلس على الدفاع عن قراهم وزروعهم شأن أبناء جبل نابلس في حبههم وإخلاصهم لأهمهم نابلس التي يفدونها بنفوسهم في كل حين .

واقعة الزاركية¹⁸⁰

بعد بضعة أيام قضاها الظاهر في بورين وقضاها رجاله في تخريب القرى فاجأ نابلس من الجهة الغربية الجنوبية فحط رحاله في قرية رفيديا ونصب مدافعه فوقها متجهة نحو نابلس ، وسار رجاله تحت حمايتها فهدمت القسم العلوي من مأذنة جامع الخضرة وبعض المباني فتمكن رجاله من الوصول إلى جدران جامع الخضرة والبساتين المحيطة به ولما شعر بهم النابلسيون خرجوا اليهم من جهة رأس العين والجهة الشمالية فقطعوا عليهم الخط وضائقوهم في الزاركية بين القبور فاستولى عليهم الذعر وفروا هاربين بعد أن تركوا في الساحة مئات القتلى والجرحى وعدداً من الاعلام والمدافع وكثيراً من العتاد . قال ابراهيم الدنفي كاتب السراي في كراسه : (زحفوا على طرف المدينة من جهة¹⁸¹ الغروز والزار كية ونصبوا المدافع وكانوا¹⁸² علينا كون يبلغ في المدافع والبارود وأول الكون كان الوجه لهم ودخلوا طرف بستان بقيع معجنة وبلغوا حيطان الخضرة وكانت ساعتين ثلاثة والعياذ بالله كلها غضب فأعان الله تعالى وحملت عليهم الجرود وخرجوا لهم كالفروود ودخلوا عليهم هجم وصار يرموهم بالبارود رجم وقد كسروهم وأخذوا أيضاً بيارقهم ومدافعهم والجباخانات وكانت قدرة الله تدافعهم وسقط منهم في اليوم المذكور فوق الألف قتيل ومن جمعنا نفرين فقط . وفي ضحوة النهار . كرموا البارود وانحل الكون ودخلوا جميعا في فرح وسرور وحظ وحيور» .

متاركة الظاهر ورحيله

بعد أن نال الظاهر ما ناله في واقعة الزاركية عاد ونزل في كرم القاضي الذي نزل فيه في أول وصوله وقد علم بعد ذلك بأن آل النمر هم حكام البلد فأرسل يطلب مفاوضتهم على يد أحد العلماء فأرسلوا له الشيخ لطفي من علماء نابلس فعقد معه متاركة بأن لا يتعرض لنابلس ولا تتعرض نابلس اليه (اي لا تيجونا ولا نيجيكم) حسب الاصطلاح الدارج في ذلك الوقت وعلى هذا الشرط عاد الظاهر برجاله الى عكا وقد سار الأمر على هذا الى السنة التالية ، وقد نزل ولده ضيفاً على مصطفى بك طوقان مظهراً عدم الرضا من أبيه ، ولم يعد يتعرض لنابلس .

¹⁸⁰ هي مقبرة نابلس الغربية

¹⁸¹ هي الأراضي الواقعة غرب المقبرة الغربية ملك آل سويسة ، وهي حي السامرين الجديد اليوم

¹⁸² أي حاربونا حرباً عظيمة — لأن الكون في اصطلاحهم هي الحرب الكبيرة - راجع عرف الصفوف في الجزء الثاني

انجاد يافا ومحاولة اغتيال الظاهر

كان أبو الذهب¹⁸³ في سنة ١١٨٥ هـ هاجم دمشق الشام وأصبح بإمكانه الاستيلاء عليها وقد ساعده الظاهر بكل قواه إلا أن صديقه اسماعيل بك الذي كان ميالاً للدولة العثمانية حذره من العاقبة ، وأقنعه بوجوب الاتفاق والتفاهم مع الدولة ، فتجنب فتح دمشق ، ولما عاتبه سيده علي بك الكبير اتهم ظاهر العمر وأولاده بالتقصير . فكتب علي بك بذلك للظاهر ، فأرسل هذا ولده إليه يفهمه الواقع ، فوقعت الحرب بين علي بك وقائده أبي الذهب فغلب علي بك واندحر وهرب من وجه أبي الذهب الى ظاهر العمر ، ولما بلغ الظاهر ذلك خرج ببعض رجاله ليستقبل ضيفه علي بك ، فدعرت يافا واستنجدت بمصطفى بك طوقان فأنجدها بأخيه أحمد بك ومعه جموع كثيرة ، ورايط هو بين الرملة والمجدل لعلي بك والظاهر يريد قتلها والتعرض لهما ، ولما بلغهما ذلك تجنبوا الاصطدام به واتسلا سراً الى عكا

ضرب يافا وبسالة بحارتها

أغاض ظاهر العمر استنجاد يافا بنابلس ، فأرسل (بركندة) أي قطعةً من الأسطول الروسي الذي كان يسير بإشارته في البحر الأبيض المتوسط - وسلطت مدافعها على يافا فنزل إليها بحارة يافا البواسل ووصلوها واستولوا عليها بعد أن قتلوا عدداً من رجالها المعروفين (بالجنكشن) وأغرقوا عدداً آخر وأسروا الباقين وأتوا بهم الى أحمد بك طوقان محافظ بلدتهم إذ ذاك .

قتل الأسرى وجلب الشر لنابلس

لما بلغ مصطفى بك طوقان الخبر طلب الأسرى وقتلهم في نابلس ليخرج موقف ظاهر العمر مع أحلافه الروس ولكي يرسل رؤوسهم للوالي والسلطان . قال ابراهيم الدنفي : (ضربوا البركندة ومسكوها مسك اليد ، وغرق منها عشرة أنفار وهرب منها والبقية دخلوا بهم ليافا ، وفي الحال أرسلوا وعرضوا ذلك لجناب أفندينا بمكتبة من جناب أخيه حضرة أحمد بك المتسلم فأرسل يطلبهم منه مع التفنكجية وحضروهم وساعة حضورهم قطعوا رؤوسهم) . ولما بلغ ظاهر العمر ذلك جن جنونه وعده عدواناً فظيماً وأقسم أن لا يرجع عن نابلس هذه المرة ما لم يسق حصانه من عين الست¹⁸⁴ وصار ينهب قوافل نابلس ويقطع الطرق المؤدية لها .

التآمر على محمد باشا وآل النمر

كانت الدولة عينت عثمان باشا الكرجي والياً على مصر على أن يخضع ظاهر العمر وممالك مصر ، وخولته سلطة كافية وأمدته بكل ما يلزم له ، فنزل دمشق وأمد مصطفى بك طوقان كما مر وكان عثمان باشا يطمع بولاية الشام ، ومصطفى بك يطمع بامتسالية نابلس ، فتآمرا على محمد باشا العظم والي الشام وعلى آل النمر حكامه في نابلس ونسبا القصور لمحمد باشا العظم الذي كان في الحجاز مع الركب الشامي ونسبا الدفاع المجيد لهما وكتبا بذلك الى السلطان

¹⁸³ سمي بأبي الذهب الكثرة ما أنفق من الذهب حينما عين أميراً
¹⁸⁴ هي العين المجاورة للسراية القديمة والكاننة في جدار مقبرة آل فروخ المدفون فيها صالح باشا جد مصطفى باشا طوقان المذكور

فصدرت الأوامر السلطانية بعزل محمد باشا العظم وتولية عثمان باشا الكرجي مكانه على ولاية الشام وتعيين مصطفى بك طوقان أمير أمراء (ميرميران) بلقب باشا على ألوية يافا وغزة والرملة ونابلس . وترضية لال النمر حصلا على رتبة أمير الأمراء (ميرميران) ولقب باشا لإبراهيم آغا النمر متسلم القدس .

الخلاف بين الأغوات والبيكات

ورث قاسم آغا النمر المالكانة عن أبيه¹⁸⁵ إسماعيل آغا ، فلما صار مصطفى باشا طوقان متسلماً وميرلوا لنابلس حصل على براءة بالمالكانة بحجة أنها من متعلقات المتسلمية ، وكان قاسم آغا المذكور قد مات في هذه البرهة عن ولدين قاصرين ، فتولى الدفاع عنهما ابراهيم آغا النمر حاكم القدس ، وحسن آغا النمر ميرألوي نابلس ، فوقع الخلاف بين البيكات والأغوات وعثمان باشا الكرجي ، فرفض ابراهيم آغا الرتبة واللقب الكبير ، ورفض الاعتراف بعثمان باشا ، وظل على اتصال بمحمد باشا العظم الذي شجعه على الاتفاق مع ظاهر العمر والعمل على مضايقة مصطفى باشا طوقان . فانقلب الأغوات على البيكات ، وفوض ابراهيم آغا الشيخ يوسف الجرار بمخابرة ظاهر العمر والاتفاق معه .

انقلاب نابلس على مصطفى باشا

لم يرض النابلسيون عن غضب متسلمية نابلس والمالكانة من ال النمر ونسبة البيكات الدفاع عن نابلس لانفسهم فقط ولم يرضهم ايضا التعرض لظاهر العمر ومحاولة الفتك به ، فأخذوا ينفرون من هذه الأعمال ، وزاد الطين بلة قتل الأسرى في مدينة نابلس، وكان قاضيها إذ ذاك الشيخ موسى التميمي ببعض البيكات كما مر ، وكان قوياً شديداً فأثار الرأي العام ضدهم ، لأن قتل الأسرى ممنوع شرعاً ، وكان الأغنياء والتجار قد تضايقوا من تكاليف مصطفى باشا التي كبدهم إياها حينما أعطي الرتبة والباشاوية قال ابراهيم الدنفي عن رسل عثمان باشا :

(ومكثوا في طرفة ستين يوماً كل يوم يصرف عليهم مقدار مائتين قرش مأكلاً وعليقاً ، وبعد ذلك جمع التجار وألزمهم بفرض دراهم ، وجمع لهم خمسة آلاف¹⁸⁶ قرش قدمها لهم ولمن معهم ومشاهم) . وقد نهبت¹⁸⁷ قوافلهم وبضائعهم على غير فائدة تعود لهم ولبلدهم ، وقد ضايق الجميع غضب عثمان باشا الكرجي ولاية الشام من أسياده آل العظم كما صرح بذلك المرادي الذي عده ناكر الجميل . وقد اجتمعت هذه العوامل المثيرة وكلها ضد أهل ذلك العصر الاقطاعي النبيل ، وهي غضب عثمان باشا الولاية من آل العظم ، وغضب مصطفى باشا طوقان المتسلمية والمكانة من آل النمر

راجع مبحث إسماعيل آغا النمر في فصل أحماد الجرجي من الباب السابق .¹⁸⁵
كانت الذهبية في ذلك العهد ثلاثة قروش وثلاثين بارة اي خمس ظلطات راجع بحث العملة في بابي الميري¹⁸⁶
والتجارة من الجزء الثاني
¹⁸⁷ راجع فصل المتاجر والثروات في باب التجارة من الجزء الثاني .

، وكبيرهم عمر اغا ساعده للحصول على مشيخة بني صعب ثم قتل الأسرى وإلزام التجار وقطع الطرق عن نابلس ، ونهب متاجرها بسبب طمع مصطفى باشا طوقان في الحصول على الرتب والالاقاب ، هذه العوامل المجتمعة في مدة سنة ، قلبت جبل نابلس كله ضد البيكات ، وألحوا جميعاً بتأييد محمد باشا العظم ومصالحة ظاهر العمر ، وخذلان مصطفى باشا وصديقه عثمان باشا.

دخول الظاهر العمر لنابلس

لما رابط مصطفى باشا طوقان للظاهر ، لم يرد التعرض لنابلس¹⁸⁸ بل اكتفى بالتعرض ليافا التي استنجدت بالبيكات ، ولما طلب مصطفى باشا الاسرى وقتلهم في نابلس ، عد ظاهر العمر هذا العمل موجبا للسخط والنقمة على نابلس فأقسم أن لا بد من دخولها . وفي الوقت الذي بلغ فيه ظاهر العمر هذا الحد كان يجمع جيشا لعلي بك الكبير ليسترد به مصر فحوله لدخول نابلس ، ولكن نابلس في ذلك الوقت انقلبت وقراها ضد مصطفى باشا كما مر ، فلما حظ ظاهر العمر بجيشه على اللجون وباقة الغربية ، وصل إليه الشيخ بيسف الجرار رسول جبل نابلس ، يدعوه لضيافة آل النمر والاتفاق معهم .

لا شك أن ظاهر العمر طار قلبه فرحا لهذا الخبر الذي ما لبث بعد أن تأكد صحته أن سار مع الشيخ يوسف الجرار وعدد من فرسانه وتوجه لنابلس فاستقبل بحفاوة ، وبعد أن سقى حصانه من عين الست حل ضيفا في قصر آل النمر واتفق معهم ضد مصطفى باشا و عثمان باشا ثم عاد لجيشه الذي أرسله مع علي بك واحد أولاده لاسترداد مصر من أبي الذهب وذلك سنة ١١٨٦ هـ .

انسحاب البيكات

لما بلغ مصطفى باشا طوقان اتفاق آل النمر مع ظاهر العمر وانقلاب الرأي العام ضده ، انسحب هو واخوته وعائلته من نابلس الى يافا ، فانضم اليهم أخوه أحمد بك ونزلوا في البحر الى صيدا ، ومن هناك ساروا ونزلوا على الشهابيين في راشيا ، ثم ذهب مصطفى باشا الى دمشق واجتمع بصديقه عثمان باشا الذي زوده بالشهادات اللازمة التي ذهب بها الى السلطان في العاصمة فعينه والياً على مصر وأعطاه المعدات اللازمة لأبي الذهب كي يهاجم ظاهر العمر الذي عاد فاستولى على الساحل جميعه بما فيه الرملة وغزة ويافا

¹⁸⁸ يقول ابراهيم السامري الذنفي ان ظاهر العمر صار بتعرض لقوافل نابلس بعد المتاركة وهذا من مخاتلات هذا الكاتب الذي انما كتب كراسه حسبما يرضي مصطفى باشا.



منظر قلعة صانور من الداخل¹⁸⁹

تحصين جبل نابلس واستعداده

غلب علي بك الكبير ووقع أسيراً جريحا بيد قائده أبو الذهب الذي سمه ليتخلص منه ، ثم أخذ يعد العدة للانتقام من ظاهر العمر الذي سبب له هذه المتاعب، وساعد خصمه ، وفي نفس الوقت تشجع والي الشام عثمان باشا على الهجوم على ظاهر العمر وجبل نابلس إذ باتفاق آل النمر مع ظاهر العمر أصبحت سوريا الجنوبية كلها خارجةً على الدولة لان آل النمر بيدهم جبلا القدس ونابلس ، وقد استولى ظاهر العمر على جبل عجلون وساحل فلسطين كله . وقد بلغ ظاهر العمر وآل النمر استعداد والي الشام وأمير لبنان للهجوم من الشمال ، واستعداد أبو الذهب للهجوم من الجنوب وقد بلغهم تعيين مصطفى باشا واليًا على مصر فأخذوا يستعدون للمقاومة النهائية .

نادى ابراهيم اغا النمر في جبل نابلس وجبل القدس حاضا على الاستعداد وبناء الحصون بأسرع ما يمكن بالشيد والزيت¹⁹⁰، فتوالت الامدادات وثارَت النخوة من جبل الخليل الى صفد ، فبني السور والقلعة حول صانور ، وبنى العطاعة برجهم في السهل أمام مدخل وادي الشعير وبنوا¹⁹¹ شونة في كفر اللبد . وبنى الجيايسة برج قلعة في كور وأخرى في صوفين وبنيت عشيرة شبيطة شونة في عزون ، وأصلحت قلعة رأس العين وبنيت قلعة جينين ، وبنيت حصون أخرى حول عرابية وأم الفحم وباقية ، وتبارت عشائر جبل نابلس في بناء الحصون في الشمال والغرب وكذلك في جبل القدس ، وكلها على المرتفعات المطلّة على السهول ومداخل الأودية فانقضت سنة ١١٨٧ هـ كلها باستعداد في مصر والشام وجبل نابلس . ولما بلغ جبل نابلس زحف الجيوش تسابق رجاله الى الحصون ومداخل الأودية للدفاع المجيد

¹⁸⁹ لم يبق من سور القلعة القديمة شيء والقسم الباقي هو السور الذي بني عاديا بعد ان هدمه عبد الله باشا الجزائري سنة ١٣٤٦ هـ

¹⁹⁰ راجع فن البناء في الجزء الثاني
¹⁹¹ الشونة هي الحصن الصغير

ضد جيوش الشام ومصر ولبنان ، وإذ كان الخطر أعظمه من الشمال رابط ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار في الشمال لصد جيوشي الشام ولبنان .

خذلان جيش مصر

في سنة ١١٨٨ هـ زحف أبو الذهب بجيش مصر¹⁹² على فلسطين ، فاستولى على غزة سلماً وقاومته يافا ، فقتل من أهاليها خلقاً كثيراً بالغ المؤرخون فيه وقالوا انه أقام من جماعهم تلالاً ، وكان ظاهر العمر مصمماً على الخديعة فأخلى عكا وصدف وانسحب الى جبل عامل ، فدخل أبو الذهب عكا دون مقاومة ، وقد ظل رجال جبل نابلس مرابطين في الحصون والأبراج ومدخل الأودية يضايقون جيش مصر ويهاجمونه أثناء مروره ، وقد مكث أبو الذهب في عكا ينتظر أخبار والي الشام . وفي تلك الاثناء وفق ظاهر العمر بواسطة جواسيسه الى إغراء أحد رجال أبي الذهب لقاء أربعة الاف ذببة ففس عليه السم فقتله به بعد ثلاثة أيام من استيلائه على عكا . فقتل كما قتل سيده علي بك . أما جيشه فقد فزع وادعى رجاله أنه مات من شدة الفرح ، وبذلك أمنوا الفتنة ، وصمم الجيش على أخذ الجثة الى مصر لئلا تحترق اذا دفنت في عكا ، فغسلوها بالعمود وحملوها الى مصر وعادوا عن ساحل جبل نابلس يجرون اذيال الخيبة وقد استولى عليهم الذعر من رجال جبل نابلس الذين كانوا يباغتونهم أثناء انسحابهم ..

خذلان جيش الشام ولبنان

صادف تنازل الأمير منصور الشهابي عن امارة لبنان لابن اخيه الأمير يوسف تولية عثمان باشا الكرجي على ولاية الشام ، فتقدم اليه الأمير يوسف طالباً تأييده فأيده ، ولما صمم عثمان باشا الكرجي المذكور على مهاجمة جبل نابلس طلب مساعدة الامير يوسف . ولما زحف جيش الشام وجيش لبنان الى الجنوب وجدا صدف قد أخلاها الظاهر فتوجهها جنوباً حيث اصطدما بجموع جبل نابلس في المرج بقيادة ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار اللذين انسحبا أمامهما الى الداخل وحاصرا في صانور الى أن قضى على ابي الذهب . وفي تلك الاثناء جفت آبار صانور فاستغاث ابراهيم آغا النمر الامير الصوفي¹⁹³ فأتت غيمة وقفت على صانور فأمرتتها وملأت آبارها فتشجع المحصورون على المقاومة وفي تلك الاثناء وصلت نجدات الحصون الغربية بعد انسحاب جيش مصر وباغتت جيش الشام ولبنان فأصبحت محصورين بعد أن كانا محاصرين وأصبحت بين هجوم النجدات من الخارج وهجوم الجموع التي في القلعة فاضطرا على الانسحاب بعد أن تكبدا خسارة عظيمة ولاقيا الاهوال في الأودية والسهول فقال شاعر لبنان يصف الصعوبة والهول :

جينا ابلاد جدعا ما وصلها عرب وادروز والدولة تصلها

عربستان يارب نصلها بحق البيت والعشره الصحابه

وقال شاعر جبل نابلس:

¹⁹² وقد بقي مصطفى باشا طوقان في مصر ولم يأت مع ابي الذهب .
¹⁹³ راجع مبحث النصوص في باب العلم من الجزء الثاني .

وقد كان لهذا الفوز الذي أحرزه جبل نابلس دوي عظيم فاق فوزه على ظاهر العمر قبل ذلك بسنتين وقد أعجب النابلسيون ببسالة أميرهم فلقبوا ابراهيم آغا النمر بسلطان جبل نابلس ولقبوا الشيخ يوسف الجرار بسلطان البر .

نجاه جبل نابلس والقضاء على الظاهر

عاد ظاهر العمر إلى عكا وصفد واسترد الساحل كله وقد كان لفشل الامير يوسف الشهابي تحت أسوار صانور تأثير كبير على نفسه ، وبدسائس محمد باشا العظم وظاهر العمر اتفق مع الشيخ ناصيف المتوالي شيخ جبل عامل وانقلبا على والي الشام عثمان باشا الكرجي فالتقى جيش الشام بجيش لبنان وجبل عامل في سهول البقاع فغلب عثمان باشا و كان محمد باشا المظم قد حرك دمشق ضده فهرب ملتجئاً إلى حماه ونهب الدروز والمتاوله جيشه ففضح فضيحة شائنة وبعد سقوط عثمان باشا الكرجي وفضيخته أُعيد محمد باشا العظم لولاية الشام فعاد بعودته جبل نابلس وجبل القدس الى حظيرة الدولة ونجا آل النمر من نقمة الدولة لأنهم كانوا متفقين مع محمد باشا سرا كما مرّ وكان ذلك سنة ١١٨٩ هـ . وفي السنة المالية جاء الاسطول العثماني إلى مياه عكا بقيادة القبودان حسن باشا فحاصر ظاهر العمر فيها إلى أن قتل هو وأولاده وانتهى العصيان وعادت البلاد الى الدولة وعين على ايالة الساحل أحمد باشا الجزار الآتي ذكره .

وقد عين خليل باشا والي حلب والياً على مصر وعين مصطفى باشا طوقان والياً على ايالة جدة (أي الحجاز) وظل فيها إلى أن مات حوالي 1197 هـ .

الفصل الخامس

عصر السلطانين

اتفاق آل النمر وآل جزار

بعد انسحاب مصطفى باشا طوقان من نابلس اتفق آل النمر وآل جزار على أن يكون الشيخ يوسف الجرار متمسلاً لنابلس وأن تدار بواسطة وكيله صالح¹⁹⁵ آغا ابن أحمد آغا النمر وبمساعدة المير آلاي حسن آغا النمر وبذلك بدأ حكم آل جزار

¹⁹⁴ الولايا جمع ولية وهي المرأة - راجع الرقي اللغوي في الباب السابع من الجزء الثاني

¹⁹⁵ هو صالح آغا بن احمد آغا بن الشيخ صالح الاغا ابن الامير يوسف النمر - كما يظهر من ال النمر اليوسفيين في نابلس — راجع عصر بني النمر

في نابلس . وقد لقبوا بعد ذلك بالأغوات : وظل ابراهيم آغا النمر متسلماً على القدس وبهذه الوساطة احتفظ آل النمر بحكم القدس ونابلس ووحدها شمال جبل نابلس وجنوبه وأوجدوا أمام البيكات خصماً قوياً عنيداً .

تفاهم البيكات والاعوات

في سنة ١١٩٨ هـ رجع اخوة مصطفى باشا طوقان وولده وتفاهموا مع آل النمر بوساطة سائر فروع آل طوقان فخرج البيكات عن براءتهم بالمالكانه لأسعد آغا النمر¹⁹⁶ حفيد اسماعيل آغا النمر¹⁹⁷ صاحبها الأول ولقاء هذا أعطى حسن آغا النمر زعامة اودلة لأحمد بك طوقان وبذلك تفاهم الفريقان فدام الوثام بضع سنين .

الحرب والمجاعة

بختام القرن الثاني عشر انتهى عصر نابلس الذهبي فانبثق القرن الثالث عشر عن مصائب متوالية فقد قلّ المطر سنة ١٢٠١ فارتفعت الأسعار وتقاطر الناس على نابلس من البلقاء وجبلي القدس والخليل فحصلت مجاعة باع الناس فيها أثاث بيوتهم وأملأهم وقد فقدت الغلال والماعز والضأن فأكلوا البقول والخضار ثم أكلوا لحوم البهائم وطحنوا العظام . وسادت الفوضى وانقطعت الأسباب ودخل فصل الشتاء سنة ١٢٠٢ بلا مطر وجفت بعض الينابيع وغاضت مياه الآبار وبلغت قلة¹⁹⁸ الماء مصرية ونصف وارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً فبلغت جرة الزيت عشرين زلطة¹⁹⁹ وزادت أسعار سائر الحاجيات الى عشرين مثلاً وبلغ رطل القمح زلطة . واشتد الضيق وتعطلت الأعمال وكثر النهب والسلب ومات الناس في الشوارع وما زالت الحال تشدّ الى أن وصلت الغلال التي استوردها التجار من جزيرة مالطة ولولا وصولها لهلك الناس .

الوباء

بعد المجاعة نفشى وباء جارف أهلك الناس بالالوف فمات فيه من أهالي مدينة نابلس وحدها أربعة آلاف نفس فضعفت البلاد واضمحلت أحوال العباد وتناقصت الايدي العاملة فتعطلت المصانع وتخربت الأراضي فكان ذلك أول شرور القرن الثالث عشر التي توالى حتى نهايته .

فصل جرار عن نابلس

بذل يوسف آغا الجرار سلطان البر كل ما استطاع في المجاعة فسارت بكرمه الركبان حتى شهد له بذلك²⁰⁰ أحمد باشا الجزار بعد عشر سنين إلا أن النابلسيين تشاءموا من إمارته التي باشرها بنفسه بعد موت المتسلم الحقيقي صالح آغا النمر . وكان البيكات بالمرصاد فترك²⁰¹ أحمد بك زعامة اودلة وصار هو وسائر البيكات ينفرون نابلس من حكم جرار

¹⁹⁶ راجع الوثائق في فصل الاقطاع من باب الحكومة في الجزء الثاني

¹⁹⁸ القلة هي الجرة والمصرية هي البارة وهي واحد من أربعين من القرش وقد كانت الذهبية ثلاثة قروش وثلاثة ارباع قرش كما سبّتين في بحث العملة في فصل الميري في الجزء الثاني.

¹⁹⁹ كانت الزلطة في ذلك الوقت تساوي ربع ذهبة

²⁰⁰ راجع قصيدة الجزار لجرار في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني اذ يقول له « يوم الغلا صيتك علينا فات »

²⁰¹ راجع وثيقة زعامة اودلة في وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني

الذي حلت في عهده الولايات والمصائب فطلبوا من والي الشام فصله فلبى طلبهم وعين أسعد بك ابن مصطفى باشا طوقان مكانه وذلك²⁰² سنة ١٢٠٤ هـ . فوقع العداء بين آل جرار والبيكات .

تعيين سلطان جبل نابلس

خشي ابراهيم آغا النمر من أن يحصل من البيكات ما حصل في السابق وحسب عاقبة عدائهم لجرار فترك القدس لولده محمد آغا وتولى متسلمية نابلس بنفسه فبدأ . القسم الثاني من عصر السلطانين الذي انقضى بهدوء وبقي يوسف آغا الجرار متسلماً على جينين فيقيت الأحوال سائرة بهدوء الى أن ضمت ولاية الشام لأحمد باشا الجزائر فبدأ دور الدسائس .

أحمد باشا الجزائر

هو بشناقى الأصل علمه أخوه الحلاقة ثم طرده لسوء خلقه فجاء إلى الاستانة واشتغل عند حلاق علي باشا الحكيم فاتصل بعلي باشا المذكور الذي عين والياً على مصر سنة ١١٦٩ هـ وأخذ معه فباع نفسه هناك لصالح بك أحد رؤساء المماليك وظهر من الحذق والشجاعة ما جعله يتفوق على جميع مماليك صالح بك . ولما عصي عرب الهنادي النازلون في مقاطعة البحيرة سلطه صالح بك عليهم ولكثرة من قتل منهم لقب بالجزار وظهر أمره فحسده مماليك صالح بك وتأمروا على قتله فشعر بذلك وهرب الى استانبول سنة ١١٨٣ هـ ثم خرج الى الاناضول يعيث فيها فساداً فحصل على ثروة طائلة بالنهب والسلب ولف حوله عدداً من الاشقياء الذين جاء بهم الى بلاد الشام واتصل بواليتها وكان الشهابيون قد أخذوا قلعة بيروت بعد أن ضربها الاسطول الروسي ورابط في الميناء فتعهد بإرجاع الاسطول بواسطة صاحبه ظاهر العمر على شرط أن يقدم له الشهابيون مبلغ عشرين الف ذبية فأجيب إلى طلبه وأشار ظاهر العمر على الاسطول الروسي بالانسحاب فنزل الجزائر في قلعة بيروت ورممها ثم امتنع عن تسليمها للشهابيين وحصل على أمر بولاية الساحل وجمع خلقاً كثيراً من المغاربة والارناؤوط والشركس ؛ وبعد قتل ظاهر العمر نقل مركزه الى عكا²⁰³ وضم إليه ساحل سوريا الجنوبي . وفي سنة ١٢٠٨ هـ ضمت اليه إيالة الشام وإمارة الحج وبذلك أصبح جبل نابلس . داخلاً في حكمه فبدأت الدسائس والمفاسد .

بين آل النمر والجزار

كان أول ما عمله الجزار أن ولى مملوكه قاسم بك على القدس ولم يجدد لمحمد آغا النمر المتسلمية ولما شعر بذلك ابراهيم آغا النمر متسلم نابلس وحسن آغا النمر مير أليها أرسلها له كتاباً يظهران به الاخلاص والولاء وكان يستعد للذهاب إلى الحجاز مع . الركب الشامي فكتب لهما الكتاب الآتي :

قدوة الأمائل والأقران حسن آغا و ابراهيم آغا أولاد النمر زيد قدرهم!

²⁰² راجع مرسوم التعيين غير المحدود في باب الحكومة فصل المتسلمية من الجزء الثاني .

²⁰³ فبني حولها السور وفيها الجامع واستردت مكانتها التي كانت لها في الحروب الصليبية

بعد السلام التام بمزيد الإكرام نعرفكم أنه قد انعرض لدينا صدق خدامتكم إلى طلب رضانا ببارك الله فيكم فالمراد منكم تكونوا مطييين البال مسرورين الأحوال من جميع وانشاء الله تعالى متى تيسر رجوعنا من طريق الحج الشريف بالسلامة بحق تلاقونا إلى الزرقا²⁰⁴ وتواجهونا وإن شاء الله الرحمن تشاهدون من لدنا كمال الإنعام والإكرام وما يسر خاطركم ويقر ناظركم من الخير الوافر عرفناكم والسلام .

الحاج أحمد الجزار

في ٢٤ ل 205 سنة ١٢٠٨ هـ

والي شام وصيدا

دسائس الجزائر

شغل الجزائر بعد رجوعه من الحجاز بتنظيم ولاية الشام فاحتكر الحبوب والأقطان وقتل عددا كبيرا من أرباب الحرف ثم التفت بعد ذلك الى جبل نابلس يوحد فيه الفتن واذ كان حكامه من أهله فقد رأى تبديلهم تمهيدا لحكمه بمماليكة كما فعل بسائر الأولوية . كان البيكات بالمرصاد فعين أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس وعين الحاج محمد بك طوقان شيخاً على بني صعب وحاول إغراء الشيخ صالح السليمان شيخ الجرادات بمتسلمية جينين ولما رفض سمه وحينما تحقق آل النمر وآل جرار والجيايسة نوايا الجزائر اتفقوا على العصيان فشلوا حركة أحمد بك طوقان ولم يمكنوه من عمل شيء فتوعدهم الجزائر بالخراب والدمار وفي تلك الأثناء زحف نابليون²⁰⁶ الافرنسي بجيشه من مصر على سوريا فانقلب الجزائر يستنجد²⁰⁷ بعد أن كان يهدد ، وقد اعتذر ليوسف آغا الجرار وانقلب على البيكات إلا أنه حوصر وأعطيت ولاية الشام لعبد الله باشا العظم وجاء الصدر الاعظم بالذات الى دمشق فدخلت المسألة في دور خطير .

الفصل السادس

حرق الافرنسيين ومضايقتهم

زحف نابليون على فلسطين

بعد استيلاء نابليون على مصر ولي الجزائر قيادة الجيش وأمر بهاجمة نابليون في مصر فأرسل أحد مماليكه قاسم بك الى العريش وربط فيها وفي شوال سنة 1213²⁰⁸ هـ زحف نابليون بجيشه البالغ عدده خمسة عشر ألفاً الى فلسطين فدحر قاسم بك من العريش وتقدم نحو غزه فسلم اليه محافظوها فأطلقهم على تعهد منهم بعدم الاشتراك ضده في الحرب

²⁰⁴ هي قلعة في البلقاء كانت تعتبر من منازل أمير الحج

²⁰⁵ ل - شوال

²⁰⁶ هو كورسيكي ايتالي نشأ في فرنسا وصار احد قواد الجمهورية الأولى فجاء بحملة الى مصر ليعرقل مساعي الانكليز في الشرق فاستولى على الاسكندرية آخر سنة ١٢١٢ هـ واستولى على باقي القطر المصري في اوائل سنة ١٢١٣ هـ وفي منتصف سنة ٢١٤ ازحف على سوريا .

²⁰⁷ راجع قصيدة الجزائر في باب اللغة من الجزء الثاني

²⁰⁸ المصادف لأذار سنة ١٧٩٩ م .

ولما تقدم نحو يافا ذبح حاميتها بحجة أنهم عاهدوه في غزة وحيث أن اليافيين ذبح عدد من ساداتهم فقد ذعرت البلاد وهاجمته .

استعداد جبل نابلس

جمع ابراهيم آغا النمر شيوخ البلاد عند العطاطة في رامين ، وحضر الاجتماع صديقه يوسف آغا الجرار ، ومتسلم نابلس أحمد بك طوقان ، فقسما الجموع كما فعلوا يوم هاجم جبل نابلس عثمان باشا الكرجي ، فأرسلوا الأي السباهية وجموع المشاريق مع حسن آغا النمر لإنجاد الشيخ. يوسف الواكد الجيوسي الذي هاجم الافرنسيين في يافا . وخرج محمد آغا ابن ابراهيم آغا النمر بجموع أخرى ومعها العطاطة ، وانضم الى عساكر الجزار في وادي قاقون . ورابطت جموع الشمال بقيادة ال جزار في مرج ابن عامر ، وانضم إليهم أحمد بك طوقان وعلي عمر آغا النمر .

الهجوم على الافرنسيين وحرقتهم

استتجدت يافا بجبل نابلس ، فخرج الشيخ يوسف الواكد والشيخ محمود أبو عوده الجيوسي بجموع بني صعب وهاجموا الافرنسيين في يافا فرددتهم ميمنة الجيش الإفرنسي ، فأنسحبوا الى وادي عزون ، وحاصرتهم هناك خمسة أيام ، ولما أوشكت ذخائرهم أن تنفذ ، وصلهم حسن آغا النمر بجموعه ، فانقسم الإفرنسيون الى قسمين : قسم انسحب الى السهل وقسم توارى في أحراش وادي الرشا أول وادي عزون تاركين ذخائرهم ليطمعوا بها العرب فيشغلون بها ويختصمون ويتحاربون كما كان يفعل عرب مصر . إلا أن حسن آغا النمر فطن للمكيدة فأطلق ورجاله النار في العتاد ، فالتهب واحترقت الذخائر فاحترقت معها الأحراش وأحرق من فيها من الافرنسيين ، وقد أحيط بهم ، فقتل النابلسيون من خرج منهم وسمي جبل نابلس بعد ذلك بجبل النار ولقب ابراهيم آغا النمر بسلطان جبل النار .

قتل البطل والقائد

هجم الافرنسيون بعد ذلك لمساعدة اخوانهم فاشتبكوا بالعرب وقد تضايق العرب من فارس افرنسي أظهر بطولة فائقة ، فلجأ فرسانهم الى مكيدة ، فأركب اثنان منهم رديفا ، ولما تبعهم البطل الافرنسي رمى الرديفين بأنفسهما الى الأرض ، فصار الافرنسي بينهما وبين الفارسين ، فأطلقوا عليه النار من الأمام والخلف وقتلوه ، وبعد قتله ارتبك الافرنسيون وبعد الغروب وقف القتال .

وشاهد العرب في الليل حركة القائد دumas أمام النار من نحاسة²⁰⁹ الخوذة التي على رأسه ، وكان بينهم رجل مدرب على الرماية ، وهو عابد المريحة الشيبطي²¹⁰ فصبوب بندقيته على رأس القائد وقتله ، فانسحب الإفرنسيون مخذولين

²⁰⁹ كان في أعلى الخوذة الافرنسية أنبوبة كالاصبع تلمع أمام الدار
²¹⁰ انقسمت عشيرة شبيطة الى معدى ومريحة

بعد أن أحرق بعضهم وقتل بطلهم وقائدهم ، وكان قائدهم الجنرال نابليون بانتظارهم ، فراعهم ما أصابهم . وقد أجاد شاعرنا العبقري المعاصر الأستاذ ابراهيم²¹¹ عبد الفتاح آغا طوقان وصف هذا الموقف بقوله :

سائل بها عزون كيف تخضبت	بدم الفرنجة قرب بطن الوادي
دعت الرجال فلم تكذ حتى مشت	همم الى الهيجاء كالأطواد
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم	كاس الحتوف تقول هل من صادي
كسروا من النسر الكبير جناحه	ذي التاج والأعلام والأجناد
تركوه يجمع في الشعاب فلوله	ويصب لعنته على القواد

كمين قاقون

سار حسن آغا النمر بمن معه ورابط في وادي الشعير ينتظر استدراج الفرنسيين إليه ، وكانت فصيلة من عساكر الجزائر ترابط في وادي قاقون ، ولما وصل الجيش الافرنسي انسحبوا وبقي النابلسيون بقيادة محمد آغا النمر ومعه الصملة والعطاعة ، ولما دخل الإفرنسيون الوادي بقيادة نابليون فاجأهم الكمين النابلسي واضطروهم على التقهقر الى خارج الوادي لانتظار الميمنة والسير بكامل الجيش ، فانسحب الكمين الى وادي الشعير مستدرجاً الافرنسيين الى الوادي ليخلص من المدافع ؛ إلا أن نابليون فطن للأمر وأمر فصيلة من جيشه بالصعود على التلال للمحافظة على ساقية الجيش ومؤخرته ، وبذلك تمكن هو وجيشه من السير الى الشمال . ويقول نابليون إنه كسر عساكر الجزائر في وادي قاقون ، ولكنه لا ينكر أن الكمين اضطره الى الانسحاب وانتظار ميمنة جيشه ، وأن الكمين حاول استدراجه الى الوادي الشرقي ، فتجنب اللحاق بهم واكتفى بمناوشتهم عن التلال . ومثل هذا الاعتراف كافٍ من قائدٍ كبيرٍ متعجرفٍ ك نابليون .

واقعة المرج

قسم نابليون جيشه الى ثلاث فرق : فقاد الأولى بنفسه نحو الشمال واستولى على حيفا سلماً ورابط فيها ؛ وسار القائد كليبر بالفرقة الثانية ورابط في مرج ابن عامر ليحول دون اتصال نابلس بعكا ؛ وسار القائد منو بالفرقة الثالثة فاستلم

²¹¹ هومن ذرية أحمد آغا طوقان المار الذكر وأحد الأدياء المعروفين في عصرنا ، وهذه الأبيات من قصيدة قالها في نادي آل عبد الهادي .

صفد والناصره بمساعدة شيوخها الزيدانه الحاقدين على الدولة العثمانية²¹² لقتلها كبيرهم ظاهر العمر وأولاده المار ذكرهم .

أما عساكر الجزائر الذين كانوا مرابطين في وادي قانن ، فقد دخلوا جبل نابلس وانضموا لجموعه وجموع جبل عجلون والبلقاء وخرجوا جميعا عن طريق جينين الى مرج ابن عامر ليباغتوا الجيش الافرنسي من الخلف فوجدوا القائد كليبر مرابطاً في المرج ، فأحاطوا به من جميع الجهات ، فقسم فرقته الى أربعة أقسام كل قسم اتجه نحو جهة ووقف هو في الوسط ، وكان من أسبل القواد ، وعساكره مدربون أحسن تدريب ، فظلوا مرابطين في أماكنهم والعرب تهاجمهم من كل صوب ولما شاهدتهم العساكر الموجودون في الناصرة أرسلوا خيراً لقائدهم الكبير في حيفا وأكدوا له حراجه موقف كليبر في المرج وحوله جموع من العرب والمماليك²¹³ وعساكر الجزائر الذين بلغ عددهم نحو ثلاثين ألفاً . فأسرع نابليون بالمجيء ونصب مدافعه فوق المرج ، وأخذ يطلقها على الجموع المحيطة بفرقة كليبر ، فتشردت الى جينين ، ثم نزل الى المرج وتبع اثرهم وأحرق جينين والقرى المجاورة لها أملاً برجوع العرب وعساكر الجزائر لمقاومته أو إعلانهم التسليم ، فلم يفر بهذا ولا ذلك ، فعاد الى الناصرة ثم حيفا محطم الامال ، ثم تقدم نحو عكا . وكان قواد العرب : يوسف اغا الجرار ، وابراهيم اغا النمر ، وولده محمداغا وابنا عمه حسن آغا ، وعلي آغا ، وأحمد بك طوقان ، والشيخ رباح الشريفة شيخ جبل عجلون .

أنجاد الجزائر

بعد واقعة المرج ذهبت فصيلة من أبطال جبل نابلس من العطاطة والصملة وفدائية آل النمر بقيادة محمد آغا النمر وابن عمه علي عمر آغا النمر ليلاً لإنجاد الجزائر ، ولما وصلوا جهة عكا لبدو²¹⁴ حوافر الخيل ، واجتازوا نطاق الإفرنسيين ووصلوا القلعة ، ففتح لهم الحراس ودخلوها جميعاً إلا محمد آغا الذي آلى أن لا يدخلها إلا بعد أن يدور حول السور الخارجي ليرى ما أصابه من مدافع الإفرنسيين ، وكان الفجر قد انبثق فشرع به الإفرنسيون ، فأصلوه وابلأ من نيران مدافعهم وبنادقهم ، فقتل عبده وحصانه ونجا بنفسه متسلقاً السور على الحبال التي أنجده بها الحراس ، فصعد تحت نيران مدافع وبنادق الجيش الإفرنسي ، واستقبل بالتهليل والتكبير ، فكانت هذه المجازفة مما أدهش الإفرنسيين

²¹² وقد أخطئوا بذلك لأن جدهم قتل بتماديه بالعصيان والتمرد ، وقد تسرعوا وخسروا ، لأن الجزائر انتقم منهم بعد ذلك وجردهم من أقطاعهم فضعنو

²¹³ كان إبراهيم بك الكبير قد هرب بممليكة الى بلاد الشام بعد أن غلب وانحدر أمام عساكر نابليون ، وقد انسحب مراد بك الكبير الأمير الثاني الى بلاد الصعيد" .

²¹⁴ لبدو الخيل أي ألبسوا حوافرها لبدأً. لنلا يسمع وقعرا على الأرض

وأثار إعجاب الجزائر الذي ولاه امارة سلاح الولاية بعد انسحاب الافرنسيين وانحارهم الى مصر²¹⁵، وولى ابن عمه علي آغا متسلماً على القدس ، ولم يعد يفكر بمقاومة جبل نابلس .

أول انكسارات القائد العظيم

إن كيرياء نابليون وعدم كتابته عما أصاب ميمنة جيشه في وادي عزون ، وعدم كتابة تاريخ جبل نابلس ، طمس الحقيقة وأضاع جهود النابلسيين ، فبعد فشله باقتحام قلعة عكا أول مغلوبياته . والحقيقة ان معنوياته كسرت حول جبل نابلس في وادي عزون (الرشا) وفي وادي قاقون والمرج ، فقد أحرقت فصيلة من ميمنة جيشه في وادي عزون ، وقتل قائدها وبطلها واضطر نابليون نفسه على التقهقر بعد سيره في وادي قاقون واضطر على المجيء من حيفا لانجاد فرقة كليبر في المرج ولم ير من النابلسيين اقل خضوع ولولا حنقهم على الجزائر لما مكنوه من الاستقرار وقد اتجه نحو عكا خائر العزيمة فاقد الأمل . لانه كان يأمل ان يستسلم جبل القدس وجبل نابلس اليه كما استلمت الناصرة وصفد فلما خابر القدس رفضت الإذعان ، ولاقى من النابلسيين كل ما يغيظه ، ولو اقتحم عكا للاقى في كل وادٍ من أودية جبل نابلس أضعاف ما لاقى في فتح عكا ولما تمكن من الوصول الى نابلس ، ولقد كان الفشل الذي مني به حول جبل نابلس دليلاً كبيراً على استعداد البلاد للمقاومة بدلاً من التسليم ، وأنه لا محالة سيفقد بين جبالها أضعاف ما فقد في سهول مصر وساحل فلسطين ، ولا شك أن هذه الحقيقة تجلت أمام نابغة الافرنسيين فصدت آماله وأضعفت هوسه فوقف تحت أسوار عكا وقلبه يخبره أن القلعة الحقيقية هي جبل نابلس الذي إن أمده الدولة بالعتاد والمدافع وداهمه خسره كل شيء .

وهناك نقطة أخرى تسجل الظفر لنابلس والمغلوبية على نابليون حولها وهو أن جبل نابلس دافع وقاوم دون مساعدة حقيقية من الخارج أما عكا فقد ساعدها الاسطول الانكليزي من البحر مساعدة فعلية ، وكان الافرنسيون مدربين على أحدث الأصول الحربية وسلاحهم أحدث سلاح ، ومعهم المدافع التي لا يعرف العرب حربها ، فقد قال الشيخ رباح الشريدة أحد شيوخ جبل عجلون عن حربها (أنا ما أخوض جهنم بعصا) أما النابلسيون فقد كان سلاحهم قديماً ، وكان الواحد منهم يحمل قرعة فيها البارود ، ويلف على وسطه حبلين من الرصاص ويحمل كيسا من الخرق البالية ، فيعبيء البندقية بالبارود والرصاص والخرق ، ويقدح الزناد لتشتعل ويطلقها بعد كل هذه الصعوبة ثم يهجمون بالسلاح الأبيض فيصابون بخسارة كبيرة لا سيما اذا كان العدو مستحكما ولديه مدافع وأسلحة حديثة . وكان النابلسيون يسيرون بلا نظام ، ومع ذلك فلو أنهم كانوا راضين على الجزائر والدولة وقبلوا إمدادها وخرجوا ، لاستردوا الناصرة وصفد ، وضابقوا الجيش الافرنسي ؛ إلا أنهم كانوا حاقدين علي الدولة لتمسكها بالبيكات الذين عينوا بدون رضى جبل نابلس ، فاكتفوا

²¹⁵ لم يطل نابليون حصار عكا حيث فقد المؤن وتفشى في جيشه الطاعون ، ووصلته عن فرنسا أخبار مزعجة ، فعاد الى مصر وخرج منها سراً الى فرنسا تاركاً جيشه لقواده ، وفي آخر سنة ١٢١٥ خرج جيشه من مصر بشروط مشرفة .

بالدفاع عن جبلهم ولم يهاجموا ، ثم دخلوا في دور تمرد خطير هو أقصى ما بلغه جبل نابلس من الإباء والشمم مع التعقل والدهاء كما سيظهر من الفصل الآتي ، وهو أهم فصول هذا الكتاب .

الفصل السابع

تمرد جبل النار

تصميم جبل نابلس على مقاومة البيكات

اتصل البيكات بأحمد باشا الجزائر ، فولي أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس ، وأسعد بك بن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، وقد سم الشيخ صالح السليمان ، فاجتمع ابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار والشيخ محمود أبو عودة الجبوسي ، واتفقوا على مقاومة البيكات مهما كلفهم الأمر ، وأخذوا عهداً على جميع شيوخ نابلس بالثبات على المقاومة حتى النهاية ، فبدأت المقاومة حوالي سنة ١٢١١ هـ واشتدت سنة ١٢١٣ هـ ، فزجر الجرار وأرعد ، ثم جاء الافرنسيون ودحروا قاسم بك في العريش ، فانقلب الجرار يستنجد ويعتذر بقصيدة²¹⁶ تثير الجبان ، أرسلها للشيخ يوسف الجرار ، ثم عزل أحمد بك وأسعد بك من قبل الصدر الأعظم الذي نزل دمشق ، ثم فصلت عن الجرار ولاية الشام وتولاها عبد الله باشا العظم المرتشي .

تعيين خليل بك وبعض الشيوخ

لما بلغ أحمد بك العزل وعلم بفصل ولاية الشام عن الجزائر ومجيء الصدر اعظم أخفى خبر العزل، وأرسل ابن أخيه خليل بك ابن علي بك طوقان بالهدايا والرشوة لعبد الله باشا العظم ، وطلب تعيينه مكان عمه ، وأفهمه ضرورة تأييده بالتعيين من طرف السلطان والصدر أعظم ليقضي على محاولات أمراء وشيوخ جبل نابلس الذين أكثرهم أقاربه²¹⁷ فحصل على ذلك كما سيظهر من المرسومات الآتية . ثم حصل على أمر آخر بتعيين الحاج محمد بك ابن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، ونظرًا لتصميم شيوخ البلاد على المقاومة فقد سعى البيكات للحصول على أوامر بتعيين شيوخ جديدين ، فعين الشيخ عيسى البرقاوي شيخاً على وادي الشعير بدلاً من شيوخه العطاعة وعين الشيخ مصطفى العديلي شيخاً على المشاريق بدلاً من آل الحاج محمد اصهار²¹⁸ آل النمر ، فاشتد النزاع والتمرد أضعاف ما كان ، فصارت المرسومات لتصدر ملؤها التهديد والوعيد ، كما يظهر من المرسوم الآتي :

²¹⁶ راجع قصيدة الجزائر في الجزء الثاني

²¹⁷ يقول السلطان في مرسوم الخليل بك ومعاذ الله ان صدر منكم ادنى درجة تهاون واغماض وتكاسل او مراعاة خاطر لقراب منكم او متعلق بكم « والمقصود بهذا ال النمر اصهار ال طوقان الذي احتج خليل بك بهم عن عجز عمه عن تنفيذ الاوامر بالقوة معهم

²¹⁸ تزوج حسن آغا النمر بنت الشيخ سعادة الحاج محمد وبعد موت هذا نقلت المشيخة لال أحمد في بيت فوريك

مرسوم²¹⁹ تعيين خليل بك طوقان

افتخار الأماجد والأكارم خليل بك طوقان زاده²²⁰ متسلم سنجاق²²¹ نابلس²²² زيد مجده.

بعد التحية والتسليم المنهى إليكم ان الدولة العلية صانها رب البرية لم تزل دايماً تحسن لمن يكون صادق بخدمة الدين والدولة وسالك سنن الطاعة ومنقاد في ربة الطاعة فيستحق الإحسان واللف والامتنان وان عمك أحمد بك المتسلم السابق تهاون وتكاسل وما رعى حق نعمة الدولة العلية فعزل عن المتسلمية وقد نصبتك الدولة بموجب فرمان سلطاني شريف وحكم خاقاني منيف بأنك تكون متسلم على سنجق نابلس فبناء على الامر السلطاني أصدرنا لك مرسومنا هذا فحال وصول الامر السلطاني اليك ننتلقاه بالقبول والتعظيم وحسن الأدب والتجليل وتباشر متسلمية نابلس وتؤدي خدمة الدولة العلية الذي مطلوبة كما ينبغي والذي يخالفك ان كان من نفس المدينة تطلع من حقه وتجازيه بالجزا الشديد وان كان من النواحي والمقاطعات كذلك تعاقبه بأشد العقوبات والذي يلزم ترتيب جزاء ترتيبه . والذي يطيع الله ورسوله وأولي الأمر تحسن اليه وتكرمه وتعرفنا عن الذي خارج عن ربة الطاعة باسمه ورسومه وتمنعه من الدخول الى مدينة نابلس عموماً وتعرف أهالي نابلس عموماً أن كل من اشترى منهم وباع عليهم وأنزلهم عنده ترسم عليه وتضبط الذي معه وتعرفنا عنه وتحصل رضا الدولة العلية فيما يقتضي ويلزم وإن بدى منك أدنى تهاون أو تكاسل فيما يقتضي ويلزم من الخدمة الدولة العلية بصير ويجري عليك كما هو على سلفك اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في العشر من رجب الفرد سنة ١٢١٤ هـ .

الحاج يوسف

الوزير الاعظم

استمرار العصيان والتمرد

حينما بلغ امراء وشيوخ جبل نابلس هذا الأسلوب الذي لجا إليه البيكات من إيصال المسألة إلى السلطان والصدر الأعظم ثم تبديل الشيوخ والحصول على الأوامر الشديدة امتلاًوا غيظاً وازدادوا عصياناً وتمرداً فأرسل الصدر الأعظم فرقة من جيشه لإخضاع نابلس فأنفق عليها المتسلم خليل بك خمسة وعشرين²²³ الف وثمانماية قرش دون أن يخضع له أحد

²¹⁹ المرسومات المذكورة في هذا الفصل مسجلة في سجلات مجلس الشرع الشريف بنابلس

²²⁰ زاده اي ابن

²²¹ السنجق أي اللواء

²²² نابلس كانت تكتب نابلس في المكاتبات التركية .

²²³ صارت الذهبية في ذلك الوقت خمسة قروش فيكون هذا المبلغ خمسة آلاف ومائة وستين ذهبية - راجع بحث العملة في الجزء الثاني

ثم خشي الثورة فطلب من الصدر الأعظم سحب العساكر أملاً التفاهم بعد ذلك مع امراء وشيوخ البلاد فسحبهم على شرط دفع ما أنفق عليهم كما يظهر من المرسوم الآتي :

مرسوم تهديد ووعيد جديد من الصدر الاعظم

قدوة النواب المشرعين²²⁴ نايب أفندي بمدينة نابولوس زيد فضله وعمدة الفقها مأذون بالافتا أفندي زيد علمه وفخر الاشراف نقيب أفندي زيد سيادته ومفاخر الأماثل الأبي بيك وسائر الأعيان والتجار ووجوه البلدة زيد قدرهم . بعد السلام التام المنهى إليكم انه غير خافكم أن الأوردي الهمايوني المبارك جاء إلى هذه البلاد لأجل الغزاة والجهاد في سبيل رب العباد وتطهيرها من لوث أهل الشرك والعناد والأوردي قد صار له في هذه الأطراف والنواحي مقدار سنة وأكثر وأنتم واجب على ذمتكم وعلى كل مؤمن بالله تعالى الإعانة الى المجاهدين لا سيما بلادكم قريبة من أعدا الدين وفي السابق²²⁵ رأيتم كيف فعلوا أهل الشرك في هذه البلاد من الفضيحة والفساد فالواجب عليكم أنكم لما شاهدتم حلول الأوردي²²⁶ في هذه البوادي المارعة والإعانة لأجل الجهاد وقمع أهل الكفر والعناد كما هو فرض عليكم بحسب قربكم لأن العساكر الذي يأتي إلى الأوردي من مسافة أربعة أشهر وأكثر برأ وبحراً وكل هذا غير خافكم وماظهر منكم غير اسلامية ولا حمية دينية فمن عدم غيرتكم اقتضى طلب عسكر بواردية بالعطية ومبايعة بالدرهم وجمال بالاجرة فما اديتم من المطلوب جزءاً واحداً ولا صغت عقوالكم ولا سمعت أذانكم إلى الأوامر السلطانية فبحسب إغماضكم ومخالفتمك الى أمر أولي الامر عينا عليكم جانب من العساكر والمجاهدين لأجل نظام أحوالكم الفاسدة وتصفية أفهامكم الجامدة والطلوع من حقمك بما سلف من حقمك ولكن قد ترامى على أعتاب الدولة محسوبنا وجبراغنا قدوة الأماجد والأعيان طوقان زاده خليل بك المتسلم فبحسب المومى اليه أنه جراغنا وخادمنا قبلنا رجاء ولكن المومى إليه صرف على العساكر وهي عندكم في مدينة نابولوس خمسة وعشرين الف وثمانماية قرش عن ذخيرة وشعير فيناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع الواجب الامتثال والاتباع عموماً تحيطون علماً أنه حال وصول المرسوم اليكم تقرضوا المبلغ المرقوم على أهل المدينة من غير نقصان ولا تحملوا أحد غير طاقته وتجمعوا المبلغ المرقوم خلال ثلاثة أيام وكل من خالفه أو تعذر نهى لطرفنا عنه نايب²²⁷ الشرع بإعلام . وإن صدر منكم أدنى تهاون أو تردد في دفع المبلغ إلى المتسلم المومى إليه يقتضي رجوع العساكر الوافر عليكم وتندموا غاية الندم والحذر من الخلاف تحريراً في الحادي عشر من ربيع الأول سنة خمس عشر ومايتين والف .

الحاج يوسف

الوزير الا عظم

رد الامر للسلطان والتخلص من التكاليف

كان الحاكم الشرعي إذ ذاك الشيخ موسى ابن الشيخ محمد التميمي خصماً لدوداً²²⁸ للبيكات كأبيه وكان يسند امراء وشيوخ جبل نابلس عن مقاومة البيكات ولما مضت الأيام الثلاثة التي ضربها الوزير الاعظم لنابلس دون دفع شيء من المال فرض على جبل نابلس ثلاثة آلاف جندي نصفها من المدينة ونصفها من القرى فتوسط خليل بك المتسلم لإنزالها إلى ألفين فقبل الصدر²²⁹ الاعظم ولكن القاضي الشيخ موسى التميمي وابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار والشيخ

²²⁴ كانت العادة ذكر الرتبة واهمال الاسم لهؤلاء سوى المتسلم لانه هو الذي يعرف اسمه أما باقي رؤساء الحكومة فمراجعتهم مختلفة كما يظهر في باب الحكومة من الجزء الثاني .

²²⁵ يشير الى الحروب الصليبية

²²⁶ الأوردي باللغة التركية معناه الجيش

²²⁷ اي القاضي وكان يعرف بالحاكم الشرعي ايضاً ويسعى نائب الخليفة او المولى خلافة راجع فصل مجلس الشرع الشريف

في باب الحكومة

²²⁸ راجع البحث اجلاء آل سلطان في الباب السابق

²²⁹ هو رئيس الوزارة كان يلقب بالوزير الاعظم وبالصدر الاعظم

محمود العوده رأوا ضرورة إضاعة الوقت حتى يذهب الجيش فاتفقوا على طلب التخفيف من السلطان فأخرجوا الوزير الاعظم وبعد مضي وقت كبير ورد الامر السلطاني بقبول الف جندي بدلاً من الفين ولما طلب الوزير الاعظم انضمام الألف جندي للجيش اعتذروا بعدم إمكان تقديم رجال ظهروا استعدادهم لتقديم الاموال بدلا من الرجال وطلبوا ذلك من السلطان فأخرجوا موقف الوزير الاعظم مرة اخرى ولما كان الجيش على وشك الزحف الى مصر وصل أمر السلطان بقبول مائة وعشرة آلاف قرشا عوضا عن الالف جندي والمرسوم مملوء بالشكوى والتهديد وهو الآتي :

شكوى السلطان²³⁰ وتهديده

صدر الفرمان العالي السلطاني وأمرنا الجليل الخاقاني الى افتخار الأماجد والأكارم حاوي المحامد والمكارم قبوجي باشي²³¹ باب المعلام متسلم سنجق نابلس طوقان زاده خليل بك زيد قدره وقُدوة النواب المتشرعين نايب مدينة نابلس وجنين زيد علمها ومفاخر المشايخ متسلم جنين يوسف ابن جرار ومشايخ نواحي نابلس وجنين عمومًا زيد مجدهم وقُدوة الاماتل والاقران المباشر المعين بهذا الخصوص زيد قدره بعد وصول توقيعي الرفيع الهمايوني الحكمي تحيطون علمًا أنه لا يخفى أحد من أهل بلاد الإسلام عداوة أهل الكفر الفجار الطغاة الليام طايفة الفرنسيين المشركين أعداء الدين وما فعلوا من الافعال القبيحة في حق أهل الكنانة من الذل والفضيحة . والآن قد بلغ مسامع سلطنتنا العلية انه في هذه الايام قد اشتدت اذيتهم لأهل الاسلام وعاوتهم الكامنة في قلوبهم الخبيثة لأهل الايمان فلزم قيام وزيرنا الاعظم وسر دارنا الافخم الحاج يوسف ضيا باشا يسر الله له من الفتوحات ما يروم ويشا بالأوردي وسائر عساكرنا المنصورة إلى تخلص أهل الاسلام وأخذ الثار والانتقام من أعداء الدين اللئام وتطهير البلاد وتأمين العباد وقد تقدم إصدار فرمان جليل الشان من دولتنا العلية بطلب الفين نفر من سنجاق نابلس وجنين ينضم الى عساكرنا المنصورة وتذهب بمعية الأوردي الهمايوني الى الغزا والجهاد في سبيل رب العباد ثم وقعت عرض واعتذر ثم أن الفين نفر اخراجها متعسر بسبب الزراعة والحراثة وسالتموا العفو عن الف نفر وانكم تخرجوا الف نفر فرحمة لسؤالكم عفونا عن الف نفر والى الآن ما حضر من الالف نفر واحد والحالة هذه من مدة كم يوم قيام الأوردي الهمايوني كما هو مشروح بيانه فيسبب قيام الأوردي سريعا وبدلاً عن الألف المطلوبة للسفر تدفعوا مائة الف قرش وعشرة الاف الى خزينة الاوردي الهمايوني لأجل تدارك الف عسكري غيرهم فالمطلوب من بعد وصول أمرنا العالي إلى الثامن الشهر المبارك شهر شوال توردوا مقدار أربعين الف من المبلغ سالف الذكر وتكمل المبلغ الى نصف شوال يكونوا أكملت المائة الف والعشرة آلاف وقد تعلقت ارادتنا العلية السلطانية باتمام المبلغ المطلوب تماما وكما إلى نصف شوال وقد تقدم إصدار الفرمان العالي من دولتنا العلية فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا الجليل السلطاني وأمرنا المنيف الخاقاني حاول الاستعجال والتأكيد فحال وصوله ووقوفكم على منطوقه ومفهومه تبادروا بإرسال أربعين الف قرش يوم الثامن من هذا الشهر وبقية المبلغ تكمله الى النصف الشهر المذكور وتشمروا السواعد والاقدام مع غاية الذمة والاهتمام والسعي والجهد التام بتحصيل المبلغ وايصاله وتوريده كما هو مشروح ومفصل ومعاذ الله إن صدر منكم أدنى تهاون واغماض وتكاسل أو مراعاة خاطر لقراب منكم" أو متعلق بكم تحققوا العاقبة الوخيمة في حقكم والجزا المهول وخدمتكم وصادقتكم تذهب هباء منشوراً فالمطلوب منكم إبراز الغيرة والحمية والصدقة الملحوظة بكم وإرسال المبلغ سريعا كما هو مشروح مفصل بيانه اعلموا واعتمدوا غاية الاعتماد والحذر من الخلاف تحريراً في غرة ب²³² سنة خمس عشر ومايتين والف.

²³⁰ هو السلطان سليم الثالث العثماني كان شديد العزة ويقال انه جاء الى سوريا في ذلك العهد لان تاريخ المرسومين غير بعيد .

والراجح انه نزل في دمشق وحلب ليكون قريباً

²³¹ هو من الرتب التشريفية

²³² أي في اول رجب.

حرق ونهب الذخائر وسفر خليل بك

قدم خليل بك طوقان للجيش دقيقاً وتينا وحطباً بالمبلغ المطلوب أو بعضه استقرضها من شيوخ النواحي والأغنياء الموالين إليه آملاً تحصيل المبلغ من أهالي البلاد الذين أظهروا الاستعداد لتقديمه ولكنهم ما لبثوا أن أنكروا ذلك ورفضوا دفع شيء من المال وأتهموا خليل بك المذكور قبض أثمان الذخائر والارزاق من الوزير الاعظم قبل زحفه الى مصر . ولم يقفوا عند هذا الحد بل أحرقوا ونهبوا الذخائر التي وضعها الصدر الاعظم لامداد الجيش في خان جلولية وقلنسوة وعين الاساور وعهد للحاج محمد بك طوقان والشيخ عيسى البرقاوي بالمحافظة عليها وزادوا على ذلك أن اتهموا المحافظين عليها ببيعها وتبديدها فتخرج موقف البيكات الى حد عظيم . وكان الصدر الاعظم



سجن الجيايسة في كور

قد دخل مصر واستقر فيها ينظم أحوالها في سنة ١٢١٦ هـ فسافر خليل بك الى مصر يخبر الوزير الاعظم المذكور بذلك تاركاً متسلمية نابلس لأخيه موسى بك طوقان الشاب الجسور الذي مثل دور الانتقام الفظيع وأشعل في نابلس حروباً وثورات دامت عشرين سنة .

موت سلطان جبل النار

في هذه الأثناء وحوالي سنة ١٢١٧ مات ابراهيم آغا النمر الملقب بسلطان جبل النار وقطب رحى التمرد والعصيان بعد أن قضى ثلاثين سنة بالتمرد والعصيان فبدأ امارته في مقاومة ظاهر العمر ثم انقلب على مصطفى باشا طوقان وأخرجه باتفاقه مع ظاهر العمر ثم رد عثمان باشا الكرجي والامير يوسف الشهابي بعد أن ضاقت جروده الجيش المصري . ونجا برجوع صديقه محمد باشا العظم . وقد تولى حكم نابلس بعد فصل صديقه سلطان البر يوسف آغا الجرار وأضاع مساعي البيكات سدى ، ثم اصطدم بالجزار وجر جبل نابلس جميعه الى العصيان وكان شيخا حينما جمع شيوخ جبل نابلس في راسين وأرسلها تحرق ميمنة الجيش الافرنسي في عزون وتشترك في كمين قاقون وترابط

في المرج وقد انجد خصمه الجزائر بولده محمد آغا ثم عاد لنابلس يدير حركة التمرد والعصيان ضد البيكات والدولة فنجح نجاحاً كبيراً ورغم ما صدر من الاوامر وما أظهر الوزير الاعظم من الشدة فانه لم يكثر بل ظل رابضاً غير هياب فعطل ارادة السلطان بالذات وبرهن على أن ارادته هي النافذة وانه سلطان جبل نابلس الحقيقي وقد كان ابراهيم آغا أميراً صوفياً للشعب فيه عقيدة راسخة لا سيما بعد أن أغاثه الله في صانور.

فكلمة منه جمعت الجرود وهاجمت جيش الفرنسيين واخرى جرت جبل نابلس جميعه للعصيان على السلطان العثماني رغم وجود جيشه في البلاد وقد أخرج كل من قاومه فأخرج مصطفى باشا طوقان وولديه أسعد بك والحاج محمد بك وأخيه أحمد بك وابن أخيهما خليل²³³ك الذي ذهب إلى مصر يشكو الامر للوزير الأعظم بعد أن ترك المتسلمية وسئم منها فأمد الوزير الأعظم أخاه موسى بك بثلاث فرق ضم اليها البيكات فرقة من المماليك فبلغ جند الدولة المكلف بتنفيذ أوامره خمسة آلاف جندي من أبسل جنود العالم في ذلك العهد . إلا أنهم قبل أن يصلوا البلاد مات سلطانها الكبير ابراهيم آغا النمر بعد أن كتب لنفسه واسرته وجبل نابلس صحفاً بمداد المجد والفخار.

²³³ لم أعلم عن مصير خليل بك شيئاً وهل عاد من مصر أم بقي فيها-

الباب الخامس

عصر موسى بك

الفصل الأول

البيكات بين النعمة والانتقام

تخرج موقف البيكات

نهبت الذخائر وأحرقت فأصبح البيكات بحاجة إلى إقناع الدولة بأن هذا كان مكيدة وبأنهم لم يقصروا وأصبح أصحابها يطالبونهم بأثامها وهم بحاجة إلى اقناعهم بعدم استيلاء أثمانها فانقضت سنتا ست عشرة وسبع عشرة بين رد نعمة الدولة وأصحاب الذخائر والتبرؤ من تهمة العجز والخيانة وبين ثورة الانتقام من الذين أخرجوا موقفهم إلى هذا الحد وكان الواجب على البيكات التفاهم مع أصحابهم²³⁴ آل النمر رأس المؤامرة وترك متسلمية نابلس لهم والاكتفاء بمشيخة بني صعب والاكتفاء بالانتقام من الجيايسة لحرق الذخائر وأن يعملوا جهدهم لإيجاد أنصار لهم في البلاد فإن تعاونهم مع البرقاوي الجالي عن بلده ومع العديلي الذي أنقذه آل الحاج محمد والمشاريق كلها من سلطة شيوخ جماعين قد زاد البلاد غيظاً على غيظ . وبالرغم عن حراجة الموقف فانهم لم يفكروا بشيء سياسي بل صمموا على سياسة القمع الكلي والانتقام العام معتمدين على قوى حكومية محصنة.

امداد الدولة للبيكات

أمدت الدولة البيكات بثلاث فرق عسكرية كل واحدة منها الف وخمسمائة جندي . واحدة منها كردية بقيادة شمدين آغا وأخرى من المغاربة والثالثة من الارناؤوط . وقد جمع البيكات نحو خمسمائة من المماليك اللاجئيين لجبل نابلس بعد واقعة المرج فبلغ عدد عساكرهم خمسة آلاف جندي تولى قيادتها موسى بك وابن عمه الحاج محمد بك وابنه أسعد بك وأخوه رضوان بك وأبناء محمد²³⁵ السعيد طوقان . وهؤلاء العساكر هم من أبسل عساكر الدنيا . وقد أمدت الدولة البيكات أيضا بالأموال والأوامر السديدة لقمع العصيان والقضاء على التامر ووعدتهم بالامداد المستمر إلا أن أحوال الدولة²³⁶ المضطربة شغلته فطال الأمر على البيكات وأبادت البلاد جميع العساكر وقد أتى أميرهم موسى بك طوقان من الشدوذ ما قلب السلطان ووزراءه وولاته جميعا على البيكات وقد تركتهم سائر فروع آل طوقان في أخرج المواقف كما سيتبين .

وقد قضى مومى بك كل عمره القصير في أنكذ وأشقى حال يحاول إخضاع جبل نابلس الجبار :

ولم يضرها وأوهى قرنه الوعل

كناطح صخرة يوما ليوهنها

²³⁴ كان حسن آغا النمر متزوجاً بنت خضر طوقان وأخوه علي آغا متزوجاً من آل رحال طوقان وأخوه عبد اللطيف آغا متزوجاً بنت الخواجه عثمان عبد الرزاق طوقان.

²³⁵ وهم عبد الله وأسعد وفرهود

²³⁶ شغلت الدولة باصلاح الجيش وإخماد ثورة البلقان ورد غارة النجديين (الوهايين) عن سوريا واسترجاع الحجاز وقد ماتت الجزائر وعادت سوريا الى الاضطراب والتقلقل

الفصل الثاني

البيكات والجيايسة

النزاع على مشيخة بني صعب

على أثر القتلة التي وقعت بين الجيايسة في أواسط القرن الثاني عشر عين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب وبذلك أصبح للبيكات حق مشيخة بني صعب فكان هذا الحق سبباً في نزاع طويل دام باقي عهد الاقطاع بين البيكات والجيايسة وبعد رجوع البيكات ببضع سنين حصلوا عليها ثم نزعت منهم واستردها الجيايسة ولما ضم جبل نابلس الجزاء عين أسعد بك شيخاً على بني صعب ثم عين الحاج محمد بك فاشترك الجيايسة بالتآمر ضدهم وأحرقوا الذخائر ودخل الامر بينهم في دور خطير .

اضطهاد الجيايسة

أقع البيكات الدولة بأن الجيايسة. هم الذين أحرقوا ذخائر الجيش ونهبوها فسخطت عليهم وجردتهم من اقطاعهم وحرمتهم سكن جميع قرى بني صعب إلا ثلاث قرى وهي كور وارتاح وقلنسوة . وأمدت البيكات بالعساكر وفوضتهم تجريد الجيايسة من اقطاعهم وتغريمهم أثمان الذخائر قعد البيكات هذه الفرصة كافية للقضاء على الجيايسة فتوجهوا بعساكرهم يعاملونهم بمنتهى القسوة .

الثورة في المغرب 237

لم تصبر عشائر بني صعب على اضطهاد شيوخهم الجيايسة فثارت من أجلهم وأنجدتها عشائر الشعراوية²³⁸ وجماعين الغربية وجورة عمرة وطاردوا العساكر في كل مكان فخرج موسى بك بعساكر نابلس يخمد الثورة بمنتهى القسوة فشاع أنه وجد بضعة عشر تائراً في بئر في قاقون فرمى عليهم قش السمسم وأحرقهم فاشتدت الثورة واستجدت المغاربة بعشائر جبل نابلس فأنجدتها من كل صوب فطاردت العساكر واضطر البيكات على الانسحاب الى نابلس ووادي الشعير

عزل البيكات وخسارتهم

في سنة ١٢١٨ هـ مات أحمد باشا الجزائر والي ايالتي الشام وصيدا وعين مكانه محمد باشا أبو المرق ابن والي حلب ولان الجزائر مات بلا عقب فقد أمر محمد باشا بضبط تركة الجزائر لإدخالها في خزينة الدولة . وكان موسى بك قد حول بأثمان الذخائر على الجزائر فلما مات صدرت الأوامر بتحويله على التركة ليأخذ منها وكان أبو المرق يطمح بتركة الجزائر فأحب أن يتخلص من حوالة موسى بك فمأطله وسوفه إلى أن أتم ضبط التركة .

²³⁷ القسم الغربي من جبل نابلس يسمى بالمغاربة وهو يشمل الشعراوية الغربية وبنني صعب وقسم من جماعين الغربية والسهول الرملية الساحلية المعروفة بسهل شاروون
²³⁸ الشعراوية الغربية هي الجزء الشمالي الغربي من جبل نابلس وشيوخها الهناتشة ثم نافسهم الصورة في دير الغصون - راجع نواحي جبل نابلس في الجزء الثاني في باب الحكومة .

وفي هذه الأثناء وصل الميرألاي حسن آغا النمر والحاج أحمد آغا الجرار يحملان عرائض جبل نابلس ضد البيكات فاعتتم محمد باشا هذه الفرصة وعزل موسى بك مجردا من كل حق وطلب ، وبذلك حرم موسى بك من المطالبة بأثمان الذخائر وفقد متسلمية نابلس وفقد ابن عمه الحاج فهد بك مشيخة بني صعب وكسب البيكات عداوة جبل نابلس جميع وقد أضعفوا أنصارهم الذين قدموا لهم الذخائر ورزحوا تحت أثقال الديون وقد فقدوا أيضاً نصف العساكر إذ قتل بعضهم وبعضهم هرب خصوصا الاكراد الذين عادوا الى دمشق . وقد كان مرسوم محمد باشا شديد اللهجة والتحمل على موسى بك وهو أول خطوة في الخسارة الحكومية وقد عين موجه الحاج أحمد آغا الجرار وكيلاً في متسلمية نابلس وهو الآتي .

مرسوم محمد باشا أبو المرق

قدوة النواب والمنتشر عين نايب أفندي محروسة نابلس زيد فضله وعمدة العلماء المدققين المأنون بالافتا أفندي زيد علمه ونخبة السادات الكرام قامقام نقيب الاشراف أفندي زيد شرفه ومفخري الأماجد والاعيان الموكل الآن من طرفنا بمتسلمية نابلس الحاج أحمد آغا الجرار وميرألاي حالاً حسن آغا النمر زيد مجدهم وسائر الوجوه والتجار والأهمالي على وجه العموم تحيطون علماً أنه بهذا الاثني بحسب ما صدر من موسى بك طوقان من الامور المنافية لرضى الله تعالى ورضانا وعدم استقامته على نهج الاستقامة برؤية سائر الخدمات المبرورة العايدة بطريق الحاج الشريف وخاصة اضمحلال أحوال الرعية بمدة متسلميته من أوجه شتى لزم عزلناه من متسلمية نابلس مجرداً صوتاً للرعايا وراحة الفقرا والمساكين ووكنا بالمتسلمية المرقومة من طرفنا قدوة الأماجد المكرمين الحاج أحمد آغا الجرار فتكونوا معه يداً واحدة ورأياً واحدا في صيانة الفقرا والرعية ودفع أسباب التعدي من كل وجه وتبادروا برؤية سائر الخدمات المبرورة العايدة للطايف الحجازي المبارك وتحصيل الاموال المرتبة واستيرادها حسب العادة والدأب القديم ونعرف وكيل المتسلمية المذكورة إنه لعلمنا برشدك وسدادك وحسن امتزاجك وكنناك بالمتسلمية المذكورة وكافة امور البلد لحين حلول ركابنا بمحروسة نابلس وننصب متسلما مستقلا من طرفنا فالمراد تحسن سلوكك وامتزاجك مع الجميع وتصرف فريد سعيك واهتمامك بما فيه رضى الله تعالى ورضانا بحفظ وصيانة الرعايا وديعة الله تعالى باري البرايا وإن شاء الله تعالى جميعكم تشاهدوا من لدنا فريد الالتفات التام بكافة ما فيه رفاه حالكم فبناء على ذلك أصدرنا لكم بيور لدينا هذا من ديوان الشام وصيدا وطرابلس وسر عسكر الحجاز عن يد رافعه ان شاء الله تعالى بوصوله ووقوفكم على فحواه تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد والسلام في ٥ ش ١٢١٩ هـ

(وعليه ختم الولاية المعتاد)

الفصل الثالث

الجرار والبيكات

البيكات والعساكر

لم يكن عزل البيكات هذه المرة كغيرها فقد بقي عندهم نصف العساكر الذين يحتاجون إلى إسكانهم وإطعامهم . وكان موسى بك طلب قصر الشيخ حامد القدومي شيخ الشتويات في الجنيد ليمضي فيه مدة الصيف فوضع يده عليه ووسعه وجعله قامة أنزل فيها العساكر . وكان الحاج محمد بك دفع ميري بلاطه وأودله واقتطعها مع ملحقاتها فأنزل فيهما بعض عساكره الذين كانوا في بني صعب وأنزل القسم الباقي في وادي الشعير وقد ظل تحت أيدي البيكات بعض الاقطاع فأخذوا للسكينة يترقبون الفرص .

حكم سلطان البر الاخير ووفاته

بعد رجوع أبي المرق من الحجاز في أول سنة ١٢٢٠ سافر يوسف آغا الجرار سلطان البر وحسن آغا النمر الى دمشق فولى أبو المرق متسلمية نابلس ليوسف آغا الجرار على شرط أن يدفع عشرين الف قرشا من فردة²³⁹ نابلس لخزينة والي الشام فقبل ولما رجع لنابلس امتنع عن دفع المبلغ فأنزله الوالي الى النصف أي لعشرة آلاف قرشا فلم يلتفت سلطان البر لذلك وبقي في المتسلمية إلى أن مات سنة ١٢٢٢ هـ عن أشبال ثلاثة وهم داود آغا والحاج أحمد آغا والشيخ عبد الله بعد أن سجل لهم مجدًا تالدا ومكانة عالية وأظهر عزة جبل نابلس ومكانته بأسمى مظاهرها وقد دور آل طرباي وزاد عليهم عمله المتواصل مع آل النمر والجيايسه وسائر الشيوخ فدام جبل نابلس في عهده متحدا فوق الى الصلح بين نابلس وظاهر العمر ثم رد الشهابي والكرجي وبذل كل ما بوسعه لمساعدة الفقراء والمحناجين في المجاعة فسارت بكرمه الركبان . وقد خاصم الجزار الذي عاد يستنجده بقصيده هي مفخرة من مفاخر جبل النار . ثم ضايق كليبر في المرح وتمرد على الدولة وأحرج البيكات وأنجد الجيايسه ثم فاز متسلمية نابلس ولم يكثر بتكاليف والي الشام فعاش ومات أيباً وفورا .

رجوع البيكات للحكم

بعد انتهاء حكم محمد²⁴⁰ باشا أبو المرق فصلت الايالتان عن بعضها فعين على ايالة صيدا سليمان باشا الجزائري المعروف بالعدل وعين على ايالة الشام عبد الله باشا العظم المرتشي فأسرع البيكات بالذهاب الى دمشق بعد موت يوسف آغا الجرار ومعهم الهدايا الثمينة والمرسومات السابقة لوالي الشام فأعاد موسى بك لمتسلمية نابلس والحاج محمد بك لمشيخة بني صعب وعاد العداء إلى ما كان عليه بينهم وبين امراء وشيوخ البلاد .

²³⁹ راجع فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني -

²⁴⁰ كان الوالي ي عين لمدة سنتين مالم يقل ثقة كبرى ولا يوجد له منافس فيولي الحكم دائما كما كان احمد باشا الجزار .

الحرب بين داود آغا وموسى بك

وقع نفور بين داود آغا اليوسف الجرار وبين موسى بك فمس الأخير كرامة الأول وحاول اغتياله فأسرع بالعودة الى الشمال وجمع جموعه وهجم على نابلس فلقية موسى بك بعساكره على عين الصبيان فغلب وتبعه داود آغا بجموعه ودخل بوابة نابلس الغربية بعد أن قتل خمسون جندياً من عساكر موسى بك . وأسوأ من هذا كله أن مصطفى بك ابن موسى بك الذي كان عمره في العاشرة خرج وراء العساكر متحمسا وبيده سيفه ومعه بعض الصبيان ولما غاب أبوه داسه الفرسان الهاريون وقتلوه فكانت هذه الصدمة أول سقوط دماء الامراء بين الفريقين وسبب خروج موسى بك عن المألوف وشذوذه على العرف لأن مصطفى بك كان ولده الوحيد وكان ذلك في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٢٢٣ م .

آل النمر يردون جرار

لما دخلت جموع جرار البوابة الغربية ثارت نابلس وهرعت إلى قصر النمر الذين لم يروا مناصاً من الاشتراك برد جرار فخرجت جموعهم الخاصة وطلبوا جرود القرى المجاورة فأخرجوا جموع جرار من البوابة وطلبوا من داود آغا الرجوع بجموعه الى صانور لئلا تنقلب العداوة بينهم وبينه وكانت جرود قرى نابلس قد وصلت المدينة وقد وصل ابن ادھيس شيخ جبارة بجموع جورة عمرة وبني صعب فرأى داود آغا أن الموقف قد تطور فعاد بجروده الى الشمال .

تفاهم آل النمر وآل جرار وحمافة موسى بك

عد آل جرار ما فعله آل النمر حفاظاً منهم وحفظاً لكرامة بلدهم فتفاهموا بعد ذلك معهم وكانت هذه غلطة كبيرة من آل النمر فكان يجب عليهم إنذار البيكات بإخراج العساكر وطردهم بعد وقف جرار خارج البوابة وإن لم يفعلوا فكان واجبهم القضاء على عساكرهم وإنقاذ نابلس من شرهم فإن موسى بك لم يقدر لال النمر نخوتهم فيما بعد بل طلب منهم مساعدته على الانتقام من آل جرار الذين صار يتهمهم بقتل ولده ولما رفض آل النمر مساعدته وتفاهموا مع آل جرار عد ذلك نكاية له فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم في المدينة والقرى التي أنجذته لرد جرار وجموعه ودافعت عن عساكره المخدولين .

الفصل الرابع

حسن اغا وموسى بك

صفات حسن آغا ومنزلته

حسن اغا هو ابن الحاج مصطفى آغا النمر وحفيد عمر آغا المار ذكرهما رياه والده وجده تربية عالية ودرباه على الحكم صغيراً وشبعاه صفات الفروسية وبروحهما العالية فورث منزلتهما ومكانتهما وصار اميراً للألبي نابلس ولانتقال ابراهيم آغا النمر بمتسلمية القدس وحكمها فقد صار حسن آغا النمر رئيس الاسرة وامير البلاد²⁴¹ الكبير بعد جده وأبيه . وقد سار حسن آغا على سياسة جده مجدداً صهارة العشائر الكبيرة فتزوج هو وأخواه علي آغا وعبد اللطيف آغا ثلاثة من مختلف فروع آل طوقان . وتزوج بنت الشيخ سعادة الحاج محمد شيخ المشاريق وقد صاهر أخوه عبد الصمد آغا

²⁴¹ راجع باب الامارة في الجزء الثاني

قاضي آل شويكة²⁴² إحدى عشائر المغاريب الكبيرة وكانت أمه من آل أمين²⁴³ الدين العمري أثرياء جبل نابلس في عصره وبذلك أوجد صلات عديدة لاسيما مع فروع آل طوقان الذين اضطرتهم صهارتهم لآل النمر الى الوقوف على الحياد فلم يشاركوا أبناء عمهم البيكات ضد آل النمر .

وكان حسن آغا النمر وقوراً محترماً من الشعب محباً للسلم فقد استقدم الامير ضمان المهدي (قرقرش) وأصلح بينه وبين العدوان وأهداه داراً لسكناه في نابلس وقد أصلح بين شيوخ جماعين وآل الحاج محمد وأصلح ما بين الصقر والبيكات على قتيل قتله منهم الحاج محمد بك سنة ١٢١٠ هـ ولم يكتف بالصالح بل اشترك بالدية وكان حكيماً بعيد النظر فقد كان يشرك آل جرار بحكم نابلس لتبقى صلته بهم قوية ويحول دون الاصطدام بالبيكات وكانت منزلته عند الولاية كبيرة لحرقة ميمنة الافرنسيين في عزون . وقد كان لمنزلته أكبر الأثر في عزل موسى بك أولاً وثانياً وكان محباً للسلم ؛ إلا أن غلظته بعدم تشريد عساكر موسى بك جرت عليه وعلى أسرته الوليات لأنه كان زوج خالة موسى بك وكان هذا يعرف منزلته في الشعب وعند الولاية فلم يتجاسر على التحرش به ولكنه بعد موته طغى وشذ على كل شيء فظهر خطأ حسن آغا وإفراطه بالسلم .

اضطهاد عشائر الجنوب والمشاريق

استحكم العداء للبيكات في المغاريب والشمال وأغاظ موسى بك تفاهم آل النمر وال جرار فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم فأهان العسيلية أحد شيوخ الشنويات وسجنه في إحدى المقاصير فرمى بنفسه من شباك مرتفع ونجا بنفسه . وقد قبض على الشيخ علي بن حسن السليبي من آل عفانة شيوخ الجواترة في سلفيت وضربه ثمانين جلدة وتسلط على الدويكات وكنعان العامر في كفر قليل وعلى جميع القرى المجاورة فصارت كلها تلجأ لآل النمر وتنزل في حارة الحبله حيهم وازداد تسلط عساكره على العشائر فصمم حسن آغا النمر على إيقافه عند حده .

حرق زيتون بلاطة

كان الحاج محمد بك طوقان سنة ١٢١٨ هـ دفع مبلغ (٦٩٤٦) قرشاً²⁴⁴ سلطانياً للجزار واقتطع أودلة وبلاطة وحسب المعتاد تظل في عهده وجميع ما فيها الى أن يستوفي ما عليها لأنها من القرى الاقطاعية²⁴⁵. فأنزل عساكره فيهما وبعد موته سنة ١٢٢٥ هـ اشتدت وطأة العساكر على الدويكات في البلاطة وعلى أهالي أودلة فاستنجدوا بحسن آغا الذي طلب جرود العشائر من جماعين وجورة عمرة والمشاريق والشمال فاجتمعوا في سهل بلاطة وعلى زيتونها يريدون القضاء على عساكر موسى بك فخرج موسى بك بعساكره وطلب الشيخ مصطفى العديلي من قرينته بيتا ولما شاهد الجموع الموجودة بين الزيتون في سهل بلاطة ذعر وأرسل لابيک يقول « أنا ما بحارب جن عاطف زيتون احرق

²⁴² هي عشيرة من عشائر المغاريب القوية تعرف بعشيرة قاضي شويكة تفرع منها في نابلس آل شويكة والقاضي وعبد المجيد

²⁴³ ويعرفون اليوم بال غزال امين الدين .

²⁴⁴ راجع بحث العملة في فصل الميري في باب الحكومة في الجزء الثاني

²⁴⁵ راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني .

الزيتون وإلا حاربهم وحدك» فقبل موسى بك برأى العدلي وأحرق الزيتون فأشار حسن آغا على الجموع بالرجوع مكتفياً بهذه الجناية التي كانت تعد في عرف البلاد من أكبر الجنايات وهي حرق الشجر الأخضر .

عزل موسى بك

أسرع موسى بك بالكتابة إلى والي الشام يدّعي رد الجموع عن نابلس ويبين له أن آل النمر يحشدون الفلاحين في نابلس لإيقاع الفساد فكتب الوالي كتاباً لنابلس يهدد فيه وينذر بضرورة إخراج الفلاحين من نابلس جاء فيه : ومن الآن كل من تصحب إلى فلاح وأسكنه مدينة نابلس ام سبب فتنة أو حركة يكون عليه وعلى من يلوذ به مائة كيس من بعد العقاب والنكال الذي يحصل عليه» فكتب حسن آغا النمر للوالي مبينا الواقع وأن الفلاحين انما لجأوا الى حي الحبلبة تخلصاً من اضطهاد عساكر موسى بك وانهم اضطهدوا أهالي بلاطة فاستنجد هؤلاء بعشائر القرى فأحرق موسى بك الزيتون وانه حسماً للشر أرجع القرويين وقال للوالي ان موسى بك وعساكره سبب الشر وانه يرى ضرورة عزله وتعيين الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار فأجيب الى طلبه والراجح انه ذهب بنفسه وقد ايده بذلك العلماء وشيوخ العشائر فعزل موسى بك وعين أحمد آغا اليوسف الجرار متسلماً على نابلس مكانه وذلك سنة ١٢٢٦ م.

خطأ حسن آغا ورجوع موسى بك

خرج موسى بك بالعساكر من بلاطة ونابلس الى قلعة الجنيد ووزعهم في اودله وبيتا ووادي الشعير وعاد ينتظر سنوح الفرصة كالمرة الاولى. وكان واجب حسن آغا جمع الجموع كلها وتشريد هؤلاء العساكر الغرباء من جبل نابلس جميعه مهما كلفه الامر إلا انه كان يخشى وقوع دماء بين الامراء والشيوخ ودخول المسألة في دور الثأر والانتقام . وغاب عن ذهن حسن آغا الموت وانه اذا مات لا يجد جبل نابلس رجلا يثق به الولاة مثله ولم يطل الامر ففي سنة ١٢٢٧ م. اغتالت حسن آغا النمر يد المنون وفقد جبل نابلس أميره الحكيم فانفتح باب الفتنة والطغيان إذا سرع موسى بك الى الوالي وحصل على امر بمتسلمية نابلس واتى بضابط يسمى أبو بكر بك عين يمساغيه ميرألياً مكان حسن آغا النمر وكان الجيايسة قد استردوا مشيخة بني صعب بعد موت الحاج محمد بك فحصل موسى بك على أمر بها لأسعد بك ابن الحاج محمد وبدأ دور الطغيان الخطير .

الصدام الخطير بين الأغوات والبيكات

كان أول شيء وقع بين آل النمر وال طوقان ذلك الذي وقع بعد مقتل نصوح باشا ، إذ بنتيجة التحقيق حلت متصرفية القدس ، وفصل صالح باشا طوقان منها سنة ١١٢٨ م. ، وعين بعد ذلك عمر آغا النمر قائمقاماً على القدس . وكان الاحتكاك الثاني في ثورة ابن سلطان سنة ١١٤٠ م. ؛ إلا أن هذا غسل بانتصار ال النمر للشيخ إبراهيم بك وإجلالهم آل سلطان عن نابلس ، وقد صاهر ال النمر بعد ذلك آل طوقان وغسلت الأحقاد ، فساعد عمر آغا النمر مصطفى بك طوقان بالحصول على مشيخة بني صعب ؛ إلا أن طمع مصطفى بك بمتسلمية نابلس بعد موت عمر آغا وولده وحفيده

، أنتج صداماً قوياً سنة ١١٨٦ هـ. كانت نتيجة خروج البيكات الى راشيا كما مر ، ولكنهم بعد عودتهم سنة ١١٩٨ هـ. تفاهموا مع آل النمر وتنازلوا عن المالكة وأخذوا عوضها زعامة اودلة .

ثم حصل صدام بسبب متسلمية نابلس بعد فصل يوسف آغا الجرار فحال ابراهيم آغا دون صدامهم مع آل جرار ، فترك القدس وتولى متسلمية نابلس . ولكن أمراً أعاظ البلاد كلها وهو تمسك البيكات بأحمد باشا الجرار ، ثم الإفراط بالثقة بالدولة والتسلط بقواها ، ومع كل ما حصل فإن أمراء آل النمر الكبار كانوا يتجنبون الصدام الخطير ، ويعالجون الأمور بالحكمة لكي ينفذ العساكر من حول البيكات وينتهي الأمر بسلام ؛ إلا أن هذا كله أطمع موسى بك الشاب الطائش وبات يرتقب الفرص ، فلما سنحت وقع كل ما كان يخشاه حسن آغا النمر ، فطغى موسى بك فوتر أسر الأمراء والشيوخ ، ومثل دوراً خطيراً مؤلماً بدأ سنة ١٢٢٨ بعد محاولات دامت قرناً كاملاً للحيلولة دونه .

الفصل الخامس

طغيان موسى بك

هدم صوفين

عاد الجيايسة الى التمرد والمقاومة ، وحرصوا عشائر بني صعب على عدم الانقياد لأسعد بك ولم يجرب موسى بك إخضاعهم فلما مر باشا الدورة ابراهيم باشا حرضه على الجيايسة ووعده بالمساعدة فتحصن الشيخ محمود العودة في صوفين ، واستنجد بعشائر البلاد فأجده من كل صوب ولم يتمكن البيكات من إنجاز ابراهيم باشا ، فتورط مع عشائر البلاد واستنجد بوالي الشام ، وهذا بدوره استنجد بوالي عكا سليمان باشا الجزائري²⁴⁶، فأجده بعساكر وأخطر الشيخ محمود العودة ورجاله على التسليم ، فهدمت صوفين ورحلت عشائرها وهي : داود ، وزهران ، والنزال الى باقة الحطب وقليلية ، وأخذ ابراهيم باشا المذكور الشيخ محمود العودة وأربعين²⁴⁷ من رجاله معه أسراء القدس ، وبوساطة محمد آغا النمر متسلمها أطلق الشيخ محمود لقاء مبلغ ألفي قرش ، وأطلق رجاله لقاء مبلغ خمسمائة قرش عن كل واحد ، وأعطيت القرى الثلاثة :

كور ، وارتاح ، وقلنسوة قرى الجيايسة باسم الشيخ أحمد ابن الشيخ محمود العودة ، وباسم الشيخ عساف ابن الشيخ حسن الجبوسي ، ومنع الشيخ محمود من التدخل بشيء ، وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

²⁴⁶ كان من مماليك احمد باشا الخزار فلقب بالجزاري، وكذلك عبد الله باشا الاتي ذكره وكان الأول متسلم ما في إحدى المقطعات والثاني كان خازنا (أي خازن دار) .

²⁴⁷ كان من الذين أبلوا في الدفاع مع الشيخ محمود الشيخ السبطة بطل حاملولة جبارة "

عصيان الاغوات

لم يكتف موسى بك بتعيين ميرألاي تركي بعد موت حسن آغا النمر بل أخرج عساكره يستولون على اقطاع آل النمر في القرى ، فخرج علي آغا ، ويوسف آغا ، وأحمد آغا الى القرى وطردهوا عساكره منها ، وأعلنوا العصيان ، وصاروا يهاجمون العساكر على بوابات نابلس ، فاضطر موسى بك على بناء بوابات أخرى أمام البوابات القديمة في شرق المدينة وغربها ، وبنى ما بين البوابة القديمة والجديدة في كلتا الجهتين صفيين من الدكاكين لاسمه ، سخر فيها عمال البلد جميعاً ، لاسيما النصارى الذين كان يشغلهم يوم الاحد والسامريين الذين كان يشغلهم يوم السبت .

الاستيلاء على قصر الأمير يوسف

كان محمد آغا النمر متسلماً على القدس ، فأسكن موسى آغا النمر زوج أخته في قصره الجديد²⁴⁸، ولما عصى الاغوات نقل موسى آغا النساء من القصر الكبير الى قصر محمد آغا وبقي هو في نابلس متظاهراً بمسالمة ابن خالته موسى بك وخطر لموسى بك الاستيلاء على قصر آل النمر ، فأرسل عساكره المغاربة فاحتلوه وسكنه منهم مائة وخمسون مغربياً .

جلاء حارة الحبلية واضطهادها

لما هاجم ظاهر العمر نابلس تولى البيكات حراسة القسم الغربي وفيه الحارات الثلاث وهي : الغرب ، والياسمينية ، والقريون ، وتولى آل النمر حراسة القسم الشرقي وفيه الحارات الثلاث وهي : الحبلية ، والقيسارية ، والعقبة ، وظلت هذه القسم حربية يدعيها آل طوقان .

ولما صار موسى بك متسلماً أسكن العساكر في الأحياء الغربية الثلاثة ثم أسكنهم في القيسارية والعقبة ، ولم يبق بلا عساكر سوى حارة الحبلية حي الاغوات التي رفضت إسكان العساكر ، وأصبحت ملجأً للمضطهدين من سكان الحارات الاخرى والقرى .

ولما احتل المغاربة قصر الاغوات الكبير المعروف بقصر الأمير يوسف اضطهدوا حارة الحبلية ، واستولوا على بواباتها وعلى كثير من أحواشها ودورها ، وأسكن سائر العساكر في جميع انحاءها فاحتلوا حوش الحمام وتل الكريم وبعض الدور وجعلوا جامع²⁴⁹ المساكين شونة²⁵⁰ وتسلطوا على حي الحبلية بعشائره الماية ، فصارت هذه العشائر تجلو عنه الواحدة تلو الأخرى ، فنزل فريق في عورتا وآخر في جينين وثالث في جبل عجلون ، ورحل ثري نابلس الحاج محمود²⁵¹ شاهين الى دمشق ، ولم يبق في حي الحبلية إلا بعض الأسر المجاورة لقصر محمد آغا وبعض أسر ضعيفة وقد ضرب المثل بإباء الحبلوية وجلدهم فيقال : (عظمهم أزرق) أي لا تلين قناتهم .

²⁴⁸ هي الدار المجاورة للجامع الكبير من الشمال .

²⁴⁹ هو من آثار الصليبيين صار يسكنه المجذومون فسمي بجامع المساكين ، وهو في الجهة الشرقية من البلدة القديمة

²⁵⁰ الشونة هي محل وضع السلاح والعتاد .

²⁵¹ وقد نهب له موسى بك قافلة جمال وقتل ابن عمه وهو في حلة العرس في إحدى المعارك فسمي ابن العريس خلفه .

اضطهاد نابلس

حرمت عساكر موسى بك من التجول في القرى، وأصبحت جموع آل النمر تهاجمهم من كل صوب ، فاجتمعوا جميعاً في مدينة نابلس وسكن موسى بك مع قسم منهم في قلعة الجنيد وسلم المدينة للعساكر الغرباء يسومونها سوء العذاب ، وقد فرض دخولية على كل ما يدخل البلد من القرى ، ومنع كثيراً من أهل القرى الموالية لآل النمر من دخول المدينة ، وتسلبت على التجار حتى نفذت ثرواتهم فاضطر بعضهم على دفنها ولم يبق عند بعضهم إلا القليل ، فاضمحت ثروة البلاد وتعطلت متاجرها وهاجر منها كثير من العمال والتجار ، إذ صار موسى بك يقتل التاجر الذي يمنع عنه ثروته ، فقتل الخواجه حسن أيوب كمال بتهمة محاولته الحصول على متسلمية نابلس ثم فرض على نابلس ضريبة شخصية (فرده) فاحشة لينفق على العساكر الذين حرموا من التسلب على القرى فضجت البلد ووسطت القاضي ، فذهب على رأس وفد لموسى بك فاستقبله في الباب وصفعه وأهانته ، فلزم الناس المساجد يستغيثون ، فدخل موسى وكتب على المحراب (هذا أوان السكوت والتزام البيوت ومن لم يطع ضربناه بالنبوت) ، فأضرب الناس عن الأعمال والمساجد ولزموا البيوت ينتظرون الفرج ، وهم تحت ظلم العساكر وغارة القرويين .

وساطة محمد آغا وحمافة والي الشام

سافر محمد آغا النمر متسلم القدس الى والي الشام يطلب إرجاع القصر والستيمارات²⁵² لآل النمر ، فكتب والي لموسى بك بإعادة ذلك لآل النمر ؛ إلا أن موسى بك بعث لوالي دمشق بالهدايا والرشوة ، فعكس الامر وأصدر والي أمره بإخراجهم من نابلس ، وفيما يلي كتاب والي الأخير :

كتاب والي الذي سبب الثورة

افتخار الأمر الكرام متسلمنا بنابلس حالاً موسى بك طوقان زيد مجده ...

بعد التحية والتسليم بمزيد الإعزاز والتكريم نبدي إليكم بخصوص أقارب نمر زاده محمد آغا أن تنزلوهم في بيتهم وتعطوهم تيماراتهم وعلاقاتهم والان تحققنا أنهم من ذوي الشقاوة ودايما ساعين بأمر الفساد وما يغير رضانا فاقترضى اصدار مرسومنا هذا بوصوله اليكم تطردوا المذكورين من طرفكم ولا تدعوهم يستقيموا في نابلس بعد الآن ولا يوم الفرد اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في ١٤ ر 253 سنة ١٢٣١ .

حافظ علي

مير الحاج ووالي الشام

²⁵² راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني.

²⁵³ ر- رجب

الفصل السادس

الثورة الكبرى

بسالة محمد آغا النمر ومكانته

محمد آغا هو ابن ابراهيم آغا النمر الملقب بسُلطان جبل النار المار الذكر وأمه السيدة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم الحنبلي الجعفري نقيب أشراف نابلس . نشأ نشأة الفتوة مشبعًا بروح الفروسية متصفا بصفاتهما قاد الجرود النابلسية التي فاجأت نابليون في وادي قاقون واشترك في واقعة المرج ، ثم قاد فدائية جبل نابلس ، فأنجد الجزائر في قلعة عكا والى أن لا يدخلها ما لم يتفقد الأسوار ، فشرع به الافرنسيون وهو يجول حول السور فأصلوه وابلأ من النيران ، فصعد على الأسوار وهبط القلعة تحت النيران . فاستقبل بالتهليل والتكبير وقد أكبر الجزائر جسارته وبسالته وقدر نجده وشهامته فولاه امارة السلاح في عهده .

وبعد موت الجزائر عاد محمد آغا لنابلس فاشترى قصر آل تقلى²⁵⁴ المجاور لمأذنة الجامع الكبير مجددا بناءه وحشده بالخدم والعبيد وسكن منفصلاً عن آل النمر جميعاً مكوناً لنفسه كياناً خاصاً . ولما مات علي عمر آغا النمر متسلم القدس سنة ١٢٢٦ هـ حل محله ، وأسكن صهره موسى آغا النمر في قصره ولما فشلت وساطته صمم على امتشاق الحسام :

إذا لم يكن غير الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

اعلان الثورة وهدر دم البيكات والعساكر

نزل محمد آغا في عينبوس²⁵⁵ وطلب باقي الأغوات ، فقررُوا دعوة شيوخ البلاد الى جماعين ، وفي أواسط سنة ١٢٣٢ هـ ، وفي الوقت المعين عقدوا شيوخ المشاريق وجورة عمرة وبني صعب وناحية جماعين اجتماعهم في جماعين ، وكان جبل نابلس جميعه ينتظر من آل النمر القرار الحاسم فقرر محمد آغا النمر هدر دم البيكات وعساكرهم الذين لم يعودوا يتقيدون بشرع ولا عرف ، وقد أهانوا قاضي الشرع وأباحوا الحلال فنهبوا الأموال وظلموا العباد ، فوافق شيوخ البلاد جميعاً ، وانتشر الاغوات والشيوخ يعلنون هذا القرار الحاسم في جميع الجهات فانتشرت الثورة في كل مكان ، واستمر القتل بالعساكر حيثما يتوجهون .

الحرب في جماعين

لما بلغ موسى بك خبر اجتماع جماعين وما قرر فيه ، خرج هو وابن عمه أسعد بعساكرهم لتأديب جماعين والقبض على شيوخها فلاقوا مقاومة في طريقهم وخرجت اليهم جموع جماعين ، ووقعت الحرب بين جموع جماعين والعساكر ، فقتل فيها من الفريقين عدد كبير من العساكر والفلاحين وقتل ثمانية من بني غازي شيوخ تلك الناحية .

²⁵⁴ تقلى أصلها طوقلى أي صاحب الطوق وهم من حكام نابلس الغرباء
²⁵⁵ هي جوار قرية حوارة على طريق القدس

وبينما كان موسى بك مشغولاً بحربه في جماعين بلغه خبر ذبح جميع العساكر الموجودين في نابلس واستيلاء الاغوات وجمعهم عليها فأسرع بالعودة بمن بقي معه من العساكر هو وأخوه رضوان بك وابن عمه أسعد بك وتحصنوا في قلعة الجنيد .

فتح نابلس

بعد اجتماع جماعين توجه علي آغا يثير جماعين الغربية وجورة عمرة وبني صعب ليشتغلوا البرقاوي في وادي الشعير ، وتوجه يوسف آغا الى



القسم الباقي من سور نابلس وقد بني على أساس جدار الجامع الإسلامي العمري

المشاريق فنزل على أخواله آل الحاج محمد يثير البلاد ويهاجم بيتا وبلاطة لإشغال العديلي وعساكر بلاطة ، وخرج أحمد آغا الى الشمال يجيز ويهيء الجموع ، ونزل محمد آغا في غور الفارعة يجمع رجال حارة الحبله من شتى الجهات ، وانضم اليه البدو والقرويون ، وقد عين يوما لمباغته نابلس فأخبر موسى آغا ليقطع الاتصال داخل البلد بين العساكر ، وأخبر يوسف آغا ليهاجم بلاطة بجموع المشاريق ، وأخبر علي آغا ليأتي بجموع الجنوب الغربي فيهاجم نابلس من الغرب ، واتفق مع أحمد آغا على اللقاء بالجموع على قمة جبل عيبال الشرقية . وبعد غروب شمس ذلك اليوم صعد محمد آغا النمر بجموعه من وادي الفارعة الى قمة عيبال الشرقية والمعروفة (بالقنيسة) ولاقاه أحمد آغا بجموع الشمال التي احتشدت في ذلك النهار في عصيرة ، فالتقيا فوق السليمية²⁵⁶ في الزيتون الذي عرف بعد ذلك بزيتون الشرجي نسبة اليهما ، فرتبا خطة الهجوم العام الذي سيبدأ بعد سماع طلقة نارية من رندية²⁵⁷ الحاج عودة

²⁵⁶ هي القمة الواقعة فوق المقبرة الشمالية والمطلّة على نابلس والتي يعتقد العامة ان فيها مقام وليه تدعى الست سليمان
²⁵⁷ الرندية هي بارودة قصيرة

ملحس²⁵⁸الفدائي الذي سيدخل من البوابة الشرقية ومعه حمل حطب على حمار فيقف في البوابة الثانية بحمل الحطب فلا يمكن الحارس من اقفالها ثم يطلق النار على الحارس وعلى صوت الطلقة يبدأ الهجوم من جميع النواحي وقبل الفجر كانت الجموع محيطة بنابلس إحاطة السوار بالمعصم ومع الفجر طرق الحاج عودة ملحس البوابة الأولى ودخل بحمل الحطب ولما وصل البوابة الثانية أوقفه الحارس في الباب ليدفع الدخولية فرفض ثم أطلق على الحارس النار من ردينته فأرداه قتيلاً وقبل أن يصل اليه العساكر تساقط الثوار من أسطح الدكاكين وذبخوا الحراس . وفي نفس الوقت هوجمت جميع البوابات بعد سماع الطلق الناري وهو الإشارة المتفق عليها .

ذبح العساكر

كان موسى آغا على اتصال تام بمحمد آغا وباقي الأغوات في الخارج ، وفي منتصف تلك الليلة وضع السود في الشوارع ورابط برجاله وراءها وبذلك قطع الاتصال بين العساكر لاسيما في الجهة الشرقية ، ولم تكد جموع آل النمر من بدو وقرويين ومدنيين يستولون على البوابات حتى شعرت بهم نابلس ، فهب الرجال والنساء والاولاد بصورة جنونية يذبجون العساكر بالسلح والأحجار ، فقتل العساكر جميعا على البوابات وفي الشونة والأحراش والدور وفي القصر حتى امتلات الشوارع بالقتلى قال ناقلو الروايات : إن القتلى العساكر من مغاربة ومماليك وأرناؤوط ملئت بهم شوارع نابلس وأزقتها ، فكان الصبيان يدوسونهم بأرجلهم ويجرونهم خارج الأسوار . وفي نفس النهار هجم يوسف آغا وآل سعادة الحاج محمد بجموع المشاريق على العساكر الموجودين في بلاطة وأودلة فذبحوهم عن آخرهم ويقدر عدد من قتل من ال عساكر في ذلك اليوم بألف عسكري . وقد جر القتلى الى مغاور عيبال فركموا هناك وسدت عليهم المغاور ، وكانت عظامهم وجماجمهم تشاهد الى عهد قريب في مغاور عيبال . ولم يقتل من النابلسيين وجموع الوطنيين كلها إلا بضعة رجال .

مذبحة المغاربة واسترداد القصر

بعد أن استولى النابلسيون على البوابة الشرقية وذبخوا حراسها هجموا على الشونة الشرقية وبوابة الانبياء وعلى حوش الحمام فذبجوا العساكر الموجودين فيها . ثم²⁵⁹توجهوا نحو قصر الامير يوسف وأحاطوا به فربطوا في الطرقات وعلى أسطح الدور المحيطة به دون أن يشعر المغاربة بهم .

وصعدت دلول الداجونية²⁶⁰وأولادها أبناء خليل جاموس وفاطمة الكيلة من دارهم المجاورة للقصر ونزلوا اليه فسدوا الباب²⁶¹الموصل بين الطابق الأول والطابق الثاني ، وعند طلوع الشمس بدأوا بإطلاق النار ففتح المغاربة البوابة وخرجوا إلى الشوارع فلاقوا حتفهم واحتل النابلسيون الطابق الأول جميعه وعند الظهر قتلوا جميع من فيه واعتلى الثوار الأسطح وصاروا يقتلون من يصادفونه في الطابق الثاني . فلجأ باقي المغاربة إلى الجهة الغربية ، فعرض عليهم

²⁵⁸ آل ملحس أصلهم من عرب الوحيدات نزلوا في كفر الديك وبعد قتل شيخها الاجلق رحلوا ونزلوا في نابلس

²⁵⁹ الشادروان اي التوفرة

²⁶⁰ راجع ترجمة الداجونية في فصل النساء من الجزء الثاني

²⁶¹ كان رؤساء المغاربة يسكنون هم ونسائهم في الطابق ال علوي وباقيهم في الطابق السفلي

التسليم فقبلوا ذلك بوجه²⁶² السيد حسن الصمادي على شرط أن يروه بأعينهم وكان يتوضأ على الشادروان²⁶³ في الطابق الثاني ليصلي الظهر . فلما أظهر نفسه لهم أطلقوا عليه النار من بنادقهم فقتلوه وعندئذ أشار محمد آغا على ال جاموس بهدم العقود فتضايق المغاربة وصاروا يتدلون من النوافذ ويرمون أنفسهم على البستان .

وكان بين المرابطين في الجهة الغربية المقابلة للنوافذ نابلسيان لا يخطئان الهدف وهما عبيد وعبد الصمد من آل سالم اليمني فما سقط مغربي إلى البستان حيًا فقتل المائة والخمسون مغربيا عن آخرهم إلا اثنين منهم هربا إلى الجبل ودخلا في مغارة فلحق بهما النابلسيون ولما أطل القاروط باكبر عليهم من الباب اطلقا عليه النار فقتل فأطلقت عليهما النيران من الثوار فقتلا .

اتيمار الأرنؤوط

كان آخر من بقي من العساكر الأرنؤوط²⁶⁴ المرابطين على بوابة الجهة المعروفة بتل الكريم فحاصروهم الثوار في الدار المعروفة بتل الكريم وبعد قتل المغاربة مع الغروب شاهد عبيد اليحيى مصباحهم مشعولاً فصوب بارودته عليه فاصابه ثم توجه الجميع عليهم وأحاطوا بهم فرفضوا التسليم لا بوجه ولا بغير وجه واتفقوا على الانتحار فكان رئيسهم يأخذ سلاح الواحد ويقتله بيده ثم قتل نفسه فكان آخر من قتل من هؤلاء العساكر الأشرار .

انسحاب البيكات وخروجهم

في اليوم الثاني عاد موسى بك من جماعين وتحصن في قلعة الجنيد فوجد جموع الجنوب الغربي قد نزلت تحته في رفيديا بقيادة ابن ادهيس شيخ عشيرة جبارة فتجاهل أمرهم وأرسل لمحمد آغا يعرض عليه مساعدته في ردهم عن نابلس فأرسل محمد آغا رسولاً حكيماً وهو الشيخ حامد السعيد المصري شيخ آل المصري²⁶⁵ فقال له : « بهندي²⁶⁶ ولا ببلاد الهند » أي ليس لك بعد اليوم مقام في البلاد وأفهمه بأن ابن ادهيس جاء بجموع الجنوب والمغاربة للنجدة .
خشي البيكات من الحصار والقضاء المبرم فانظروا الليل وتحت ظلامه خرجوا من قلعة الجنيد بمن بقي من عساكرهم الى وادي الشعير فأبقوا النساء في القلعة وتركوا العساكر في وادي الشعير وبني صعب مع أسعد بك ورضوان بك وذهب موسى بك الى مصر ليأتي بفرقة من مماليك مصر فوجد أن محمد علي باشا قد دعاهم الى ضيافته في القلعة وذبحهم²⁶⁷ عن آخرهم فعاد يحمل هذه الفكرة ليمثلها مع الأغوات دون أن يفكر بالفرق بين منزلة آل النمر المحبوبين عند النابلسيين وبين منزلة المماليك المبعوضين من المصريين ، ولأن والي الشام كان في مصر في أواخر سنة ١٢٣٣ هـ كعادته فقد نزل على وكيله سليمان باشا والي عكا يطلب مصالحته مع آل القاسم ليخلص من الثأر والانتقام فيتقاهم مع آل النمر بسهولة إذ لم يقع بينه وبينهم دماء .

²⁶² راجع بحث الوجه وقيمته في فصل القانون العشائري في باب الإمارة من الجزء الثاني

²⁶⁴ يسمون اليوم بالألبان جاؤوا مع الوزير أعظم يوسف باشا لاسترداد مصر من الافرنسيي س فأمد البيكات بفرقة منهم.

²⁶⁵ هو جد آل سعادة المصري.

²⁶⁶ أي ارحل كالهندي كما رحلتنا عن بلدنا .

²⁶⁷ و كان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ

شهامة محمد آغا النمر

خلت نابلس وقلعة الجنيد من البيكات وعساكرهم وأبت شهامة محمد آغا وأقاربه احتلال قصر البيكات كما احتلوا قصر جده الامير يوسف وأبت شهامته أيضاً احتلال قلعة الجنيد لوجود حرم موسى بك ونساء العساكر فيها فلم يقابل الشر بمثله . وقد حافظ على نساء آل طوقان وأطفالهم وأمدن بما يحتاجون اليه مدة غياب رجالهن وقد حرس برجاله قلعة الجنيد وأمد حرم موسى بك وخدمها بكل ما تحتاج وأظهر في معاملة نساء العساكر خصوصاً نساء المغاربة اللواتي كن في القصر معاملة تتفق مع فروسيته وصفاته العالية وأكرم الجرود والجموع ورفع نابلس رأسها وعاد إليها الجالون عنها من جميع الجهات وعادت إليها الحياة والأطمئنان وأكبرت شهامته ونبله الاكبار الذي اعتادته لكل من يقوم بمثل عمله ويظهر مثل شهامته .

الفصل السابع

دور الخداع والغدر

صلح والي عكا

دعا سليمان باشا الشيخ قاسم الأحمد والشيخ موسى العثمان شيخي جماعين وبعض شيوخ جبل نابلس الى ديوانه في عكا وبعد صد ورد دام عشرة أيام طلب الوالي منهم أن يحكموه ففعلوا فحكم بتسعين الف قرش دية قتلى بني غازي وجماعين كتب بها موسى بك صكاً على نفسه ثم دفع المال المطلوب من آل النمر للوالي وطلب منه توسيط القاضي بينه وبينهم فكتب الى القاضي الكتاب الآتي:

كتاب الوالي للنائب الشرعي

قدوة النواب المتشرعين نايب الشريعة المطهرة بمدينة نابلس أفندي زيد علمه .

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام والسؤال عن خاطركم المنهي إليكم غير خاف فضيلتكم أن الدولة العلية طلبت من سباهيات نابلس بدل سنوية عن سنة سبعة وعشرين وتحصل جميعه من أربابه واندفع الى مباشر الدولة وتبقى من أصل المطلوب ثمانماية وستة وستين قرش وربع الذي خصت تيمارات مير ألوي ودار النمر وبوقته صدر مرسوم من سعادة أخينا الدستور الوقور والي الشام ومير الحاج المعظم الى قدوة الامرا الكرام متسلم سنح نابلس حالاً طوقان زاده موسى بك زيد مجده أن يدفع هذا المبلغ من تعلقات المذكورين فالآن بحسب أمر سعادة المشار اليه دفع ولدنا البيك المومى اليه هذا المبلغ من ماله تماماً عن المذكورين فاقض رأي فضيلتكم لكي تدفعوا مراسلة لولدنا البيك المومى اليه أن يأخذ ذلك من متعلقاتهم حسب الامر الصادر وفيما بعد نؤمل عدم سهونا من دعواتكم الخيرية كما يلزم والسلام في ١٥ ش سنة ١٢٣٣ .

الحاج سليمان

والي صيدا وطرابلس وعكا

صلح الاغوات والبيكات

توسط القاضي الشيخ محمد التميمي بين محمد آغا النمر وموسى بك طوقان فدفع آل النمر ما عليهم وإذ لم تقع بين الأغوات والبيكات دماء فقد تصالحوا وتفاهموا فعاد موسى بك بعساكره الى الجنيد ونازل وتبادل الأغوات والبيكات الزيارات والدعوات وتأكد الجميع زوال سوء التفاهم من بينهم .

« الخديعة »

عاد عساكر موسى بك ودم الثأر يغلي في رؤوسهم وعاد موسى بك نفسه يضم في نفسه الشر وينوي تمثيل رواية محمد علي باشا بالمماليك فاتفق مع رؤساء عساكره على الفتك والغدر بالأغوات وتظاهر العساكر بالنقمة على البيكات فكانوا يثورون عليهم ولا يهدأون إلا حينما يأتي الأغوات ويهددونهم وصار موسى بك يسر لمحمد آغا تخوفه من ثورة المغاربة في احدى الليالي والهجوم على النساء في القصر وكان يرجو من محمد آغا والأغوات بأن لا يتأخروا عن نجدته في أي وقت لان العرض واحد فكانوا ينصحونه بضرورة تسريحهم فيظهر التخوف من نقمة الدولة ونقمتهم فصدق آل النمر وخاصة محمد آغا خداعه والكريم يخدع . وكان موسى بك في نفس الوقت يبث الجواسيس على محمد آغا ويراقب حركاته خشية أن يفطن لخداعه فيقضي عليه .

نجدة محمد آغا وشهامته

لم يخطر ببال محمد آغا شيء مما كان دبر لأنه فروسى نبيل لا يصدق ولا يفكر بمثل هذه الأساليب الدنيئة فقد عامل البيكات ونساءهم وأطفالهم وخدمهم في غيابهم أحسن معاملة ولم يعتد على دورهم ولا أملاكهم وقد صالحهم وتبادل وياهم الزيارات والدعوات . لكن موسى آغا ابن خالة موسى بك كان حذرا وكان يسر اليه البعض سوء نية موسى بك فكان يحذر محمد آغا من موسى بك ولكن محمد آغا كان يهزأ بنصح موسى آغا ولا يفكر بشيء لاعتقاده أن موسى بك قلّ عساكره وضعف ناصره ولا يجرؤ على القيام بأي عمل عدائي بعد الضربات التي نالها.

وفي منتصف احدى الليالي من سنة ١٢٣٤ هـ جاء عبيد موسى بك فزعين يستنجدون بالأغوات ويخبرونهم بأن المغاربة ثاروا كعادتهم وهم يريدون اقتحام دار الحريم وانهم إنما أتوا عن الحيطان فصدق محمد آغا ولكن موسى آغا نصحه وقال له هذه مكيدة فقال له محمد آغا بشهامه : الموت أفضل من أن يمس عرض في نابلس وأنا حي . وكان موسى آغا مريضا فعاد لغرفته وذهب محمد آغا يجمع باقي الأغوات فتقلد أحمد آغا سيفين فوق البنش²⁶⁸ بعد أن وضع خنجرأ وردنية²⁶⁹ تحته فقال محمد آغا هذا يدل على الحرب فخلع أحمد آغا السيفين²⁷⁰ وأبقى ما تحت البنش

²⁶⁸ البنش لباس خارجي كالكيود اليوم

²⁶⁹ الردنية هي بندقية قصيرة

²⁷⁰ ولما كان في حالة الخطر كان يقول : (ما قتلني إلا ابن عمي شلح السيفين مني) فذهبت بعد ذلك مديحا

لأن محمد آغا لم يره فسار الأربعة محمد آغا وعلي آغا ويوسف آغا وأحمد آغا الى حتفهم مسرعين ولسان الحال يقول :

والنمر لو لزم الشرى²⁷¹ من كان يطمع بالنمور
والطير تأخذها شباك الصيد في ترك الوكور

استشهاد الاغوات

كان للممر المؤدي الى بوابة قصر البيكات بوابتان واحدة في الجنوب تفتح الى حارتي الياسمينه والقيرون والاخرى في الشمال تُفتح الى السوق واذا أغلقنا أصبح الممر قسماً من القصر . ولما وصل الاغوات للباب الشمالي طرقتوا الباب ففتح لهم الحارس الخوخة²⁷² فدخل محمد آغا فعلي آغا ويوسف آغا ولما أطل أحمد آغا من الخوخة لاحظ حركة غير عادية من العساكر فرجع صاح بمن دخلوا ليرجعوا . فشعر الداخلون بأنهم صيدوا فأسرع علي آغا ويوسف آغا ليخرجوا وراء احمد آغا فانهالت عليهما السيوف وخرتا صريعين في الحال .
أما محمد آغا فقد أسرع الى الباب الجنوبي وهجم على الحارس الذي ظنه أحد اخوانه فخطف سيفه . ولما كان يحاول فتح الباب أدركه



القسم الجنوبي من ممر قصر البيكات طوقان
المعروف ببوابة البيك حيث حصل النضال الاخير بين محمد آغا النمرو وعساكر موسى بك طوقان

العساكر فتلقاهم بالسيف مسنداً ظهره الى الحائط فدافع دفاع الابطال وكان كلما هجموا عليه تلقاهم بالسيف وصاح بهم فتصل ضرباتهم اليه باردة فلا تؤثر فيه فيصيحون « محجوب محجوب » فسمع أميرهم موسى بك نخوتهم وتراكضهم

²⁷¹ الشرى هو كهف مرتفع عن الارض قامات يقفز اليه النمر فقرا فلا يصله أحد فيه إلا قتل

²⁷² الخوخة هي باب صغير في البوابة .

أمام محمد آغا وقد قتل منهم عدداً غير قليل ولم يستعملوا السلاح الناري لكيلا يفيق الناس على الصوت . فصاح بهم موسى بك يحمسهم فاغتاظ محمد آغا ونسي موقفه فتقدم وصاح به قائلاً انزل خذ دورك من بين النساء وبذلك خلى ظهره عن الحائط فأحاط به العساكر من كل صوب فخر صريع الغدر بعد أن أبلى بالدفاع عن نفسه وقتل من العساكر وجرح عدداً كبيراً ولسان الحال يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

الفصل الثامن

دور الدفاع المجيد

بسالة أحمد آغا ونجاته

ارتبك العساكر بين أن يتبعوا أحمد آغا وبين أن يفلتوا الخوذة على من دخلوا فتمكن أحمد آغا من النجاة شرقاً ولما تبعوه أخرج الرندنية وقدها وأطلقها فصاح بهم فنزل على الصوت بعض أصحاب الدور واستل خنجره وصار يدافع عن نفسه وشاركه بذلك من وصلوا من الجيران فدافعوا وقتل في الدفاع عنه رجل من آل الخواجه طوقان وآخر من آل شموط ثم كثر الناس فتمكن أحمد آغا من التخلص مئخناً بجراح نيفت على الثلاثين جرحاً ، وبعد نجاته من العساكر سار عن باب الجامع العين الشرقي إلى تل الكريم وما زال ينقل من دار إلى أخرى إلى أن أتى آل جرار واستلموه من دار جابر المجاورة للشمال الشرقي من الجامع الحنبلي فحملوه على جمل مفوقا بالقطن وممدوداً على الواح بين بالتين من القطن وأنزلوه في عسيرة . وكان الاسطوانات من آل أبي غزاله قد ضمدوا جراحه وما زالوا يزورونه في عسيرة إلى أن شفي وانتقل إلى عرابة ففضى عند الشيخ حسين العبد الهادي دور النقاهاة وما زال موضع إكرام آل عبد الهادي إلى أن اشتد فرجع إلى نابلس يشارك ابن عمه موسى آغا في الثأر والانتقام .

رباطة جأش موسى آغا

كان موسى آغا مريضاً فلم يذهب مع محمد آغا، وبعد نحو ساعة من الحادثة قبيل الفجر بلغه الخبر المشؤوم الذي توقعه فقابلته برباطة جأش . وكان العساكر قد أخرجوا جثث القتلى إلى الشارع فدفنوها واطمأن على أحمد آغا ، ثم تفرغ لخطة الدفاع والثأر ولسان حاله يتمثل بقول الحارث²⁷³ ابن عباد البكري :

قرباً مربط النعامة مني لقتت حرب وائل عن جبال

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرهما اليوم صالي

²⁷³ قالها في حرب البسوس فذهبت مثلاً

وكان أول شيء عمله أن أشار بـرجد²⁷⁴ للأزقة والشوارع وانتخب أبسل رجال الحارة للحراسة الى أن تصل نجدات القرى ، ولما وصل الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجرود الشمال سلمه موسى آغا الحارة ، واستلم رجاله أحمد آغا النمر ، وعبد موسى آغا لأخته الست يمن²⁷⁵ بالدفاع عن القصر الكبير ، ولزوجته الست فطوم بالدفاع عن القصر الصغير ثم حصل على عريضة موقعة من القاضي والمفتي والنقيب وسائر العلماء والمير الألي بالواقع وأخرى من شيوخ القرى والعشائر ، وسافر بها الى دمشق الشام .

دفاع الستات

تمرنت نساء ال النمر على استعمال السلاح والحصار والمقاومة بالزيت²⁷⁶ المغلي ، وكان عددهن إذ ذاك يربو على العشرين وقد حشدن في كل قصر عدداً من المحاربات²⁷⁷ من نساء المدينة والقرى وقد نزل في الدواوين عدد كبير من الأبطال ليكونوا على استعداد تام اذا حاول عساكر موسى بك احتلال أحد القصرين كما فعلوا قبل بضع سنين .

وقد حصل ما توقعه ففي فجر إحدى الليالي سمعت الست عن ضرب فأس في الجدار الشمالي من القصر الكبير ، فأسرت الى الكوة²⁷⁸ فشاهدت ثلة من عساكر موسى بك تحمس عدداً من البنائين الذين يحاولون لغم الجدار بالبارود ونسفه ، وشاهدت عن بعد وراء العساكر رجلاً يعطي الإشارات ويرتب الخطة ، فأخذت بندقيتها (بارودتها) وصوبتها نحوه وكانت تجيد إصابة الحدف فأردته قتيلاً فإذا هو فرهود السعيد²⁷⁹ طوقان ضابط العساكر فانتهبت الستات على صوت الطلق وأسرعن بالصعود الى الأسطحة واستلمن الكوى وصرن يطلقن النار وينتخين فانتهب الحراس في قاعة الرجال ، وخرجت الجموع فطاردوا العساكر الى أن أدخلوهم داخل الحارات الغربية ، وقد شاهد موسى بك خذلانهم بعينه .

وفي مساء يوم آخر هاجم العساكر قصر محمد آغا وكان في الشارع السيد عبد الرحمن تفاحة²⁸⁰، فضايقه واستنجد ، فأنجده الست فطوم وأطلقت النار ، فتركوه وخرج المحاربون والمحاربات وردوهم جميعاً الى داخل الحارات الغربية ، وبعد هذا الخذلان الذي نال عساكر موسى بك من الستات تواروا ولم يعودوا الى الهجوم مرةً أخرى . ولما كثرت جرود القرى فك الحصار ، وأصبحت جموع آل النمر مهاجمة بعد أن كانت مدافعة .

²⁷⁴ وجد الأزقة أي سدها الى قرب المتر بالأحجار فيبقى مقدار بسيط بين الاحجار والسقف يختبي وراءه الحراس .

²⁷⁵ راجع تراجم النساء المشهورات في فعل النساء من باب أحوال المجتمع الاقطاعي من الجزء الثاني

²⁷⁶ كانوا في الحصار يغلون زيت الزيتون ويصيونه من الكوى على الهماجمين

²⁷⁷ راجع فصل النساء في الجزء الثاني

²⁷⁸ الكوة : هي نافذة صغيرة لاطلاق النار كانت بجدران القصور الخارجية

²⁷⁹ وقد قتل أخوه عبد الله السعيد في معركة أخرى

²⁸⁰ قد قتلوه فيما بعد في معركة أخرى .



منظر حي الحبله الأبي

دفاع حي الإباء

كان حي الحبله يحسب نصف البلد من حيث العشائر والسكان ، وكانت جروده تقدر بألف بواردي ، وقد أعاظ الحبلوية²⁸¹ موسى بك بجلائهم أولاً وبذبحهم عساكره ثانياً ، فعمل قصارى جهده لاغاثتهم وكانوا يعلمون ذلك ، ففتحوا بين جميع الدور الأبواب والدهاليز ، وانتشروا في أطراف الحارة يحرسونها ليلاً نهاراً ، فاحتلت عساكره الشونة ورابطت في القبور ، فصار الحبلوية يدفنون موتاهم جوار مقام الشيخ مسلم . ثم قطع عنهم ماء القريون ورأس العين ، ففتحوا في دورهم الآبار . وصار العساكر يمنعون عنهم البيع من القرى ، فصبروا الى أن وصلت نجدات القرى وآل جرار .

جرود القرى

كان للغدر بعد الصلح أثر كبير في نفوس عشائر القرى فجن جنونهم وعادوا يغيرون على نابلس يلتقطون عساكر موسى بك وينسلون الى حارة الحبله يشتركون معها في الدفاع عن كيانها ويمدونها بما تحتاج اليه فكثروا في الحارة وأوقفوا هجوم العساكر كما مر .

²⁸¹ نسبة لحي الحبله .

نجدة أحمد آغا اليوسف

استولى على حارة الحبلية الوهم في الأيام الأولى الى أن وصل أمير الشمال الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجروده وجموعه ينجد حارة الحبلية التي ردت جموع أخيه عن الأحياء الغربية حينما هاجمتها قبل عشر سنين بعد أن كسرت عساكر موسى بك وقتل ولده فانتعشت حارة الحبلية واستردت معنوياتها وصارت مهاجمة بعد أن كانت مدافعة . فخرج موسى بك بعساكره من نابلس ونزل بهم في قلعة الجنيد وصاروا يهاجمون نابلس والقرى .

اضطهاد آل أبي غزالة

بمجرد علم الاسطوانات²⁸²من آل أبي غزالة بنجاة أحمد آغا حضر منهم الاسطه علي والاسطه عبد الحليم فضماموا جراحه وأخفوا أمره عن موسى بك ، ولما انزل في عصيرة أعلموه بموته وكانوا يسعفونه هناك ولما بلغ موسى بك الامر صمم على قتلهم فاخفقوا في مخدع في دارهم ينزلون اليه من خزانة في احدى الغرف فاضطهد من ظفر به منهم وظل سطواتهم الكبار مختفين الى أن وصلت عساكر الشام وخرج موسى بك من نابلس .

هدم تل الكريم

كان موسى بك يعلم بأن أحمد آغا النمر لا يقل في بطولته عن ابن عمه محمد آغا فكان اهتمامه به عظيماً وصمم على الإجهاز عليه . ولما بلغه أنه نزل في تل الكريم²⁸³ وأخفاه أهله سخط عليهم وهدم عددًا كبيراً من دورهم وحولها الى بساتين والبعض الآخر تركه ركاما .

مذبحة آل هواش

كانت حراسة مياه رأس العين منوطة بآل هواش²⁸⁴ ولما بدأ عساكر موسى بك بتخريب قناة رأس العين الشرقية قاوموهم فقتلوا منهم بضعة عشر رجلاً وقد حل مثل ذلك بكثير من الاسر والعشائر فلم تبقى عشيررة أو اسرة في جبل نابلس إلا ونكبت بالنفوس أو الأموال والاملاك من موسى بك وعساكره .

²⁸² الأسطة أي الطبيب في عرفهم إذ ذاك - راجع فصل العلوم والفنون الأخرى في باب العلم من الجزء الثاني

²⁸³ تل الكريم هو الجهة الغربية من حي الحبلية وهو المجاور للجامع الحنبلي من الشرق الشمالي

²⁸⁴ هم من الجرادات الذين نزلوا في نابلس ويسكنون في حي الياسمينية أو من سكان عين الصورتين .

الفصل التاسع

القضاء على قوى موسى بك

موسى اغا ووالي الشام

فطن موسى بك للشكاية الى الوالي كعادته فكتب اليه يخبره بأن آل النمر حاولوا قتله و هجموا على داره فقتلهم وقد نجا منهم واحد طلب منه القبض عليه مقدما له الرشوة والهدايا كعادته . ولم يكد موسى آغا النمر ينزل في دمشق حتى قبض عليه رجال واليها عبدالله باشا العظم وكان مع موسى آغا وفد وهناك أقاربه فأنقذوه ثم هرب من دمشق وركب البحر الى العاصمة ليخبر السلطان بأعمال موسى بك وفعلة عبد الله باشا .

مصطفى اغا والسلطان محمود

بعد خروج الافرنسيين من مصر حاول السلطان سليم الثالث إصلاح الجيش فقتله الانكشارية وحاولوا قتل الامير محمود ولي العهد فهرب من مدخنة المطبخ الى السطح واختفى الى أن جاء اعيان الروملي وجموعهم بقيادة علمدار²⁸⁵ مصطفى باشا فدفنوا جثة السلطان المقتول وولوا الامير محمود عرش اجداده . ثم قتل الانكشارية مصطفى باشا جميع السلطان الجموع وقتل من كان من الانكشارية في العاصمة واختفى الباقون فأقام السلطان حوله الحرس الكثيف وأصبح الوصول اليه صعبا جداً . ولما وصل موسى آغا الى الاستانة وطلب المثول بين يدي السلطان ليعرض له أمرا خطيراً منع ولم يسمح له الحجاب فخابت آماله وضاعت الدنيا بوجهه ثم فكر - وكان من أذكى أهل عصره فصعد إلى أقرب مأذنة لقصر السلطان وأذن بين العصر والمغرب ثم صاح بعد الاذان (مظلوم يا ملك الزمان مظلوم يا ابن عثمان ، مظلوم يا سلطان الاسلام) وقد كان صوته رخيماً زادت النكبة حناناً فتأثر السلطان محمود وأرسل الحجاب ليأتوا به في الحال قائلاً هذا مظلوم أو مجنون ولم يكد موسى آغا يتم الكلمة الأخيرة إلا والحجاب يمسون به .

كان موسى آغا مهيباً عظيم الجسم مع جمال الخلقة وحسن الهندام وضع على رأسه عمامة كبيرة من الشال الكشمير الأبيض ختمها بحجر من الزمرد وأنزل طرفها على فروة السمرور . وقد أزال الكارثة من نفسه الكبيرة كل هيبة فدخل على السلطان غير هيباب وكان يجيد²⁸⁶ التركية فحيا السلطان التحية المعتادة ، ثم شرح لجلالته ما أصاب اسرته والبلاد من مظالم موسى بك ووالي الشام وقدم له عرائض العلماء وشيوخ العشائر بحق البيكات فحزن السلطان العادل وقد تذكر ما حل به وبعمه قبل بضع سنين ، فوبخ الحجاب وأمرهم بعدم التعرض اليه وبالسماح له بالمثول ما دام في الاسلامبول²⁸⁷ وكان موسى اغا قد وضع الذهب في حذائه فلما نزع أخذ الحجاب عن باب المقصورة وأخذوا ما فيه وما زال في الاستانة والحجاب يساعونه على المثول بين يدي السلطان الى أن حصل على الاوامر العالية بعزل عبدالله

²⁸⁵ أي صاحب العلم أو العلمي

²⁸⁶ راجع مبحث الامراء والعلم في باب الامارة من الجزء الثاني

²⁸⁷ أي تحت الاسلام ثم حرفت الى استانبول

باشا العظم وتعيين درويش باشا آل رضوان وهدر دم البيكات وبذلك نجت الشام من مظالم عبدالله باشا ودسائسه وسُرَّ جبل نابلس من عدل السلطان وصاروا بعد ذلك يقولون (استانبول دار العدل) .

وصول موسى آغا وعساكر الشام

لما وصل موسى آغا الى الشام اتصل بدرويش باشا رضوان فبلغه التعيين وعزل عبدالله باشا وعمم الخير مع اللهجة السلطانية الشديدة بحق عبد الله باشا فأصدر الوالي الجديد الأوامر بعزل موسى بك وهدر دمه ودم البيكات وسجل مرسومه ومرسوم السلطان في سجلات مجالس الشرع في دمشق ونابلس والقدس . وعين الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار متسلماً على نابلس وعزز موسى آغا بفرقة من عساكر الشام بقيادة سكران²⁸⁸ باشي الولاية فدخلوا نابلس في ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ هـ.

مرسوم درويش باشا بهدر دم البيكات وابقاء العساكر

قدوة النواب والمنتشرين نايب أفندي بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة المدرسين مفتي أفندي زيد فضله ونخبة الأشراف نقيب أفندي زيد شرفه وافتخار الأماجد الكرام متسلماً بها حالاً الحاج أحمد آغا الجرار زيد مجده ومفخر الأقران مير الاي زيد قدره وبقيت علما وفقها ومدرسين ووجوه وأعيان وذوي التكلم تحيطون علما هو اننا بتاريخه أبقينا سكران باشي بابنا بهلوان آغا بطرفكم لأجل حفظ البلدة المراد تنزلوه في قوناق²⁸⁹ موسى بك طوقان وتسلموه أبواب البلدة لمحافظة فتكونوا معه قلباً وقالياً وبخصوص موسى بك وأخيه رضوان بك وابن أخيه أسعد بك فالجميع منكم تعرفوا انهم خارجين من خاطرنا لما توقع منهم من العصاوة والظلم والتعدي عليكم وعلى الرعايا ودابع رب البرايا فالمراد ما معكم إذن تدعوا أحد منهم يدخل نابلس لا ليلاً ولا نهاراً ولا سراً ولا جهراً وإذا صار من أحد منهم مجامرة وأعواه الشيطان ودخل الى نابلس ترموا عليه القبض وترسلوه لطرفنا والذي تقتلوه منهم قدمه مهدور فتكونوا جميعاً بالاتفاق والاتحاد قلباً واحداً وحالا واحدة ومعاذ الله إذا بلغنا بأن أحد من أهالي نابلس ومن أهالي نواحيها صار منه مجاسرة ومداجاة ومسافة مع أحد من بيت طوقان يلزم نطلع من حقه بما يستحقه وتكون خطيبته في عنقه ولومه على نفسه ويندم ولا يقدر على رد الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام فيوصله ووقوفكم على مضمونه تعملوا بموجبه والحذر من المخالفة

وعليه ختم الولاية الكبير المعتمد

في ٢٥ ر سنة ١٢٣٥ .

²⁸⁸ أي محافظ السراية .

²⁸⁹ إن هذا التحامل على رضوان بك وأسعد بك هو مجرد تهمة والحقيقة أنهما لم يشتركا مع موسى بك بالمؤامرة وقد انفصلا عنه بعدها ولم يشاركا به شيء الى أن وقع الصلح وأصبحت المرسومات تصدر بحق موسى بك فقط كما سيظهر

مرسوم آخر بخصوص دار موسى بك

قدوة النواب الكرام نايب أفندي ومفتي أفندي ونقيب أفندي زيد علمهم .

بعد التحية والتسليم تحيطون علماً أن عرضحالكم وصل وصار معلومنا حضور سكران باشي بالمرسوم من طرفنا ورأيتم مناسب أن تجعلوا على أبواب المدينة انفار معلوم تنزلوا سكران باشي في دار موسى بك البرانية الخارجية عن الحريم وتسدوا الباب الفاصل بين البراني والحريم والمراد على موجب الشرع الشريف لا يصير مغاير الذي تروه مناسب على الوجه الشرعي لأن نحن ما مرادنا سوى راحتكم وراحة الرعايا وصيانتهم واستجلاب دعواتهم الخيرية الى حضرة مولانا السلطان أصره العزيز الرحمن ولنا والى الحاج المسلمين اقتضى نعرفكم على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا اعلموه واعتمدوه في ٢٥ ب سنة ١٢٣٥ .

عبد

محمد درويش

اخراج موسى بك وهدم قلعة الجنيد

لما تكاثرت الجموع أصبحت حارة الحيلة مهاجمة بعد أن كانت مدافعة فانسحب موسى بك بعساكره إلى قلعة الجنيد . ولما بلغ عشائر البلاد عزل موسى بك وتعيين الحاج أحمد آغا اليوسف طردوا العساكر من بلاطه واودله وأحاطوا بقلعة الجنيد . ولما شعر موسى بك بخطورة الموقف انسحب من قلعة الجنيد ونزل في جماعين وبعد خلو قلعة الجنيد خرج الجموع والعساكر وهدموا قلعة الجنيد الى الارض بأمر من والي الشام وبعد هدمها جاء من الوالي مرسوم عن ذلك جاء فيه : (غير خافيكم أن موسى بك قد بنى قلعة الجنيد على الفساد وأذية العباد وذلك معلوم الجميع من رفيع ووضيع وحين تقرر لدينا ذلك فابتغاء لوجه الله ومرحمة لعباد الله أخر جناه وأزلنا بناه وهدمناه وأرسلنا لكم مرسومنا هذا في ٢٣ ب سنة ١٢٣٥ .

موت جرار وتعيين السلحدتر

مات الحاج أحمد آغا الجرار بعد بضعة أشهر من تاريخ تعيينه وبموته فقد جبل نابلس أميراً خطيراً قوي النفس والعصبية شجاعاً عزيزاً وفقد ال النمر أكبر نصير وفقد ال جرار كبيراً لم يرزقوا بعده مثله . وبموته فقدت نابلس حاكماً وطنياً مهاباً فتوالى عليها حكم المتسامين الغرباء الذين لا حول لهم ولا قوة فكان أولهم حسين آغا السلحدار²⁹⁰ وإذ كان موسى بك لا يزال في جماعين كتبت نابلس للوالي بذلك فورد منه المرسوم الاتي :

مرسوم الوالي بطرد موسى بك من جبل نابلس

قدوة النواب والمنتشرين نايب الشريعة المطهرة حالاً أفندي زيد فضله ونخبة العلما والمدرسين ومأنون بالافتا زيد علمه وفرع الشجرة التركية قايمقام نقيب الاشراف زيد شرفه وعمدة الاماجد والاعيان سلحشور خاصة وسلحدارنا

²⁹⁰ السلحدار أي امير السلاح .

سابقاً ومتسلماً بها حالاً الحاج حسين اغا زيد مجده ومفاخر الطلبة علماً ومدرسين زيد طلبهم ومفاخر أقرانهم مير ألي وموسى آغا النمر زيد قدرهم ووجوه وأعيان وضابطان ومشايخ واختيارية قرايا نواحي جماعين وبني صعب والشعراوية الشرقية والغربية ووادي الشعير وعقربا وبيتا وكافة أهالي نابلس داخلاً وخارجاً بوجه العموم تحيطون علماً بخصوص موسى بك طوقان فقد طرق مسامعنا بأنه بعد فراره من مدينة نابلس توجه الى قرية جماعين ونزل بها فهذا ضد رضانا من وجوه عديدة أولاً فإنه معلوم الجميع أن المذكور خارج من رضى الدولة العلية نصرها رب البرية وفي حقه فرمان عالي الشأن . وثانياً فان جميع المفاسد والفتن وسفك الدماء والاعتساف الواقع في نابلس داخلاً وخارجاً فهو كان سببه وذلك معلوم عند الجميع منكم فالآن صادر مرسوم من لدينا الى أهالي جماعين بطرده من عندهم وحذرناهم من عواقب ذلك ثم أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع فالمراد بوصوله ووقوفكم على مضمونه تبادروا الى طرد موسى بك المذكور من جماعين ومن كافة نواحي نابلس وأطرافها ما معكم اذن تلقوه ولا تستقبلوه ولا تتركوه بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب واطردوه من جميع أطرافكم طرداً عنيفاً بالازهاب المريع لأن جل غرضنا راحتكم ورفع الفتن من بينكم الذي كان أصلها وسببها واعلموا وتحفظوا أن كل من لقيه وداجا معه بأدنى شيء يكون خارج من رضى الدولة العلية ومن رضانا أيضاً فتكونوا جميعاً قلباً وقالبا بالاتفاق والاتحاد ومعاذ الله تعالى اذا بدى من أحد منكم أدنى مخالفة الى مرسومنا هذا نطلع من حقه بما يستوجب ويستحقه ويندم غاية الندم ولا يقدر على رد الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام والقدس الشريف ونابلس فبوصوله تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته اعلموه واعتمدوه والحذر من الخلاف في ٦ ش ١٢٣٥ .

محمد درويش

والي الشام والأيالة ومير الحاج

مطاردة موسى بك

بعد صدور هذا المرسوم خرج موسى اغا النمر والمتسلم حسين آغا والمير ألي أبو بكر بك وأحمد آغا النمر بالجموع وعساكر الشام الى جماعين فطردوه منها ولم يذهب إلى جهة إلا واستعادت منه وتشرذ عساكره ولم يبق معه إلا شردمة قليلة توجه بها الى جهة غير معلومة وخرج موسى آغا وأحمد آغا النمر بفدائيتهم وأبسل رجالهم يقتفيان أثره.

رفع البيكات من بني صعب

سافر الشيخ أحمد الجيوسي الى استانبول معززاً بالعرائض والتواصي فصل على أمر سلطاني بمشيخة بني صعب ورفع البيكات منها نهائياً وأيده الوالي بمرسوم آخر وانتهى النزاع على مشيخة بني صعب وذلك في سنة ١٢٣٦ هـ .

موقف آل طوقان من البيكات

كان سائر فروع آل طوقان قد خرجوا من الجد الخامس وبحسب عرف²⁹¹ البلاد أصبحوا بعيدين عن البيكات وبالرغم عن أن فرع الأغوات لم يخرج إذ ذاك فقد انفصل ونظراً لصهارة الفروع المذكورة لآل النمر فقد وقفوا على الحياد منذ وقع النزاع بين أحمد بك طوقان وابراهيم آغا النمر قبل مجيء الافرنسيين وقد حصل بينهم جفاء . وعد البيكات باقي الفروع لصفاء باسم طوقان لأنهم لم يشاركوهم في العداوة مع أهل البلاد ولم يثبت معهم إلا آل السعيد طوقان الذين قتل منهم اثنا كما مر وقد كانوا ضباطا على العساكر .

ولما غدر موسى بك وعساكره بالأغوات تخلى عنه أقاربه البيكات وفي بعد ذلك وحده وقد أعلنوا براءتهم من أعماله وأثبتوا للجميع براءتهم وبعدهم عن المؤامرة فقد جاء أسعد بك من بني صعب يريد قتله فحال العساكر دونه وهددوه فعاد لبني صعب هو ورضوان بك ومصطفى بك ونساؤهم وعيالهم جميعا وبعد أن رفعوا من بني صعب نزلوا على الرشيدات في صير وظلوا هناك الى أن دعوا للصلح واستولت نابلس على أملاكهم الى ما بعد الصلح بيضع سنين كما سيأتي . وبقي التحامل على موسى بك وحده كما يظهر من المرسوم الماضي والمرسومات الآتية وقد عدت مسألة شخصية فلم يكد موسى بك يقتل بالسم حتى تم الصلح في اليوم الثاني كما سيأتي ولم يستحسن قديما وحديثاً أحد من آل طوقان غدر موسى بك الذي لا يقره شرع ولا عرف وعادت الصلوات بعد الصلح الى أحسن ما كانت وكل ما حصل بعده إنما كان وقتياً .

الكون الكبير

خرج موسى بك من جبل نابلس ونزل على الطرشان امراء جبل الدروز وبينما كان أحمد آغا النمر وموسى آغا النمر يبحثان عنه لقتله باغت نابلس بجموع من الدروز والبدو وباقي العساكر والانصار فاشتبك مع نابلس بحرب طويلة وما زالت في ضيق الى أن بلغ أحمد آغا وموسى آغا الخير فأسرعا بمن معهما وجمعا ما استطاعا من جموع القرى والبدو وجاءوا الى نابلس وفي ختام اليوم الخمسين من الحرب والحصار كسروا الدروز فهربوا بعد أن قتل منهم ومن باقي أنصار وعساكر موسى بك عدد كبير وقد سميت هذه الحرب الطويلة بالكون الكبير²⁹² وقد سمي من ولدوا في تلك المدة بالكوني²⁹³ وكان ذلك سنة ١٢٣٧ هـ . وقد فر موسى بك من جبل نابلس واختفى عند صهره محمد آغا ابو نبوت حاكم يافا وغزة فاستراحت البلاد منه سنة كاملة .

²⁹¹ راجع فصل القانون العشائري في باب الامارة من الجزء الثاني

²⁹² راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني

²⁹³ سمي ثلاثة اولاد في نابلس بالكوني لهم اليوم ثلاث اسر تسمى بهذا الاسم فهي ذكرى تلك الحرب الدرزية النابلسية وقد انتقم عبد القادر آغا بن موسى آغا بطوابير نابلس من الدروز كما سيظهر ذلك في حوادث دور الانتقال من الجزء الثالث

الفصل العاشر

آخرة موسى بك والصلح النهائي

ظهور موسى بك

انتقلت البلاد من الذين ظاهروا موسى بك والدروز شر انتقام ، بينما هم في أشد الضيق ظهر موسى بك في جهات غزة ، فرغ أنصاره رؤوسهم وتظاهروا بالفساد ، فكتبت نابلس للوالي تخبره بذلك ، وكان حسين آغا متسلم نابلس قد تركها بعد الكون الكبير ، فأسرع مصطفى بك طوقان وحصل عليها ، فكتبت نابلس للوالي ترفض تعيين أحد من آل طوقان ، فعين سليمان آغا أحد رجاله متسلاً على نابلس ، وأرسل معه مرسوماً شديد اللهجة .

موت درويش باشا وسليمان باشا

في أوائل سنة ١٢٣٨ مات درويش باشا والي الشام ومات قبله سليمان باشا والي عكا اللذان يعرفان موسى بك وسخط الدولة عليه حق المعرفة وتعين حسين باشا على عكا وصالح باشا على الشام ، فتشجع موسى بك على الظهور في جهات غزة ، فهرب حسين آغا السلحدار من نابلس ، وأسرع مصطفى بك طوقان فحصل على أمر بالمتسلمية من الوالي الجديد كما مر فرفضت نابلس تعيين مصطفى بك وانتخب موسى آغا النمر وكيلاً للمتسلمية ، فعزل الوالي مصطفى بك ، وعين أحد رجاله سليمان آغا متسلاً على نابلس وأقر موسى آغا النمر في الوكالة ، كما يبين في مرسوم الوكالة الآتي ذكره .

التآمر على موسى بك

لما وصل سليمان آغا لنابلس في رمضان سنة ١٢٣٨ ووجد ذعرها من موسى بك عاد الى دمشق تاركاً منصبه ، فذهب موسى بك الى دمشق وحصل على أمر بالمتسلمية من صالح باشا الوالي المرتشي ولما بلغ نابلس الخبر ، اجتمع موسى آغا النمر ، وأحمد آغا النمر والميرألي أبو بكر بك ، والشيخ حامد القدومي شيخ الشتويات، وشيوخ جماعين وهم الشيخ قاسم الأحمد ، والشيخ حسن المدينة ، وأبو بكر الجماعين ، وقرروا قبول موسى بك كمتسلم وإطاعه بالصلح مع موسى آغا وأحمد آغا ثم الغدر به وقتله بالسم ، فيخلصوا منه ومن نقمة الوالي ، وينتهي الأمر بالصلح .

مصرع موسى بك

عاد موسى بك متسلاً على نابلس بموجب مرسوم مؤرخ في الخامس من صفر سنة ١٢٣٩ هـ ونزل ضيفاً على عدوه القديم الشيخ قاسم الاحمد في بيت وزن فاستقبله بحفاوة ورحب به ، ثم حادثه عن خور عزيمة أحمد آغا وموسى آغا وفرغهما ولينهما للصلح معه ، فاطمئن موسى بك وأكثر الشيخ قاسم الأحمد من التردد على آل النمر في نابلس وجمع أسعد بك²⁹⁴ ومصطفى بك مع موسى بك وصار يشاور شيوخ البلاد عن الصلح الى أن توهم الجميع أن الصلح حاصل

²⁹⁴ اما رضوان بك فقد كان في دمشق على الراجح فلم يحضر الصلح وبعد حضوره نزل ضيفاً على أحمد آغا النمر صديقه، من قبل وانتهي كل شي .

وأخذ شيوخ البلاد يفدون على آل النمر لإقناعهم وفي أصيل يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٢٢٩هـ قدمت القهوة في بيت وزن لموسى بك وشيوخ البلاد



قصر الشيخ قاسم الاحمد في بيت وزن وقد بني من حجارة قلعة الجنيد بعد هدمها

فتناول موسى بك الفنجان الأول المعد له بصفته أكبر الموجودين وفي ذلك الفنجان وضع السم القاتل فشربه موسى بك مع الشيوخ جميعا وهو آمن كما خرج اليه محمد آغا والأغوات لنجدته وهم آمنون وبعد شرب القهوة دخل موسى بك وأسعد بك ومصطفى بك وعدد كبير من شيوخ جبل نابلس الى نابلس فنزل فريق منهم على البيكات وفريق منهم على الأغوات ليتم الصلح في الصباح حسب الاصول .

وبات الجميع ينتظرون الصباح وفي تلك الليلة شكى موسى بك مغصا في بطنه ثم سكنت نبضات قلبه الجبار ولما أصبح الصباح اتهمت بسمه زوجته بنت محمد آغا أبي نبوت حاكم يافا التي كانت تبغضه وطردت من الدار فخرجت تزغرد من الغيظ . ودفن موسى بك في مقبرة آل فروخ يوم الاربعاء السابع عشر من شهر ربيع الأول واستراح جبل نابلس من شر مستطير دام عشرين سنة أو تزيد وقتل موسى غدرا كما قتل محمد اغا وأبناء عمه غدراً وكان ثالث من قتل من آل طوقان وقد أخفى السم محافظة على عرف الضيافة وخوفا من نقمة الوالي ولكن الامر ظهر بعد الصلح وصارت النادبات يقلن : (يا قاسم ريتك²⁹⁵ مقسوم) .

²⁹⁵ اي ليتك .

الصلح النهائي

قتل آل النمر من آل طوقان عبدالله وفرهود السعيد طوقان ضباط موسى بك وقد قتلوا موسى بك بالسهم فكان الثالث فلم يترددوا في قبول الصلح وفي اليوم التالي لمصرع موسى بك أي يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ حصل الصلح بين البيكات والأغوات وأسعد السعيد طوقان بحضور القاضي والمفتي والنقيب وشيوخ العشائر والنواحي وكتبت بالصلح حجة سجلت في سجل مجلس الشرع الشريف بنابلس وهي الآتية :

ابراهيم الجوهرى المفتي بمدينة نابلس

حجة الصلح

الفقير اليه عز شأنه النائب بمدينة نابلس السيد محمد موسى التميمي غفر له بالمجلس الشرعي المحرر المرعى بمدينة نابلس اجله الله تعالى لدى مولانا فخر المدرسين الكرام لما كان قبل تاريخه قتل موسى بيك حال حياته من أولاد النمر ثلاث رجال وهم محمد آغا ويوسف آغا وعلي آغا واستمرت العداوة والبغضاء أياما ثم أن أولاد النمر ظفروا برجلين من أولاد²⁹⁶ طوقان وهما عبد الله وفرهود وقتلاهما ووقع التنازع ولم يزل الخصام والنزاع بينهما الى الآن ففي تاريخه حصل الصلح والاصلاح بين الجهتين وجعلوا محمد آغا وعلي آغا بدلاً و عوضاً من عبد الله وفرهود وبقي لأولاد النمر²⁹⁷ يوسف آغا ولم يختاروا دية ولا غير ذلك بل طلبوا أن تكون عمومية فيما بينهم أخاوين في الدية دافعين في الدية ليس بينهم عدوان ولا بغضاء وتوافقوا على ذلك بحضور مناصب البلاد الواضعين أسماءهم أدناه فحضر لمجلس الشرع الشريف فخر الامراء الكرام أسعد بك طوقان وفخر الامراء الكرام موسى آغا النمر وفخر الامراء الكرام باشا²⁹⁸زاده مصطفى بك طوقان وفخر الامراء الكرام أحمد آغا النمر وأسعد بن الحاج محمد سعيد طوقان وأشهدوا على أنفسهم عن طيب قلب وانشراح صدر من غير إكراه ولا إجبار ولا مانع يمنعمهم من صحة هذا الاشهاد الشرعي عالمين بمعنى ذلك وما يترتب عليهم من ذلك شرعاً انهم جعلوا محمد آغا وعلي آغا في مقابلة عبدالله وفرهود ويوسف آغا جعلوه عمومية فيما بينهم وأسقط كل منهم حقه في جميع ذلك وتباروا منه إبرانا عاما قاطعا مانعا حاسما حازما لكل طلب ودعوى وتظلم وشكوى قابلاً كل منهم قيل الآخر مسقطاً لكل طلب وانفصل ذلك على يد مناصب البلاد المذكورين وتحرر هذا السند بأيديهم ولما كان الحال على هذا المنوال سطر ما هو واقع بتاريخ الثامن عشر من ربيع أول سنة تسع وثلاثين ومايتين والف هجرية.

²⁹⁶ خفي سم موسى بك وظل امرأ مكتوما الى ما بعد الصلح واختلفت في سمه الروايات فمن قائل انه وضع في القهوة ومن قائل انه وضع في اقراص الخبز ومنها رواية خطية السامري معاصر يقول انه تسلط على السامريين فسلط الله عليه احد مشايخ الصف قسمه .

²⁹⁷ يوسف آغا هو اخو موسى آغا وله الحق بالتنازل عنه أما علي آغا و محمد آغا فليس لهما اخوة ولا اولاد

²⁹⁸ هو ابن مصطفى باشا سمي على اسم ابيه تخليداً لذكره

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
مصطفى العديلي البيتاوي	ناصر المنصور البيتاوي	موسى عثمان جماعين	سليمان جماعين	أبو بكر جماعين	
الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
عبد الله الجرار	اسعيد الداود الجرار	قاسم الاحمد	حسين عبدالهادي	عيسى البرقاوي	احمد الشايب مرداوي
الحاج عساف عرايبي	علي موسى عرايبي	خليل الحمد دير الغضون	الفقير السيد حسين أبو اللطف		

وغيرهم جمع غفير من المسلمين

استرداد الاملاك وتأكيد الصلح

استولى أهالي نابلس على أملاك البيكات بعد خروج موسى بك من نابلس ولم يتركها حتى سنة ١٢٤٦ هـ اذ في هذه السنة صار مصطفى بك متسلماً على نابلس فحصل على أمر باستردادها . وفي سنة ١٢٤٧ هـ بلغ أبناء المقتولين من آل طوقان رشدهم فحضر لمجلس الشرع محمود بن عبد الله طوقان والحاج محمد بن فرهود طوقان بالإصالة عنها وبالوكالة عن أبيهما واخواتهما وصادقا على الصلح الماضي بحضور أحمد آغا النمر وعبد القادر آغا النمر وحكم بذلك القاضي الشيخ عبد الواحد الخماش بشهادة شهود وسجله فانتهى كل ماله صلة بالحوادث الماضية ولم تحدث فيما بعد إلا بعض مصادمات بسيطة لأسباب جديدة لا تلبث أن تنتهي .

الحكم على شخصية موسى بك

وصل موسى بك الى متسلمية نابلس يتميز غيظاً من امراء ومشايخ جبل نابلس الذين عرقلوا مساعي أربعة من امراء أسرته فقد اضطروا عمه مصطفى باشا على الانسحاب الى راشيا ولم يمكنوا ابن عمه أسعد بك من إكمال سنة ثم شلوا حركة عمه أحمد بك فعزل ثم أحرقوا الذخائر واضطروا أخاه خليل بك على ترك المتسلمية والذهاب إلى مصر تخلصاً من أثمان الذخائر . وعلى أثر هذه المتاعب والمصادمات المغيظة وفي أشد مواقف الصدام وصل للمتسلمية موسى بك الشاب الجسور والمؤامرة لا تزال كما هي لم يؤثر فيها تهديد السلطان ووعيده وحوله أصحاب الذخائر يطالبون بأثمانها وقد احترقت وثبت عجز أسرته عن حمايتها فصمم على تفويض أركان المؤامرة والبطش بجميع أعضائها فاتفق مع الوزير الأعظم على ذلك فأمده بخمسة آلاف من أبسل جنود عصرهم ، مغاربة دوخ بهم الجزائر سوريا ، ومماليك

فما زالوا يناضلونه حتى تركه اهله وذووه وتناقص جنده ذبحاً ونشريداً الى أن أبيدوا جميعاً ، ولم تخذله الدولة فساعده للمرة الاخيرة وعينته متسلماً فلجأ الى العرف وحل ضيفاً على أمير الجنوب الشيخ قاسم الأحمد ولكن هذه المكيدة التي أراد بها إيقاع الفتنة بين أعدائه لم تخف عليهم فلم يحترموه لأنه خرج على عرفهم ولم يتركوه يحتمي بالعرف الذي احتقره وخرج عليه فخدعوه وقتلوه بالسسم فبرهنوا مع بطشهم على حكمة ودهاء وانتهت تجربة موسى بك الخطيرة بعد أن برهن جبل نابلس الدولة بأنه لا يخضع ولا يذل فقد ملئت منه غيظاً فسلطت عليه واحداً من امرائه وعززته بالاوامر الشديدة والجنود البواسل وبدأت الشيوخ بأخرين من انصارها فلم يتركوا وأميرهم الطاغية وسيلة إلا استعملوها ولا ظرفاً إلا استغلوه ولا حيلة إلا جربوها فلم يظفروا بخضوع ولا استسلام بل كانت الدائرة تدور عليهم ففشلوا واسود وجه الدولة بهم ربع قرن كامل وانتهت هذه التجربة الخطيرة بفوز جبل نابلس الجبار وخذلان الدولة ورجالها وأنصارها ولسان الحال يقول :

كناطع صغرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهذه التجربة التي قامت بها الدولة العثمانية في جبل نابلس لا تقل عن التجارب التي قامت بها بعد ذلك بقرن في جبل الدروز وعسير ونجد واليمن واذا قورنت هذه التجارب بتلك مع ملاحظة الفرق في التاريخ والنسبة في المساحة والنفوس نجد أن جبل نابلس في مقدمة الامارات العربية إباءً وشمأً وعزة .

الباب السادس

عصر احمد اغا

الفصل الأول

دسائس الولاية والامراء

متسلمية موسى آغا النمر ومنزلته

موسى آغا هو ابن حسن آغا النمر المار الذكر وأمه الست سارة بنت خضر طوقان كان فتى فروسيا وذكيًا داهيا ظهر أمره بعد موت أبيه فلم يقاوم المير ألاي أبا بكر بك بل صاحبه ، وتعلم منه اللغة التركية وتظاهر بمسالمة ابن خالته موسى بك وأقام حوله الرقباء والجواسيس فعرف دخيلته ونواياه ولما هاجم محمد آغا النمر نابلس قطع الطرقات على العساكر ، ولوقوفه على نوايا ابن خالته ظل متحذراً منه وقد نصح محمد آغا بعدم الاطمئنان اليه ولم يغرر بنفسه في تلك الليلة المشؤومة وقد أظهر بعد الفاجعة العظيمة رباطة جاش خارقة ورتب الخطة النهائية للدفاع عن كيان أسرته وحاته ولانقاذ جبل نابلس من العساكر الغرباء وأميرهم الطاغية ففاز فوزاً مبيئاً أحرز به اعجاب السلطان والوزراء والولاية وقد أدهش النابلسيين بشجاعته ودهائه فانتخبوه وكيلاً²⁹⁹ عن المتسلم حسين آغا بعد هربه من نابلس ووافقهم الوالي على ذلك ثم صار متسلماً أصيلاً بعد الصلح النهائي باتفاق جبل نابلس جميعه بما فيه آل طوقان وصادق على ذلك الوالي نفسه فكان موسى آغا النمر الامير الوحيد الذي نال هذه الثقة من الشعب على اختلافه وأيده الوالي ، وهو بعده في سن الشباب . التف جبل نابلس جميعه حول موسى آغا وعدت حكومة موسى آغا خاتمة عصر الدمار وفتاحة عصر المقدم وال عمران وقد فتن النابلسيون بفتاهم أيما فتنة فأخلصوا له إخلاصاً متناهياً وأحبوه حباً جمّاً وظنوا أنهم نجوا من الدمار والسقوط ولكن هيهات أن يدوم خير في ذلك القرن المشووم فقد زلزلت نابلس بزلزال أرضي في تلك السنة في أول شعبان سنة ١٢٠٩ هـ فجعت بفتاها وأميرها النابغة موسى آغا النمر فجزعت لموته جزعاً عظيماً ثم انفتحت بعده أبواب الدسائس والفتن التي تلتها الحرب الاهلية ثم الانحلال والانحطاط الذي ما زال جبل نابلس ينن منه الى عصرنا الحاضر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

امارة أحمد آغا النمر وموقفه

أحمد آغا هو ابن علي آغا ابن عمر آغا النمر وأمه الست صالحه بنت صالح بك الشافعي كان أحمد آغا فتى فروسياً كسائر أفراد عشيرته ، وقد تولى ادارة اقطاع آل النمر في عهد حسن آغا النمر ، وبعد خروج موسى بك أصبح وكيلاً

²⁹⁹ راجع وثائق المتسلمية في الجزء الثاني .

للمير ألاي أبو بكر بك وبعد موت موسى آغا سافر أبو بكر بك فانتخب الزعماء والسياهية³⁰⁰ أحمد آغا مكانه ثم عين رسمياً وقد صار وكيلاً للمتسلمية وأصبح هو المتسلم الحقيقي لنابلس لأن أمراء نابلس كثرت دسائسهم ضد بعضهم . وبالرغم عن أنه الرجل الوحيد الباقي من آل النمر وحوله نحو عشرين من النساء ، فقد ظل قطب الرحي في جبل نابلس جميعه فمثل دوراً كاملاً ، وقد وفق الى مواقف نبيلة جعلته أنبل وأحكم أمراء عصره ولقد كان لنبله الفضل الأكبر في إنقاذ نابلس من بطش عبد الله باشا و ابراهيم باشا ثم في انقاذ نفسه ، ولقد كان له فضل كبير في تخفيف الدسائس والقضاء على أكثرها ، وقد اشتهر بالاغا والجرجي وبعد امارة الالاي صار يلقب بالببكي في بعض الأحيان .

ضبط التيمار وتنظيم الالاي

بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية أكمل تنظيم الجيش الجديد في العاصمة ثم التفت الى المقاطعات والألوية فأمر بضبط التيمار³⁰¹ وتنظيم الالايات فقام آغا النمر في نابلس بذلك حق القيام وبمساغيه ومساغي المتسلم مصطفى آغا طويجي باشي أقطع الشيخ حسين عبد الهادي تيمار عرابية³⁰² ثم أعطى زعامة فحمه ، وأقطع الشيخ قاسم الأحمد قرية بيت وزن وجينصافوت ، وأعطى ولده الشيخ محمد زعامة حوارة وقد أقطع البيكات زعامة ، وكذلك آل جرار ، وتغيرت بذلك أحوال التيمار والاقطاع جميعه وذلك سنة ١٢٤٢ هـ .

انهاء حكم الغرباء

بعد موت موسى آغا النمر تعين مصطفى آغا طويجي باشي من أهل الاستانة متسلماً على نابلس ، فأقام مدة سنتين وفي أواخر سنة ١٢٤٢ هـ ترك نابلس فعين خورشيد آغا أحد رجال والي الشام مكانه ، وكان متكبراً فاصطدم بأحمد آغا النمر الذي أثار عليه جبل نابلس واضطره على ترك نابلس قبل انتهاء سنة³⁰³ ثم اتفق أحمد آغا مع أسعد بك على المتسلمية وأنهى حكم الغرباء ، فذهب أسعد بك لوالي الشام ، وطيب خاطره وحصل على أمر بالمتسلمية .

مرسوم الوالي لاحمد آغا

افتخار الأمرا الكرام مير ألاي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام نبدي اليكم انه الآن قد أنعمنا بمتسلمية نابلس على رافع مرسومنا هذا افتخار الأمراء الكرام ذوي المجد والاحترام طوقان زاده مير أسعد بك زيد مجده ومأذون من طرفنا بتحصيل نتاج أموال الميري والمهمات الحجازية وصيانة ذوي الأعراض والطلوع من حق الأشقياء والمتجاوزين الحدود وحماية الرعايا ودابع رب البرايا من غير معارض له بذلك فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا فيبصولة تكونوا مع متسلمنا المير المومي اليه يدا واحدةً وحالاً واحداً على الوجه المشروح ثم تقرر لدينا أنه تقدم بدى بعض أمور مغايرة ومفاسد من طرف ناس بطرفكم من أرباب المفاسد وأصحاب ذوي الأعراض فهذا شيء ضد رضانا ولا يمكن نعطي به رخصة الى أرباب المفاسد وكان مرادنا إصدار أمرنا بالطلوع

³⁰⁰ راجع وثائق آلاي السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

³⁰¹ راجع وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني

³⁰² راجع وثائق الاقطاع ايضاً

³⁰³ كانت مدة المتسلم سنة وان رضي عنه الوالي جدد له المدة

من حق الأشقيا المذكورين بما يستوجبوه ولاكن حسب التماس الرجا من متسلمنا المومى اليه سمحنا عنهم ما داموا في أشغالهم وفي قيد الإطاعة الى متسلمنا المومى اليه ومن الآن وصاعداً اذا بلغنا أحد من هولاي المذكورين أو من غيرهم بدى أمور مغايرة أو مفاسد يلزم الطلوع من حقهم بما يستوجبوه ويترتب عليكم غاية الملام وعذركم ذلك الوقت غير مقبول وانشاء الله تعالى لا يلزم بذلك غاية التأكيد اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد .

الحاج صالح

في ٣ ذ 304 سنة ٢٤٣

والي شام

تعيين الشيخ عبد الله الجرار

بعد انتهاء السنة حصل الشيخ عبد الله الجرار على أمر بمتسلمية نابلس من والي عكا بالوكالة عن والي الشام فأعاظ بذلك أسعد بك وأحقه عليه فما زال ينتظر الى أن سنحت الفرصة ووقع الخلاف بين والي الشام ووالي صيدا الجديدين ، فاتفق مع الأخير وحرضه على الشيخ عبد الله فعزله عن نابلس ثم أحقه عليه فأسره وهدم صانور كما سيأتي .

مرسوم الوالي لأحمد آغا بتعيين الشيخ عبد الله الجرار

قدوة الأمائل والأقران مير ألي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد العز والإكرام نبدي اليكم أنه بتاريخه وجهنا متسلمية نابلس على افتخار المشايخ أخيننا الشيخ عبد الله الجرار للمكرم ووجهنا له شرطنا منها وحررنا لكم أحرف المودة فالمراد بوصوله بكم تكونوا والشيخ عبد الله الجرار المومى اليه يداً واحدة وحالاً واحداً بالاتفاق والاتحاد وإنجاز الخدمات العابدة لدى سعادة أفندينا ولي النعم الدستور الوقور³⁰⁵ المعظم طال بقاءه بكافة الخدمات المرضية ، حيث تكونوا أنتم والمتسلم المومى اليه يداً واحدة وجسماً واحداً وانشاء الله تعالى حين حلول ركاب أفندينا المعظم بهذه الديار تتالون كل ما يسر خاطركم ويقر نواظركم يكون معلومكم .

الحاج عثمان

في ٢٣ رجب سنة ١٢٤٤

مير ميران قائم قام

والي شام

304 ذ - اي ذو الحجة

305 يعني والي الشام الحاج صالح باشا لانه كان ركب الشامي في الحجاز .

عقلية الشيخ عبد الله الجرار

الشيخ عبد الله الجرار هو أصغر أبناء سلطان البر يوسف آغا الجرار المار الذكر ، كان يختلف عن أبيه وأخويه تمام الاختلاف ، فقد كان شاباً طائشاً سريع التأثر يثق بلا تجربة ويحقد لأقل سبب ولا يفرق بين النصيحة والدسياسة ، ولقد كانت عقليته الشاذة أكبر عامل في تقويض قوى آل جرار وإضعاف مكانتهم في جبل نابلس وعند الولاية .

كان أول أخطائه النفور من أحمد آغا النمر بدسياسة دسها عليه بعض المفسدين . فإن آل النمر لا يزوجون بناتهم من غير عشيرتهم وقد اعتبروا هذه العادة من تقاليد الامارة فتمسكوا بها وأراد الدساسون إيقاع الفتنة بينهم وبين آل جرار فقالوا للشيخ عبد الله المذكور ان آل النمر سخروكم بعداوة آل طوقان وجعلونكم ترسا لهم ولو ساووكم بأنفسهم لصاهروكم ، وما عليك إلا أن تخطب إحدى بنات أحمد آغا النمر فتزى الحقيقة ، فصدق الشيخ عبد الله ذلك وأسرع الى أحمد آغا النمر يخطب بنته الست فطوم مقدا مبلغا كبيرا من المال فعرف أحمد آغا ذلك ولم يرفض بل تظاهر بالرضا الى أن اختلى بالشيخ عبد الله وأفهمه عدم إمكان ذلك لأنها عادة قديمة ومن تقاليد العائلة ، وأنه لا يتكبر على آل جرار ، ولكن العادة يصعب الخروج عليها وقد رفضت ذلك بنات العائلة³⁰⁶ كلهن وقامت في البيت نورة فلم يقنع الشيخ عبد الله بل قبل بالدسياسة وعدها نصيحة وصار يتعمد مخالفة آراء أحمد آغا النمر وبصغي الى أقوال وآراء الشيخ حسين عبد الهادي ويجمد أمام دسائس أسعد بك فأضاع متمسكية نابلس وجنين وهدم قلعة صانور ، وأهين هو نفسه في سجن عكا وأسرع ببناء القلعة ، ففضى على ثروة آل جرار ثم ثار على ابراهيم باشا فخر القلعة ورأسه بعدها واستمر بعد ذلك ضعف آل جرار وانقسامهم ، وكل ذلك من طيش الشيخ عبد الله واستسلامه للدسائس .

الخلاف بين والي الشام ووالي ايالة صيدا

لما ضمت إيالة دمشق وامارة الحج الى والي ايالة صيدا أحمد باشا الجزائر نقل مركزه من عكا الى دمشق ، ووكل وكيلاً عنه في ايالة صيدا ، وبعد أحمد باشا الجزائر صارت العادة أن ينوب والي ايالة صيدا عن والي ايالة الشام حين ذهابه مع الراكب الشامي الى الحجاز ، ولما عين عبد الله باشا الجزائر - الملقب بالخازندار - والياً على ايالة صيدا سنة ١٢٤٦ ادعى أن جبل القدس ونابلس من متعلقاته فوق الخلاف بينه وبين والي الشام وكتب الاخير للمتسلمين في البلدين يخبرهما بعدم اطاعة أوامر عبدالله باشا فأطاعوه فغضب والي عكا وعزل متسلم نابلس الشيخ عبد الله الجرار الذي رفض اطاعته . وولي على القدس أحد مماليكه وكذلك جينين فقد ولي عليها مملوكه حسين آغا وأخرجها من ال جرار وكان البيكات بالمرصاد فأسرع اليه أسعد بك ومصطفى بك فعين الاخير على نابلس وجعل مغاريب جبل نابلس متمسكية عين عليها أسعد بك طوقان .

³⁰⁶ راجع مبحث الاميرة الكبرى في فصل الامارة وترجمة الست عن في فصل النساء في الجزء الثاني .

اضطراب والي الشام

لما علم والي الشام محمود باشا الشركس³⁰⁷ بتدخل والي اربالة صيدا الفعلي طلب جرود جبل نابلس لتلاقيه على صفد كي يتوجه بها مع عساكر الشام وجموعها لضرب عبد الله باشا في عكا . وفي الوقت المعين خرج احمد آغا النمر والشيخ عبد الله الجرار والشيخ قاسم الاحمد والشيخ حسين عبد الهادي بجموع جبل نابلس الى صفد؛ إلا أن والي الشام خذلهم ولم يتجاسر على الحضور ، فرجعت جرود جبل نابلس الى صانور . فرأى أحمد آغا النمر والشيخ قاسم الأحمد ضرورة التفاهم مع والي الشام الى أن تصدر أوامر سلطانية بحل الخلاف ؛ أما الشيخ عبد الله والشيخ حسين فقد ترددوا ، فعاد أحمد آغا لنابلس ، وكتب للوالي في عكا كتابًا - بصفته وكيل المتسلم - باستعداد جبل نابلس للطاعة ، فأجاب الوالي بالكتاب الآتي :

جواب والي صيدا لاحمد آغا

قدوة الأمائل والأقران وكيل متسلمنا في نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره !

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام المنهى اليكم اطلعنا على شفتكم المرسولة الى افتخار الأمرا الكرام متسلمنا في قاقون حالاً طوقان زاده ولدنا أسعد بك صحبة محمد بك عسقلان وكامل ما شرحتومه وما أعرضه ولدنا عن معناها صار معلوم فنخبركم أنه مقدماً صدر وأمرنا لولدنا المومى اليه ان الذي يريد من مشايخ جبل نابلس الدخول بالطاعة والانقياد لطرفنا يعرض عنه لدينا وان شاء الله تعالى كل من طرق بابنا لا يشاهد إلا جبر الخاطر اقتضى إخباركم بذلك لكي كل من يريد الاجتماع في ولدنا المومى اليه لكي يتعاطى له وسایل استحصال رضانا وصفو خاطرنا فليعلم أن ولدنا البيك المومى اليه مأذون بذلك من طرفناً والذي يوافي على قدم الطاعة ويجتمع فيه ويتحقق ولدنا المومى اليه عبوديته لطرفنا ويعرض لدينا عنه فبحوله تعالى ما يشاهد من طرفنا إلا جبر الخاطر حسب مأموله هذا ما لزم اخباركم .

السيد عبد الله

في ٢٦ ر سنة ١٢٤٦

والي صيدا وطرابلس ومتصرف الوية

غزه وبافه والقدس ونابلس وجنين حالاً

أسر الشيخ عبد الله وهدم اسوار صانور

عرض شيوخ جبل نابلس جميعا طاعتهم على الوالي بواسطة أسعد بك إلا الشيخ عبد الله فنظراً لما بينه وبين أسعد بك تأخر وكذلك الشيخ حسين عبد الهادي فقد تأخر مراعاة لخاطر الشيخ عبد الله . وكان أسعد بك مغتاضاً من الشيخ عبدالله لتوليته متسلمية نابلس ومناقصته عليها فاعتتم هذه الفرصة وحرّض عبدالله باشا وأحقده على الشيخ عبد الله والشيخ حسين فأرسل الوالي يطلبهما اليه فذهب الشيخ حسين ليرى حالة الوالي فوجده مغتاضاً جداً من الشيخ عبدالله فعاد الشيخ حسين وأعلم الشيخ عبدالله بتهديد عبدالله باشا وغيظه فامتنع عن الذهاب الى عكا فاعتقد الوالي برأي أسعد بك واستعان بالأمير

³⁰⁷ قد عين بعد صالح باشا والي الشام المار الذكر .

بشير الشهابي وأتى بجموع لبنان وعساكر الأيالة وفاجأ صانور فحاصرها ولم يكن فيها أحد سوى الشيخ عبد الله وبعض آل جرار وخدامهم ولم يتجاسر الشيخ حسين عبد الهادي ولا غيره من الشيوخ المجاورين على امداد صانور ولم يكن عند باقي جبل نابلس علم بالامر فاضطر الشيخ عبد الله على التسليم فهدم³⁰⁸ عبد الله باشا أسوار صانور التي بناها السلطانان ابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار ثم أسر الشيخ عبدالله وأخذه معه الى عكا ولا فخر بذلك له ولا لأمير لبنان لأن القلعة لم يكن فيها قوة دفاع ولم يمدها أحد ولا يحق لمؤرخي لبنان المفاخر بمثل هذا الامر المخجل وقد تعامى الشيخ عبد الله عن دسانس أسعد بك وأنكر تعمده لمخالفته أحمد آغا النمر فاتهم الشيخ حسين عبد الهادي بأنه هو الذي أغرأه بعدم التسليم ووعده بالمساعدة ثم حرض الوالي عليه وامتنع عن مساعدته مع أن الواقع الصريح يخالفه فقد كان سبب فصل أسعد بك عن نابلس والمرسوم السابق يرى أن أسعد بك هو صاحب المكانة الحقيقية عند الوالي وقد ظن الشيخ حسين أنه بهذا الامر يوهم البلاد بمكانته عند الوالي فأيد التهمة ونجحت دسياسة أسعد بك وحقد آل جرار على آل عبد الهادي وأقسموا بأن لا يكفوا عن آل عبد الهادي إلا بعد هدم عرابية وقد توصلوا إلى ذلك بعد ثورة وحرب أهلية دامت نحو ثلاثين سنة فهدمت عرابية كما هدمت صانور وأخذ محمود بك عبد الهادي إلى بيروت كما أخذ الشيخ عبدالله الى عكا وقد انقسم آل جرار على أنفسهم وفقدوا جميع ثروتهم وقبعوا في قراهم ونزل آل عبد الهادي في نابلس محتفظين بأموالهم فأقبلوا على الوظائف والمدارس فتقدموا تقدماً كبيراً ولو أن آل جرار حققوا بالدسياسة وتفاهموا مع أحمد آغا النمر وظلوا على حلفهم مع آل النمر لاستغنوا عن خصومة آل عبد الهادي التي أنتجها عناد الشيخ عبدالله وتبجح الشيخ حسين وسيظهر من الفصول الآتية ما جر على البلاد هدم صانور .

عصيان أسعد بك

بعد أن هدم عبد الله باشا صانور شمش وتعالى وحيث أطاعه جميع امراء وشيوخ البلاد فقد أصبح في غنى عن خدمات أسعد بك طوقان فصار يزدرية عامداً فعصى فعزله وولى أحد مماليكه فثار أسعد بك وصار يبيت الثورة وروح الفتنة في جبل نابلس جميعه فطلب عبدالله باشا من مصطفى بك طوقان متسلم نابلس القبض عليه³⁰⁹ فرفض ولم يكثرث فعزله وأرسل عساكره مع مرسوم شديد اللهجة الى جميع شيوخ جبل نابلس يطلب القبض على أسعد بك .

مرسوم عبد الله باشا لجبل نابلس

قدوة الأمائل والأقران مير ألى جبل نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والاكرام المنهى اليكم طرق مسامعنا أن أسعد بك طوقان عصى وتمرد وتجاسر على مخالفة الأوامر الشريفة والآن قد أشهرنا أمرنا وبرزت أوامرنا الشريفة الى افتخار المشايخ المكرمين محسوبينا الشيخ عبدالله الجرار والشيخ حسين عبد الهادي والشيخ قاسم الاحمد زيد قدرهم والى عساكرنا المنصورة بالتضييق على المذكور ورمي القبض عليه وحضوره لهذا الطرف لأنه أيقظ الفتنة وعصى وعليه اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم لتكونوا أنتم ومحسوبينا المشايخ المذكورين

³⁰⁸ بعد فترة قليلة توسط احمدغا النمر لدى الوالي ففك الشيخ عبد الله الذي أسرع ببناء اسوار صانور بناية عادية اضاع فيها ثروة عائلته وبعد بضع سنين ثار على ابراهيم باشا فحضر اسوارها ولم يبق اليوم الا بوابات وبقايا اسوار بسيطة ليس فيها من السور القديم شيء

³⁰⁹ راجع مرسوم العزل والتولية في فصل المتسلمية من باب الحكومة في الجزء الثاني .

وعساكرنا يدا واحدة في رمي القبض على المذكور وحضوره لطرفنا واذا فعلتم كما أمرناكم فلكم من طرفنا رأي الله ورأي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم رأينا الوثيق على دمكم ومالككم وأملاككم وعلى من لاذ بكم وما عاذ الله تعالى اذا ووافقتكم أسعد بك المذكور وخالفتم أوامرنا بحول الله تعالى يحل بكم الندم ولا تنجوا أينما توجهتم وتنهدم أجداركم وتتضبط أملاككم ونجعلكم عبرة لمن اعتبر المراد تتخيروا الى أنفسكم إما إطاعتكم والرأي إما تقبلوا لأنفسكم غير ذلك يحل بكم ما شرحناه وتندموا حيث لا ينفعكم الندم اعلموا ذلك .

السيد عبد الله

في غرة م سنة ١٢٤٧

والي صيدا وطرابلس ومتصرف ألوية

القدس وغزة وياقة ونابلس وجنين حالياً

تمادى الوالي وتدمير جبل نابلس

نظراً للبعضاء الموجودة بين أسعد بك طوقان والشيخ عبد الله الجرار رأى أن يثير الفتنة فعين الشيخ عبد الله متسلماً على نابلس كي يساعد عساكره في القبض على أسعد بك الا أن شيئاً من هذا لم يكن لأن عصيان اسعد بك حول التهمة في هدم صانور عنه والصقت بالشيخ حسين وتحول آل جرار الى عداوة آل عبد الهادي بدلاً من ال طوقان ولم يساعد عساكر الباشا أحد فتمكن أسعد بك من الخروج من جبل نابلس وتوجه الى جهات غزة وبئر السبع يثيرها على الباشا وأغاظ الباشا موقف الشيخ عبد الله فعزله عن نابلس وولى مكانه الشيخ محمد القاسم وقطع صلته بأحمد آغا النمر وكان الشيخ حسين عبد الهادي يأمل أن يوليه متسلمية جنين او بني صعب فلم يوليه شيئاً فحقد عليه كان عبد الله باشا يعمل هذا كله تمهيداً لحكم البلاد بمماليكه كما كان يفعل سلفه وسيده احمد باشا الجزائر . ولما كان على وشك عزل الشيخ محمد القاسم وتولية أحد مماليكه زحف ابراهيم باشا بجيشه على البلاد فانقلب يتوسل ويوصي بالحذر كما حصل لسلفه احمد باشا يوم جاء الفرنسيين فأعاد التاريخ نفسه ولكن الفرق بين الفرنسيين و ابراهيم باشا كان واضحا فان جبل نابلس الذي كان في غاية التدمير وعلى وشك الثورة اتفق جميعه مع ابراهيم باشا القائد المشهود الذي أعلن بأنه آت لإخضاع عبد الله باشا ففرحت البلاد و عدت ذلك مخرجا لها وإذ كان الشيخ حسين عبد الهادي شيخ بلاد الشعراوية وهي طريق الجيش الى عكا فقد كان اول من اتصل به فتقدم اليه وانضم بجموعه الى جيشه وبلغه اطاعة جبل نابلس له وترحيبهم به وانه اقنع الجميع بحسن نواياه فوثق به ابراهيم باشا وعمل برأيه كما سيتبين وبذلك تألق نجمه ونجم اسرته .

الفصل الثاني

الحكم المصري

محمد علي باشا و ابراهيم باشا

كان في الجيش العثماني الذي دخل مصر مع الصدر الأعظم يوسف باشا سنة ١٢١٦ هـ بعد خروج الافرنسيين كنيبة من آرنأوط³¹⁰ قوله بقيادة علي آغا ابن حاكمها وكان معه تابع ذكي اسمه محمد علي فلما رجع الجيش العثماني عاد علي آغا ومعه بعض رجاله وقد ترك باقيهم مع تابعه محمد علي المذكور فترأسهم وتأخر في مصر واشترك مع مماليكها وتدخل مع اهلها فنما وتقدم وصار يعتبر من رؤساء الجند وما زال يحرص الوالي تلو الآخر الى ان اجمع المصريون على طلب تعيينه واليا على مصر ووافقهم على ذلك السلطان فعرف بعد ذلك بمحمد علي باشا وتفرغ لشؤون مصر فأصلح ادارتها ومواردها وري نيلها فامتألت خزائنه بالاموال وتمكن من تنظيم جيش في البر واسطول في البحر ثم قضى على المماليك وفتح السودان وصار السلطان يكلفه بإخضاع البلاد العاصية فيرسل ولده ابراهيم باشا - الذي عد من اكبر قواد عصره - ليخضعها ولما أخضع نجد ضمت اليه الحجاز ولما اخضع بلاد اليونان طمع سوريا كمكافأة إلا ان خصمه الوزير الاعظم خسرو باشا حرمه من المكافأة رغم خسارته اسطوله في مياه اليونان فحقد محمد علي باشا على الدولة وصمم على أخذ سوريا بالقوة .

تحرش محمد علي باشا بوالي عكا

احتاج محمد علي باشا في ايجاد الجيش والاسطول واخذ العصيان في نجد وكريد واليونان الى الاموال والرجال الكثيرين فأرهب المصريين بالضرائب وافقدهم عدداً كبيراً من ابنائهم فاضطر كثيرون منهم لا سيما اغنياء بلبيس على الرحيل من مصر الى سوريا فنزلوا في غزة ويافا ثم جاء اغنياوهم البلايسة الى نابلس³¹¹ ونزلوا ضيوفاً على احمد آغا النمر فاواهم واسكنهم في دوره الى ان اشتروا دوراً سكنوها وحوانيت اشتغلوا فيها فشجع ذلك المصريين على الرحيل الى جنوب سوريا فطلب محمد علي باشا من عبد الله باشا والي الايالة منعهم وارجاعهم فرفض واجاب محمد علي باشا جواباً قاسياً فاتخذ محمد علي باشا هذا السبب ذريعة يتذرع بها للاستيلاء على سوريا وقد بلغه عدم رضا البلاد عن سياسة عبدالله باشا وكان اهالي البلاد لا سيما اهالي جبل القدس وجبل نابلس يتوقعون عدم رضا السلطان عن فصل البلدين عن اية الشام وتوقعوا إرسال جيش لتأديبه فلما دخل الجيش المصري قوبل بالترحيب واتصل به آل عبد الهادي فتغيرت حالة البلاد كلياً.

³¹⁰ يقال لهم الالبان : قوله تابعة لسلانك من تراقية الغربية من بلاد الرولي
³¹¹ ومنهم الاسر الاتية : القمحاوي ، والعش ، والقطب ، والعزيري ، وابو طبيخ ، وابو العافية وعميرة ، وحجاب ، وغزاة ، والمصري البلبيسي ، وحميضم ، وخشانة ، وقد نزل بعضهم كالعش وأبي العافية فيما بعد في يافا

آل عبد الهادي

بعد القضاء على النزالية ساد آل ابي بكر الصالح في الشعراوية الشرقية ونزلوا في عرابة³¹², وقد صار اكبرهم الشيخ عبد الهادي شيخا عليها ولم يكن ذا اهمية كبيرة اذ كانت السيادة في الشمال جميعه لآل جرار ولما مات الشيخ عبد الهادي اتى شيوخ القرى المجاورة للتعزية ومعهم التلابيس³¹³ حسب العادة الجارية بين العشائر في ذلك العهد وبدلا من ان يوزعها الشيخ حسين ولده الاكبر على افراد عشيرته وزعها على الشيوخ انفسهم فاستغربوا هذا العمل ولما سألوا الشيخ حسين عن ذلك قال ان والدي كان للجميع فيجب ان يشترك الجميع في تعازيه فسر الشيوخ من هذا العمل وعلقوا امالهم على الشيخ حسين وانقادوا له .

ولما أصاب آل النمر ما أصابهم من موسى بك دعا احمد اغا النمر ليمضي دور النقاهاة في ضيافته فاحتفى به حفاوة كبيرة ولما وزع الاقطاع ساعده احمد اغا النمر مع المتسلم مصطفى اغا طوبجي باشي للحصول على اقطاع عرابه ثم زعامة ام الفحم وبذلك اصبح آل عبد الهادي من الاسر الاقطاعية ولما وقع الخلاف بين والي صيدا ووالي الشام وقبل جبل نابلس الاذعان للاول ذهب الشيخ حسين الى عكا وقدم مفاتيح بوابات عرابة اليه فنجت عرابة وهدمت صانور فظهر امره ورفع شيوخ البلاد وامرائها وفضلوه على الشيخ عبدالله ولما باع السلطان قصرهم الاقطاعي اشتراه الشيخ حسين ونزل في نابلس وصار يتدخل بالصغيرة والكبيرة ولقرب مقاطعته من والي عكا كثر تردده على عكا واصبح واسطة البلاد لدى واليها وكان يضم قبر الشيخ عبد الله فانفق مع آل القاسم على عزله عن متسلمية نابلس وساعده الشيخ محمد القاسم للحصول عليها وكان الشيخ حسين يطمع متسلمية جينين ولما لم ينلها انقلب وحقد على عبد الله باشا وبمجرد وصول ابراهيم باشا الى فلسطين خرج الشيخ حسين برجاله فاستقبله وانضم اليه وأقنع آل القاسم وباقي المشايخ بالاتفاق مع ابراهيم باشا فنجح وسر منه ابراهيم باشا وولاه مكان عبد الله باشا على ايالة صيدا وولى أخويه وولده وسائر أقاربه حكم البلاد ، فساد آل عبد الهادي في سوريا الجنوبية وأصبحوا أصحاب الكلمة النافذة طيلة الحكم المصري إلا أن محاولة آل عبد الهادي الاستئثار بكل شيء في البلاد ، ثم محاولتهم القضاء على جميع عشائر الأمراء والشيوخ ، أكسبهم عداوة جبل نابلس جميعه ، ولولا حكمة محمود بك أخ الشيخ حسين المذكور وتمكينه الصداقة وقدرته على التفاهم الدائم مع آل النمر لقضي على آل عبد الهادي جميعا كما سيتبين في الباب الآتي .

³¹² ونزل آل حمدان - الذين منهم آل الطاهر - في يعبد .

³¹³ في ملابس تقدم كتعزية لأهل الميت وبعضهم يقدم غنما وخيلا - راجع فصل العادات من باب احوال المجتمع في الجزء

الثاني .

آل القاسم

آل القاسم هم أعلى فروع بني غازي وهم شيوخ جماعين استفاد كبيرهم الشيخ قاسم الاحمد من الخلاف الذي وقع بين البيكات والأغوات في نابلس فنزل في بيت وزن وبني فيها قصرأ أقطاعياً ، ثم ساعد آل النمر ضد موسى بك ولما وزع الاقطاع ساعده أحمد آغا النمر للحصول على أقطاع بيت وزن وجينصافوت ، ثم زعامة حواره ، وبمساعدة الشيخ حسين عبد الهادي حصل ولده على متسلمية نابلس من عبد الله باشا ثم حصل هو نفسه في الحكم المصري على متسلمية القدس ؛ إلا أن غصب آل عبد الهادي متسلمية نابلس منه ومن ولده أغاظه فثار في جبل القدس فغلب وتشرذ الى أن قبض عليه وقتل هو وولده ، فساد ال ريان الفرع الثاني من شيوخ جماعين واستولوا على جماعين كلها ثم على مستلمية نابلس وطردها آل القاسم من جماعين ولولا نجدة آل النمر وقبولهم الصلح مع آل عبد الهادي لقضي عليهم ، إلا أنهم تدبروا أمرهم فاستردوا مكانتهم في جماعين ونابلس ومثلوا دوراً سياسياً مهماً في سياسة جبل نابلس بعد تشكيل المتصرفية كما سيتبين .

مرسوم ابراهيم باشا الى جبل نابلس

الى عمدة النواب المتشرعين نايب أفندي الشرع الشريف بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة العلما المحققين مفتي أفندي زيد علمه ومفخر السادات الأشراف قايمقام نقيب الأشراف أفندي زيد شرفه وعمدة المشايخ المعترين الشيخ محمد ابن قاسم الأحمد وباقي المشايخ والوجه بها حالاً تحيطون علماً أنه من حيث أنكم قدمتم لنا الإطاعة ودخلت بلادكم في حوزة حكومتنا فقد صار واجباً علينا حفظها وصيانتها واستجلاب راحة الأهالي ورفاهيتهم من كل وجه ومن كون أن محسوبنا الشيخ محمد بن قاسم تحقق لدينا صدق خدماته وحسن استقامته فقد أبقيناه بمدينة نابلس كما كان متسلاً وبعدهته بلاد المشاريق التابعة اليها وأما بلاد جبل نابلس جميعها فإننا أبقيناها بعهددة مفاخر المشايخ : الشيخ محمود عبد الهادي ، والشيخ يوسف بن قاسم الأحمد ، والشيخ عبد الله الجرار ، والشيخ يوسف ، والشيخ عبد الوهاب الجيوسي يتعاطوا أمور الأحكام وجباية الأموال وإنصاف المظلوم من الظالم وروية دعاوى كافة الأهالي على نهج الشرع الشريف بإبطال الباطل وإحقاق الحق المستقيم وأداء الخدمات المرضية وصيانة الأموال الأميرية فيقتضي أن كلاً منكم يعرفه متسلاً من طرفنا ويقدم له مراسيم الطاعة وأنت أيها الشيخ المتسلم قد أذناك مع باقي المشايخ اذا اقتضى اردتنا راحة الأهالي والرعايا وتحصيل أسباب رفاهيتهم ومنع وزجر المعتدين واستجلاب خير الدعا من الفقراء والمساكين وعمار البلاد وتأمين العباد وأن تصرفوا همتمكم وتبذلوا مجهودكم بإنفاذ اردتنا وإجراء الأحكام بالعدالة والإنصاف وتلازموا الحق والاستقامة وتتحاشوا أسباب الجور والاعتساف فبناء على ذلك قد أصدرنا لكم مرسومنا هذا من صحراء حيفا لكي بوصوله واطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد .

الختم الكبير

في ١٥ ح سنة ١٢٤٧

طمع آل عبد الهادي وإغاظة آل القاسم

تولى الشيخ حسين عبد الهادي مديرية³¹⁴ إيالة صيدا وأصبح أخوه محمود بك متسلماً على يافا وولده الشيخ سليمان متسلماً على جينين ، وقد ضمت لآل القاسم متسلمية القدس ، فصار الشيخ قاسم الأحمد متسلماً على القدس ، وولده الشيخ محمد متسلماً على نابلس ومعه مشاريقها ، وولده الشيخ يوسف شيخاً على جماعين ، فتساوى الفريقان بالغنم تقريباً . إلا أن آل عبد الهادي كانوا يطمعون بمتسلمية نابلس لتوطيد مركزهم فيها ، فلجئوا الى حيلة للحصول على متسلمية نابلس إذ حصلوا على أمر بتنحية الشيخ قاسم الاحمد عن متسلمية القدس ونقل ولده الشيخ محمد مكانه وبذلك شغرت متسلمية نابلس فتعين لها الشيخ سليمان ابن الشيخ حسين عبد الهادي .

مرسوم تنحية الشيخ قاسم الأحمد وتعيين ولده

افتخار الأماجد الكرام ذو الاحترام أحنينا العزيز الشيخ قاسم الأحمد نبدي لحضرتكم أنه بحسب تقدمكم بالسن ونظراً لشيخوختكم فعاد يلزم لكم الراحة والرفاهية وملازمة الدعوات الخيرية بدوام أيام دولت سعادة أفندينا ولي النعم الأعظم دام ما دام العالم ومن كون الولد سر أبيه فقد حولنا متسلمية سنجاك القدس الشريف لعهدة ولدكم الشيخ محمد القاسم ولذلك حررنا لكم طرسنا هذا لكي تحضروا وتستقيموا في محلكم وتتعاظوا أسباب راحتكم وتداوموا تأدية الدعا بدوام هذه الدولة العادلة المصرية مادام الدوام هذا ما لزم افادتكم

مير محمد شريف

٢٣ حا سنة ٤٩ من حلب

كتخداي خدبو أعظم وحكمدار ايالات بر الشام

دعوة آل القاسم شيوخ البلاد للثورة

لم تخف هذه اللعبة على آل القاسم فتميزوا غيظاً وصاروا يبيثون فكرة التمرد والعصيان ، فامتنتعت البلاد عن دفع الضرائب وتقديم الجنود وبعد رجوع الشيخ محمد القاسم من الحج وفي اوائل سنة ١٣٥٠ عقدوا اجتماعاً في بيت وزن حضره أكثر شيوخ البلاد الذين طفحت قلوبهم بالغيظ من آل عبد الهادي ، فحضره الشيخ عبد الله الجرار والشيخ عيسى البرقاوي ، والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد ، والشيخ قاسم الاحمد ، وولده الشيخ محمد ، والشيخ يوسف ، وحضره ايضاً الشيخ عيسى القدومي فاتفقوا على الثورة إلا الأخير فإنه نصحهم بعدم التورط مع إبراهيم باشا بحرب . وكان

³¹⁴ المدير هو الوالي وهذا اصطلاح مصري مازال مستعملا الى الان .

بإمكان هؤلاء المشايخ أن يكتبوا لمحمد علي باشا ولإبراهيم باشا يعترضون على توسع آل عبد الهادي في الحكم واستغلال التقاهم والطاعة لهم وحدهم ، والراجح أن الأمر لا بد وأن يحل سلباً إلا أن الغيظ أعماهم فتأروا فخرسوا .

شل الثورة وفشلها

لما جاء إبراهيم باشا الى البلاد تأمر المشايخ على أحمد آغا النمر ، وأفهموا إبراهيم باشا بأن أحمد آغا هو معتمد عبد الله باشا والي عكا فحل ألابي السباهية وحرمه اقطاعه فاشتغل بمتاجره واعتزل السياسة ، ولما عقد الشيوخ اجتماعهم في بيت وزن وصمموا على الثورة نصحهم بالكف عن ذلك فلم يلتفوا لقوله ، فأرسل³¹⁵رسله الجميع عشائر جبل نابلس ينصحهم بالهدوء وعدم الاشتراك بثورة المشايخ ، فقبلوا نصحه جميعا واضطر المشايخ على إعلان العصيان والقيام بالثورة في جبل القدس .

ولما بلغ إبراهيم باشا الخبر كتب لأبيه في مصر يستجده³¹⁶ وذهب بالألياته الى جبل القدس فضايقه الثوار وكاد يغلب لولا وصول نجدة أبيه الذي نزل في يافا بثلاثة آليات انضمت الى جيش إبراهيم باشا فضايق الثوار وكسرهم في موقعة قرية الدير³¹⁷ فتشرد المشايخ وأتوا الى جبل نابلس .

انقاذ نابلس من غضب إبراهيم باشا

بلغ إبراهيم باشا أن المشايخ بعد واقعة الدير تحولوا الى نابلس لإيقاد الثورة فيها ، فغضب إبراهيم باشا وأتى مسرعاً من جبل القدس الى بني صعب ، فقبض على الشيخ عيسى البرقاوي في شونة من وادي الشعير ، ثم التقى في قلب الوادي بجموع جرار فكسرهم وهربوا الى صانور فحاصرهم فيها وضربها بمدافعه واضطروهم على التسليم فأسر الشيخ عبد الله الجرار ، ثم حط على سيلة الظهر ونادى في جيشه بإباحة نابلس وهدمها في ظرف ثلاثة ايام ولما بلغ نابلس الخبر هرعت الى ديوان أحمد آغا النمر لإقناعه بضرورة الوفود على إبراهيم باشا ، فذكرهم بنقمة إبراهيم باشا عليه من حين دخوله وأنه ربما قتله بمجرد وصوله ، فقالوا له لأن تقتل هناك خير لك من أن ترى إباحة بلدك وهدمها فتارت نخوته ووفد على إبراهيم باشا وبمجرد تسليمه عليه قال له : لقد اتهمك أولئك الأشقياء بعداوتي فأظمر الله كيدهم فأنت خصم شريف وقد بلغني ما فعلت فانتعش أحمد آغا وقال له أنا لست عدواً لإبراهيم باشا ولكنني صديق السلطان والآن تشرفت لدعوة الباشا لضيافتي في نابلس فلما سمع باسم نابلس ظهر على وجهه الغضب وقال لقد أبحث نابلس لجيشي لانها آوت قاسم الاحمد وأولاده الأشقياء ولن أدخلها ما لم تحرث بسكة الفدان فقال له أحمد آغا أنا أول من يهدم بيته بعد أن يتشرف

³¹⁵ أما الشيخ سليمان عبد الهادي فقد خرج من نابلس الى عكا فاخبر اياه وبقي في عكا وكيلا عن أبيه الذي انضم بجموعه لإبراهيم باشا لاختتام الثورة

³¹⁶ اصبح جيش إبراهيم باشا موزعاً في سوريا وكليكية التي اعطاها له السلطان بعد صلح توسطت فيه دول أوروبا

³¹⁷ تعرف اليوم بقرية العناب وهي غرب القدس وملك الى أبي غوش شيوخ اليمن في تلك الجهة .

بزيارتكم ونساء نابلس أخواتك ورجالها إخوانك فافعل بعرضك وأهلك ما تشاء ، فأطرق ابراهيم باشا ملياً ثم رفع رأسه وقال بشهامة : ((هي لك يا أحمد آغا³¹⁸)) فسرَّ أحمد آغا بهذا الجواب ودعا له بالنصر والتوفيق ، وبعد أن اتفقا على موعد الدخول لنابلس انصرف أحمد آغا ممتناً شاكراً .

قدوم ابراهيم باشا لنابلس

كانت نابلس البلدة الوحيدة التي نجت من غضب ابراهيم باشا ، لأنه كان شديد الغضب قوي الإرادة ، فقد هدم في نجد : الوشم ، والجبيلة ، والعينية ، وأجبر سكان الدرعية على هدمها بأيديهم ، وقد أحرق الكرك لأنها آوت قاسم الأحمد وأولاده ، وقطع أشجارها كما سيأتي ؛ إلا أن ابراهيم باشا كان يتصف بميزة عظيمة ، وهي أنه كان فروسيا نبيلاً يقدر النبل حق التقدير فقد اهتز قلبه من كلمة أحمد آغا النمر وقدر موقفه ونبله حق التقدير .

برجوع أحمد آغا النمر الى نابلس أخبر القرى المجاورة للطريق بأن يخرج رجالها ونساؤها وأطفالها يستقبلون جيش ابراهيم باشا بالماء والزاد حسب الاصول المتبعة في ذلك العهد في استقبال الجيش الظافر .

ولما وصل لنابلس بشر أهلها بما حصل وانفق مع وجهائها على خطة التسليم حين قدوم ابراهيم باشا لبلدهم وفي الوقت المضروب وصل ابراهيم باشا الى وادي نابلس ونصب صيوانه في بستان البصة في الجهة المجاورة³¹⁹ لعين بيت الماء ولما بلغ نابلس الخبر توجه وفد علمائها برئاسة الشيخ عبد الرحمن زيد القادري وبعد وصولهم بقليل وصل وفد السباهية على الجباد العربية برئاسة أميرهم أحمد آغا النمر وحولهم الخدم والعبيد والاتباع ولما دخل أحمد آغا النمر على ابراهيم باشا قام العلماء جميعاً وقبلوا يده³²⁰ (حسب اتفاقهم) وقدموه لابراهيم باشا قائلين هذا امير البلاد وأولئك المشايخ الاشقياء خارجون عن طاعته وليس لنابلس بهم صلة وقد طردتهم وأخرجتهم فقال ابراهيم باشا لقد دل عليه شرفه ونبله وإخلاصه وكنت أبحت بلدكم لجيشي ثم وهبتها إليه فأنتم وبلدكم هبة مني لهذا الامير ، فشكروهما وانصرفوا جميعاً آمنين .

³¹⁸ حيث لم تنقل من كلمات ابراهيم باشا إلا هذه الجملة فقد وضعتها بين هلالين -

³¹⁹ هي بجانب الطريق الشمالي العام في غرب الوادي .
- وكذلك كل ما نقل بعينه من الكلام ، وما لم يوضع بين قوسين هو كلام الرواة وعلى هذا النمط سرت بكتابتي في هذا الكتاب كله

³²⁰ لقد كان العلماء فوق الأمراء في المرتبة ؛ إلا أنهم هذه المرة خالفوا العرف مبالغة باحترام وتعظيم أحمد آغا لتتجح وساطته وشفاعته .

بلاغ ابراهيم باشا عن الثورة

فخر المشايخ المكرمين محسونا الشيخ سليمان وكيل مدير ايالة صيدا حالاً قبله بتاريخ ٧ الحاضر أرسلنا لكم شقة مفصلة بخصوص ما صار الى أشقيا جبل نابلوس بقرية الدير والان بتاريخ يوم الثالث الحاضر حضرنا بالاوردو المنصور الى مدينة نابلوس ولدى حلول ركابنا السعيد بها الشقي قاسم الأحمد وأولاده وعياله انهزموا هاربين الى الشرق وحل بهم ما يستحقوه من التأديب وحالاً نصبنا بدلهم ولأجل تبشيركم بختام مصلحة جبل نابلوس حررنا لكم هذا ليكون معلومكم .

في ٩ ر سنة ١٢٥٠

الختم

سلام علي ابراهيم

بلاغ محمد علي باشا عن الثورة

فخر المشايخ المكرمين الشيخ سليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالة صيدا حالاً :

بمرسومنا المقدم لكم قبل تاريخه بيومين عرفناكم عن انتصار عساكرنا المنصورة تحت لواء سعادة ولدنا السر عسكر المفخم على أشقيا نابلوس في قرية الدير وعن تشتت جموع الأشقيا والآن بعض أهالي القرايا طلبوا الأمان وأرسلنا لكم صورة التحريرات الواردة من سعادة ولدنا المشار اليه بهذا الخصوص فبتاريخه يوم الاربعة حادي عشر شهر ربيع الأول حضر لنا تحريرات ثانية من سعادة المشار اليه لتضمن حلول ركابه بالعساكر الظافرة في مدينة نابلوس وأن الأشقيا قاسم الاحمد وعبدالله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور بعد حرايه الدير وتشتت الجموع عنهم توجهوا الى نابلوس من نابلوس أخذوا أولادهم وفروا هاربين وسعادته أوقع الأرصاد لرمي القبض عليهم في أي محل يوجدوا فيه وأن كافة مشايخ وأهالي قرايا نابلوس أفواجا أفواجا يسترحمون الأمان والرأي واعطى لهم فاقترضى افادتكم بذلك وحيث من فضله انتهت هذه المصلحة على خير فبمشيئة الباري صممنا على العود الى الاسكندرية بهذين اليومين كما تقدم لكم التعريف يكون معلومكم والسلام .

في ١١ ر سنة ٢٥٠ من يافا الاربعه

الختم

محمد علي

مطاردة المشايخ وقتلهم

حينما علم الشيخ قاسم الاحمد بما حصل في نابلس خرج وولديه منها وبعد نزول جيش ابراهيم باشا في نابلس قبض على ناصر المنصور الحاج محمد وبلغه ان قاسم الاحمد قد نزل على العدوان في البلقاء فتنبعه بجيشه

وكسر العدوان وأنصارهم بني صخر وقبض على عقيدهم³²¹ الامير دياب الحمود أمير العدوان بعد أن أظهر شجاعة فائقة وتخلص من التطويق ثلاث مرات فدهش ابراهيم باشا به وقدر شجاعته فلم يقتله بل اكتفى بسجنه في دمشق طيلة حكمه في سوريا .

ثم بلغه ان الشيخ قاسم الاحمد واولاده قد ذهبوا الى الكرك فتبعهم وأحرق الكرك بسببهم وقد جاء في أحد كتبه عنها (وحرقتا مدينة الكرك بالنار وقطعنا أشجارها حتى لا يعود أحد يسكنها وكذلك القرايا التي في أطراف الكرك أعطيناها تربيتهم) .

ثم ذهب الشيخ قاسم الأحمد وأولاده الى عرب عنزة فسلموهم لوالي الشام وقد قبض على باقي المشايخ الثائرين فقتلوا جميعا في دمشق ونابلس وعكا أما أولاد الشيخ قاسم الاحمد³²²الصغار وهم محمود وعثمان وأحمد فقد أرسلوا الى مصر ونشأوا هناك في المدارس العسكرية ونالوا وظائف في الجيش والاسطول ، ولما عادوا لقبوا بالبيكات وكانوا يسمونهم أيام الدولة ومنهم ال قاسم جميعاً وقد مثلوا دوراً مهماً في الحرب الاهلية ودور³²³ الانتقال كما سيأتي .

نتائج الثورة

بدخول ابراهيم باشا سوريا استغنى جبل نابلس عن الثورة على عبد الله باشا وقد تركه ابراهيم باشا لشيوخه فأعطى آل عبد الهادي مديرية صيدا ومتسلمية يافا وأعطى لآل القاسم متسلمية القدس فأصبح شيوخ جبل نابلس يحكمون سوريا الجنوبية كلها وساحل سوريا الأوسط إلا أنهم لم يتفقوا فيما بينهم لأن غلطة آل عبد الهادي أثارتهم وأغاظتهم فناروا ثورة مشلولة فعلبوا ولم يتمكنوا من البقاء في جبل نابلس فاختلفوا وتشردوا فألقي القبض عليهم الواحد تلو الآخر ثم قتلوا جميعا بعد أن أفقدوا البلاد جانبا كبيراً من قوتها وضبط ابراهيم باشا أكثر سلاحها وقد انحلت رابطتها بعد ذلك ووقعت فيها حرب أهلية طاحنة أفقدتها قوتها وعزتها فاستولت الدولة العثمانية على حكومة البلاد تدريجياً ثم دخلت البلاد في دور انحلال أفقدها ما بقي من منعنها ومزاياها كما سيظهر في الباب الآتي والجزء الثالث ..

إبراهيم باشا وأحمد اغا

بعد انتهاء الثورة عاد ابراهيم باشا الى نابلس وصام فيها رمضان سنة ١٢٥٠هـ فأخلى له أحمد آغا النمر القصر الكبير فنزل فيه هو وكتابه وخاصته وقدم له ولده الاكبر عبد الفتاح آغا ليكون أول جندي من جنود البلاد فأدخله جيشه وأعزه ورقاه الى درجة ميرآلاي وكان يقربه ويذكره في كثير من الامور فأطلعه على مسائل كثيرة تتعلق بالمسألة الشرقية وبعد خروج ابراهيم باشا قضى عبد الفتاح آغا عشرين سنة يعمل على جمع كلمة لبلاد وتوجيه قوى أهلها للصلاح والعمران وقضى على دسائس قناصل الدول .

³²¹ العقيد عدد البدو هو القائد

³²² وقد قتل ولده الشيخ محمد والشيخ يوسف

³²³ راجع الباب الاول من الجزء الثالث .

وقد قدر ابراهيم باشا لأحمد آغا النمر موقفه وحكمته فأعاد اليه تيمارته وامارته وألايه وولاه شيئاً على نابلس وناحياتها وأصبح هو مرجع أهالي جبل نابلس في كل شيء وقد أضعف به حدة الشيخ سليمان عبد الهادي.

الزلازل الكبير

حدث في سنة ١٢٣٩ هـ زلزال بسيط وحدث آخر في محرم سنة ١٢٤٦ هـ ثم حدث زلزال شديد في رمضان سنة ١٢٥٢ هـ فتهدمت نابلس وخرج سكانها³²⁴ إلى المغاور والكهوف بعد أن قتل وجرح منهم عدد كبير وكان أكثر الضرر في حارة الحبلية كما يظهر من استعداد أحمد آغا النمر في كتابه لولده عبد الفتاح اغا سنة ١٣٥٣ لإعادة البناء حيث يقول (وأخذنا جانب من الشيدا تمانين كباره) فيدلنا هذا على هدم أكثر دوره وأملاكه وقد ظلت نابلس مدة كبيرة تنن من هول هذا الزلزال وقد نقل أخباره شيوخ عصرنا عن شيوخ عصرهم فكانوا يصفونه مع الالم الى أن حدث الزلزال الاخير .

مصرع الشيخ حسين

تحقق محمد علي باشا حين نزوله في يافا أن الشيوخ إنما ثاروا بسبب ما فعله آل عبد الهادي وقد رأى هو وولده أن نفوذ آل عبد الهادي نما وعظم فتخوفاً إلا أنهما تجنبوا القضاء عليهما علناً لئلا تتكرر الثورة. وقد ظهر تمرد الشيخ سليمان وصار لا يرعوي لاوامر ابراهيم باشا ولا يكثرث بها فكتب اليه يقول (فياهلنرا ايش منتظر فانكان لقول في عقلك انك ابن الشيخ حسين فنحن في المصلحة لا نعرف الشيخ حسين ولا ابنه وأما اذا كان تعتمد على حينا فيه فأنت تبقى مغشوش في ذلك فنحن حينا في الشيخ حسين لأجل صداقته في الخدمة فقط لأن لحد الآن ما حصل منه سوا الصداقة ومن بعد الآن تبقى السبب في تبويطي مع الشيخ حسين ومع بيتكم بأكملة) . وفي سنة ١٢٥٣ وبعد هذا الكتاب مات الشيخ حسين فشك الشيخ سليمان بسبب وفاته التي قيل عنها بالسم فكتب يستفسر عن ذلك من ابراهيم باشا فأجابه بالكتاب الآتي: قدوة الامجد الشيخ سليمان صار معلومنا اعراضكم بخصوص وفاة الوالد والحال من المعلوم أن ذلك بأمر الله تعالى مقدرأ محتوم وكل منا داخلاً بعموم هذا القضاء المرسوم فلا يقتضي تفكيركم في هذا البحث إذ جميعنا بند كان ولي النعم الخديوي الاعظم فالبقية بحياة دولته ونسأله تعالى دوام بقاءه وأعطاه العمر الذي لا ينتهي لان ذلك هناء العبيد يكون معلومكم

الختم

في ١٧ ب سنة ٥٣ من مصر

³²⁴ راجع الشعر المدني في فصل الشعر من باب اللغة من الجزء الثاني

تمرد الشيخ سليمان ووفاته

عطف ابراهيم باشا على أبناء الشيخ حسين الصغار فخصص لهم راتباً وعين الشيخ سليمان وكيلاً لمديرية أيلة صيدا مع بقاء متسلمية نابلس عليه فوكل فيها الشيخ طاهر الموسى العرابي وقصد ابراهيم باشا بذلك إبعاده عن نابلس وقد أحاطه بجواسيسه فاستمر الشيخ سليمان على تمرده وصار يخالف أوامر ابراهيم باشا علناً فكتب اليه سنة ١٢٥٤ هـ كتاباً جاء فيه (وما هذه الجسارة حتى تنتصر لمخالفة أمرنا بادروا بإحضار³²⁵ المذكورين والا بحياة راس محمد علي العزيز وراسنا الكريم ما تنتظر إلا وقد صدر أمرنا لواحد ميرالاي يتوجه يعدمك بالبلطة خنزير ما كفى بهذا المقدار حتى أنت تقف ضداً لأوامرنا) . ولم يؤثر هذا في الشيخ سليمان بل استمر فنقل الجواسيس عنه بأن يمن بخدماته على ابراهيم باشا فكتب اليه في جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ هـ كتاباً جاء فيه (وتقولوا نحن خدمنا كثير اين خدمتكم يا خنزير الله يلعنكم) فازداد الشيخ سليمان غيظاً حتى صار يحرض البلاد على عدم دفع الضرائب وقد سكت هو ووكيله عن أحمد اغا النمر حينما أعلن الحكم العثماني وقد بقي متسلماً لنابلس الى أن مات في أول سنة ١٢٥٧م فدفن في الجهة الغربية من داره .

اعلان الحكم العثماني

في سنة ١٢٥٥ هـ مات السلطان محمود وتولى مكانه ولده السلطان عبد الحميد فاتفق مع الدول الأوروبية على إخراج ابراهيم باشا من سوريا وقد أرضى دولة فرنسا فكفت عن معاضدته وفي سنة ١٢٥٦ هـ أعلن عزل ابراهيم باشا عن اذنه وعزل والده عن سوريا وأعلن إلحاق سوريا بملكه وصار يعين الحكام والامراء من قبله وقد اعتمد في سوريا الجنوبية على أحمد اغا النمر فعينه مير ألي على أربعة سناجق وهي القدس ، وغزة ، ونابلس ، واللجون (جينين) وأرسل له ضابطين وعلماً وأوامر سلطانية بعزل محمد علي باشا وولده ابراهيم باشا واعلان الحكم العثماني فلم يتردد أحمد آغا في قبول ذلك فجمع الاعيان والوجهاء والزعماء وأعلن ذلك رسمياً في بيته تنفيذاً وامتثالاً لأوامر السلطان ودون مبالاة بابراهيم باشا وبدأ ينظم حكومة البلاد فباشر بألي نابلس ولأنه متفق مع آل عبد الهادي الذين صاروا يرجون الخلاص من الحكم فلم يخبروا ابراهيم باشا.

اجتماع دار القاضي

تخوفت نابلس من عاقبة اعلان عزل ابراهيم باشا فدعا القاضي الشيخ عبد الواحد الخماش والاعيان لبيته ودعوا أحمد آغا لإقناعه بالكف عن عمله وتأخير تنفيذ ارادة السلطان فحاول هو إقناعهم ولما لم يقنعوا تركهم وخرج وبعد خروجه كتبوا عريضة لابراهيم باشا يبينون فيها الواقع ويتصلون من عمل احمد اغا .

³²⁵ هم الجنود المطلوبون والسلاح .

عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا

المعروض للأعتاب السنية السر عسكرية صانها رب البرية يعرض عبيدكم بخصوص احمد اغا حضر لعنده رجل يسمى المرعشلي من سباهية الاسلامبول³²⁶ وعند حضوره أظهر الأفراح بضرب الفناش في بيته في الليل وضرب البارود فيه ليلاً ونهاراً وبعده حضر لعنده ابراهيم أفندي جر نزجس جاويش سباهية الشام من الذين كانوا في الاستانة وبعد حضوره عمل جمعية في بيته من السباهية ووجوه حارته وبعض أناس من أنهم بعد جمعهم أظهر فرمائاً وأعطاه لإبراهيم أفندي المذكور وعند فتحه أمر بقيام الحاضرين وقرأه عليهم بالتركي وبعد قراءته عربيه ابراهيم أفندي المذكور الى الحاضرين مشافهة ، ومعناه : أن أحمد آغا أنعمت عليه الدولة العلية بأن يكون مير أليا على أربعة سناجق وهي سنجق القدس ونابلس وغزة واللجون ، وبعد تلاوة فرمان نشر البيرق في بيته وأمر أتباعه بضرب الشنك وعمل الافراح بالالآت وصباح قراءة فرمان أرسل وأحضر السباهية الى بيته وأعطى لكل شخص منهم بارودة ، وصار يعمل تعليم في كل يوم ، والذي يعلمهم ابراهيم أفندي المذكور وصار أحمد آغا المذكور اذا ركب خارج المدينة أو ذهب الى الحمام يأمر أتباعه بحمل البارود ويمشيهم أمامه كترتيب النظام ، ولم يزل في كل يوم وليلة يعمل الشنك ، وإبراهيم أفندي المذكور أحضر معه فزيطات من الأستانة في الترتيب الذي حصل في الاستانة في مادة التكاليف التي زائدة عن الترتيب سواء كان ذلك طلب أموال أميرية أو نظام وفي كل وقت يأمر أحمد آغا المذكور ابراهيم أفندي المذكور بقراءتهم على الحاضرين عنده في بيته ويتفوه بكلام خارج ومخالف للإرادة العلية ومن كون ذلك وإظهار السلاح مخالف للإرادة الشريفة وعبيدكم مختشين من سطوة دولتكم تعم الجميع وجب علينا تقديم الاعراض لأعتاب دولتكم لأجل يحيط العلم الشريف أن هذه الأمور ما أحد من نابلس داخلاً وخارجاً موافق المذكور على هذه الأمور حتى ولا السباهية مطابقين على ذلك ولا يروحوا الى التعليم إلا رغما عنهم لأنه في كل يوم يرسل أتباعه يحضروهم بالقهر الى عنده لأجل التعليم فما نحن أعرضنا ذلك لأعتاب دولتكم والأمر لمن له الأمر .

في ١٥ ص سنة 56

بنده

بنده³²⁷

عبد الواحد الخماش النائب بنابلس

أحمد أبو الهدى الخماش المفتي بنابلس

بنده

بنده

صلاح الباقاني خادم العلم الشريف

محمد مرتضى النقيب بنابلس

بنده

بنده

³²⁶ أي تحت الاسلام .

³²⁷ بنده اي عبيدكم وهي كقوله العبد الفقير حسب الاصطلاح المستعمل اذ ذاك

بنده

بنده

عبد الرحمن زيد القادري

السيد محمد عبد الرحيم عرفات

بنده

بنده

بنده

السيد محمود يعيش

السيد محمد الاثري الحق

السيد بكر حماد

بنده

السيد مصطفى عاشور الخطيب

اسر احمد آغا النمر ووفاته

بالرغم عن كل ما فعله ابراهيم باشا لأحمد آغا فانه ما يزال يلهج بالثناء على ال عثمان وحكمهم وكان على اتصال تام بالسلطان ووزرائه وقد وردته كتب من الاستانة للفتك بابراهيم باشا حينما يكون في الحمام وهو ضيف في نابلس إلا أن أحمد آغا ابت شهامته ذلك فحفظها عنده ولما وصلت عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا أرسل ألياً قبض³²⁹ على أحمد آغا ولما عاتبه على عمله أبرز اليه الاوامر السلطانية القديمة والحديثة قائلاً كنت ولا أزال مخلصا للسلطان ولم أطع الوزراء على الغدر بكم وانتم في ضيافتي ولكني أطعت السلطان في اعلان حكمه على البلاد فانقلب غضب ابراهيم باشا الى دهشة وقال له اخلاصك يشفع بك واكتفى باعتقاله في عكا ثم أرسل الى مصر واستقر في سنار من بلدان السودان المصري حيث فقد بصره وضعف عصبه من شدة الحر وبهذه الحالة عاد الى نابلس سنة ١٢٥٧ بعد أن تم الصلح بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا فاعتزل الى أن توفي سنة ١٢٦١ فأعلن موته رسمياً في الالوية الجنوبية وأرسلت التواصي للعناية باسرته من بعده ، وهو آخر الامراء العسكر بين النابلسيين إذ قبضت الحكومة مباشرة على ادارة الأمن والجيش في البلاد وهو آخر من خوطب من امراء آل النمر بالسلطان عرفياً .

³²⁸ مات اسعد بك ومصاني بك ولم يبق من البيكات الاسليمان بك طوقان هذا الشاب

³²⁹ ولم يترك ولده عبد الفتاح آغا موقعي المضبطة فقد ضايق الشيخ عبد الواحد الخماش حتى فصل عن القضاء وترك نابلس ونزل في دمشق بضع سنين وتولى القضاء مكانه الشيخ سليمان الخالدي . وكذلك فانه تمكن بشكاياته من نفي سليمان بك طوقان إلى طربزون اثنى عشرة سنة وضايق غيرهما فنقل نقابة الاشراف من ال الحنبلي لال تفاحه فتار لابييه ايما تار .

خروج ابراهيم باشا

أنذرت الدول الأوروبية محمد علي باشا بسحب جيشه وولده من سوريا وانه إذا لم يفعل احتلوا مصر فاضطر على سحب ولده وجيشه فثار لبنان وتخطفت الجند المصري أهالي البلاد ، إلا أن جبل نابلس أكرم مثوهم فقد استوطن الحاج درويش الموصللي أحد أطباء الجيش المصري في نابلس وله ذرية تعرف باسمه الى الان ، وقد احتفى ابراهيم بك اليوسف أحد قواد الهوارية بآل النمر فأكرموا مثواه وفي شعبان سنة ١٢٥٦ هـ انتهى الحكم المصري وعاد الحكم العثماني .

الباب السابع

عصر عبد الفتاح اغا

الفصل الأول

رجوع الاتراك

الحاق نابلس بالقدس

بعد رجوع الاتراك غير التقسيم الاداري لجبل نابلس فجعل جميعه قائمقيه وصار يقال لحاكم جبل نابلس إذ ذاك قائمقام نابلس وجنين .

وجعلت القدس متصرفية ألحقت بها السناجق الجنوبية غزة ويافا ونابلس والخليل وألحقت القدس نفسها لأيلة الشام التي صار يطلق على واليها لقب (المشير) .

وبجعل جبل نابلس جميعه قائمقيه انحصر النزاع في كرمي واحد في الوقت الذي بلغت فيه عشائر الشيوخ كلها درجة الامارة وأصبحت كلها تطمح للحصول على كرسي المتسلمية وقد عين لألاي نابلس أمير غريب ففقد آل النمر الامارة العسكرية وأصبح من الراجح اشتراكهم بالنزاع الاداري . وكان متصرف القدس يساعد على هذا التنزع والتنافس ويقول القنصل فين ان أفنديات³³⁰ القدس استغلوه ووسعوه أيضا .

التعيينات والتقلبات

عين عبد الكريم آغا بن عبد الفتاح آغا النمر وكيلاً لامارة الألاي ونظراً لبلوغ والده عبد الفتاح آغا درجة مير ألاي في الجيش المصري فقد رأى نفسه فوق درجة القائميه فلم يشترك بالمنافسة على القائميه التي صارت مصيدة لامراء وشيوخ جبل نابلس كما سيتبين فقصر عمله على اصلاح احوال اسرته والعمل لإصلاح جبل نابلس والاحتفاظ بقوى الالتزام والإقطاع وبذلك انسحب آل النمر من المنافسة ونظراً لعدم وجود كفاء في آل جرار ولعدم سكانهم في نابلس فلم يتدخلوا وقد شغل آل القاسم بجماعين وبمحاربة ريان فلم يبق معهم وقت للمنافسة فانحصر النزاع بين البيكات (طوقان) وعبد الهادي فبعد موت الشيخ سليمان عبد الهادي صار أخوه الشيخ محمد متسلماً على نابلس فحمود بك عبد الهادي ثم صارت نابلس وجنين قائمقيه يعين لها قائمقام لمدة ثلاث سنين و كان أول القائميين الشيخ محمد صادق³³¹ الريان وعين سليمان بك طوقان باشمحصل لنابلس وجنين وبانتهاء الدورة سنة ١٢٥٩ هـ عين سليمان بك طوقان قائمقاما لنابلس وجنين وعين محمود بك عبد الهادي باشمحصل³³² . وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٢ هـ عين محمود بك عبد الهادي قائمقاماً وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٤ عين سليمان بك طوقان . وفي سنة ١٢٦٦ هـ عزل سليمان بك طوقان

³³⁰ أفنديات القدس. جمع أفندي هكذا كان يقال لوجهاء واعيان القدس لانهم بيوت قضاء وافتاء ونقباء يلقبون بالأفندي كما مرو

كان يضرب المثل بكثرتهم

³³¹ هم من آل العثمان شيوخ جماعين

³³² اي رئيس محصلين او مأمور تحصيل الاموال .

ونفي الى طربزون لاشتراكه بالحرب الأهلية فحل محله محمود بك عبد الهادي وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٩ عين علي بك طوقان وبانتهاء الدورة في سنة ١٢٧٢ عين محمود بك عبد الهادي ونظراً لاشتراكه بالحرب الأهلية واشتدادها في عهده عزل في سنة ١٢٧٥ واعتقل وجعل جبل نابلس متصرفية تابعة لبيروت وعين لها متصرف اسمه صيا بك³³³ وبه انتهى الحكم الذاتي لجبل نابلس وبدأ الحكم الاجنبي والغى الاقطاع وغير النظام الاداري جميعه كما سيظهر في الجزء الثالث .

تدخل القناصل ودسائسهم

منح السلطان عبد المجيد دولة فرنسا حق حماية المسيحيين في ممالكه خصوصاً في سوريا لقاء تخليها عن محمد علي باشا فأصبح قناصلها يتدخلون بالصغير والكبير في سوريا وكذلك صار يفعل قناصل الدول الاخرى وأصبحت الدولة العثمانية دولة قناصل تعمل جهدها لإرضائهم فاقترحوا فصل نابلس عن القدس لاعتقادهم أن أفنديات القدس هم أكبر عامل في توسيع النزاع فجعلت نابلس متصرفية الحقت ببيروت كما مر .

وقد استمال الافرنسيون المسيحيين في الشرق وصارت أصابع فرنسا تلعب في كل جهة لإحداث الفتن ضد النصارى وتحركت روسيا وادعت حق حماية الأماكن المقدسة وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية فانتصرت لها فرنسا وبريطانيا وسردينيا وكسروا روسيا في شبه جزيرة القريم. وفي تلك الأثناء ساءت حالة سوريا وكثرت فيها الدسائس فحاول القناصل إيجاد فتنة في جبل نابلس فاطفاها عبد الفتاح آغا النمر ثم حاولوا ذلك في دمشق فنجحوا بعض النجاح وهجم الدروز على دمشق من ناحية حي الميدان فردهم صالح آغا المهاني أمير الميدان فتحولوا الى لبنان وذبخوا النصارى فحصلت حادثة سنة ١٢٦٠ المشهورة وقد ثارت أحياء دمشق فذبخت النصارى فتدخل الامير عبد القادر الجزائري³³⁴ والشيخ محمود حمزة فوقفوا المجزرة بمساعدة صالح آغا وسليم آغا المهاني ثم احتلت فرنسا بيروت ولبنان ودمشق فأسرع فؤاد باشا الصدر الاعظم الى دمشق وأخمد الفتنة وأعدم مئة موظف ووجيه من مثريها وأرضى القائد الافرنسي فانسحب .

حزم عبد الفتاح آغا وشهامة النصارى

في سنة ١٢٧٢ هـ وسنة ١٨٥٧ م نزل في نابلس سائح انكليزي ، فمكث ثلاثين يوماً يدرس حالة البلد ويتجول في أطرافها ، وفي كل يوم يذهب الى السراية ومعه بعض الحراس من النصارى الوطنيين ولم يعرف أحد غرضه ولا سبب نزوله ، فحامت حوله الظنون وتحمس أحرص اسمه موسى الهموز وهجم عليه وهو في طريقه الى السراية فرماه الحارس وقتله فلجأ السائح الى القائمقام في السراية ولجأ الحراس الى دور النصارى فثارت نابلس ، وخرج العلماء يصيحون : الله أكبر ! النصارى ذبحوا المسلمين فهاجت نابلس وماجت وأرادوا ذبح السائح والحراس ، ففريق هاجم السراية وربط فيها وفريق هاجم دور النصارى فحطموا أبوابها ونوافذها وقتلوا نصرانيا اسمه سعيد قعوار ، وكان

³³³ أصله من مصر

³³⁴ هاجم الافرنسيون الجزائر في عهد نابليون الثالث

القائمقام محمود بك عبد الهادي فلم يقو على تهدئتهم وفي تلك الأثناء بلغ عبد الفتاح آغا النمر³³⁵ الخبر فاضطرب وكان ابراهيم باشا قد أطلعه على الشيء الكثير من نوايا الدول الأوروبية للشرق والدولة العثمانية ، فصاح برجاله : ضاعت البلاد وخرج بهم الى السراية فحذر الناس من عاقبة قتل السائح وتعهد بدم المقتول ، فهدأ الناس وتفرقوا وأرسل السائح محروسا الى ميناء يافا وأخذ به أتباعه وصلاً من الباخرة التي نزل فيها متوجهاً نحو بلاده وفي نفس الوقت الذي ذهب فيه الى السراي توجه عبد القادر آغا النمر وباقي شبان آل النمر ومعهم رجالهم بالسلاح فحاولوا دون قتل النصارى وردوا الناس عنهم وأتوا بهم محروسين الى دورهم وحيهم وبقي فريق من رجال آل النمر يحرسون دورهم ، فتعهد عبد الفتاح آغا للنصارى بأن يدفع لهم ضعف ما خسروه وأن يحميهم ، وأخذ عليهم العهد بأن ينكروا كل شيء فيما لو سألهم قناصل الدول عما أصابهم .

وبعد أيام جاء قناصل فرنسا وانكلترا وروسيا وسردينيا (إيطاليا) وسألوا النصارى في نابلس عما حصل فأنكروا وقوع أي عدوان عليهم فعاد القناصل بخفي حنين .

الفصل الثاني

الحرب الأهلية

حكمة عبد الفتاح آغا النمر ومنزله

عبد الفتاح³³⁶ آغا هو ابن أحمد آغا النمر المار الذكر ، وأمه الست يمن³³⁷ بنت حسن آغا النمر نشأ هادنا رضيعاً مديراً ، فاشترك منذ نعومة أظفاره مع أبيه بتدارك شؤون أسرته التي كانت على وشك الانقراض فعقدت عليه الامال وقال فيه الشاعر النابلسي³³⁸ :

أتى الأيام والأيام غضبى فأحدث في مياسمها افترازا
بصهوة مهرة طلب المعالي وقبل فطامه لبس الوقارا
وأصبح للعلی بطلاً كريما فأولدها المحامد والفخارا

وبعد ثورة شيوخ جبل نابلس قدمه والده لإبراهيم باشا ليكون أول جندي من جبل نابلس في جيشه فسكن به غيظه ، وقدر ابراهيم باشا عبد الفتاح آغا فرقاه في جيشه الى أن بلغ درجة ميرالاي وقربه وأطلعه على كثير من أسرار السياسة العالمية ، فكان ذلك دافعاً له على اليقظة الدائمة والاهتمام بعلاقات الدول الأوروبية والسهر على دسائس قناصلهم .

³³⁵ امبراطورهم فقاوهم هذا الامير خمس عشرة سنة ثم اضطر على التسليم فاسر ثم اطلق فاختر سكني دمشق

³³⁶ هو جد مؤلف هذا الكتاب لابييه

³³⁷ راجع ترجمتها في فصل النساء من الجزء الثاني

³³⁸ راجع الشعر المدني في فصل الشعر من الجزء الثاني.

وبعد خروج ابراهيم باشا عاد لنابلس وكان أبوه أسيراً في السودان فانتبه لشؤون أسرته فأصلحها ورمم ما تداعى من بنيانها ثم انفجرت الحرب الأهلية بين جرار وعبد الهادي وبين القاسم وريان ، وكثرت دسائس متصرفي القدس فاجتنب وظائف الحكومة ولم يسع إليها ، وأنفق عشرين سنة من عمره يحاول إصلاح المتحاربين والمتخاصمين فوق بعد جهد كبير الى نصره أنصاره وخذل خصومه وقد عظم شأنه وعظمت شقة رجال الدولة به بعد حادثة النصارى ، فأصبح مرجعاً لجميع الشؤون كما يظهر من الفقرات الآتية ، فقد جاء في كتاب الشيخ محمد السليمان شيخ الجرادات اليه ما يأتي : (بلغنا أن الاخوان الكرام عايلة جرار حضروا لطرفكم فالمأمول من سنيكم الإفادة الشافية عن حضور المذكورين وخلافهم للاطمئنان والأمل دايماً بذل الجهود واشهاد الهمة بهذا المواد وعدم السهو عن الترقبات بكامل الأمور حيث أن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، وجنابكم صرتم مقلدين بالجميع وغيرتكم على رؤوس الأشهاد ومهما بدا من مكارب الوجوه فهو عايد على حضرتكم كذلك من قبله توجه لطرفكم أحمد آغا³³⁹ ومن يوم توجه لم حضر لنا من جنابه إفادة فالأمل تفيدينا عن كامل ما هو حادث بطرفكم) وجاء في كتاب آخر موقع من شيوخ آل جرار وهم : قاسم آغا الداود ، وأحمد آغا اليوسف ، و ابراهيم آغا المحمد والموجب لرقم أحرف المودة أنهو بلغنا أن سعادة أفندينا الوالي الموعظم قريب يشرف محلنا طرف جنابكم فنزغب من الخوة الصادقة حيث اجازير واحد واصالح واحد منا بلغكم الخبر الأكيد أتفيدينا لأجل الافاده بتقبيل أنك سعادتهم هاذه ما لزم افادتكم والله يحفظكم) . ولما عين علي بك طوقان كتب اليه متصرف القدس كتاباً جاء فيه (وحيث وان يكن محقق عندنا حدة الحال بينكم وبين علي بك المومى اليه الآن حيث أنوجدتم في نابلس من أرباب الكلام وذوي التعقل المقيددين في صداقة الدولة العلية الذين يرغبون دائما المباهاة بخدمة الدولة العلية بالاستقامة فالمأمول أن تكونوا مع علي بك المومى اليه يدا واحدة وقلباً واحداً لا يلزم لحميتكم مزيد الإشراف والتأكيد بهذا الخصوص)وما زال عبد الفتاح اغا يعمل على شل الحرب الأهلية حتى أصلح بين آل عبد الهادي وال القاسم ونفى أكثر مثيربها ، واحتفظ بصلته مع فريق من آل جرار فسارت الحرب الأهلية متناقلة ، ثم انحصرت في جهات محدودة الى أن قضى عليها وقد أبقي عبد الفتاح آغا النمر قواه الخاصة للنجدة ولم يشترك اشتراكاً فعلياً ورغم اتصاليه واشتراك جموعه بأكثر المواقع فإنه لم يتدنس اسمه ولم يتورط بشيء من جرائمها وعلى الرغم من أن الانقسام وقع . بين أحلافه وأنصاره فقد وفق لإنقاذ جميع أنصاره والقضاء على بعض خصومه وإضعاف البعض الآخر ، ثم كاد له المتصرف ضيا بك ، ففاز عليه وضربه ضربة كان فيها العبرة لمن أتوا بعده من الحكام والرؤساء الغرباء ، ثم التف أمراء وشيوخ البلاد حوله فصالحهم وأصلح بينهم ، فاجتازت البلاد دور³⁴⁰ الانتقال بهدوء واستقرار .

سبب الحرب الأهلية

اتهم الشيخ عبد الله الجرار الشيخ حسين عبد الهادي بتحريض الوالي على هدم صانور فحقد آل جرار على ال عبد الهادي واشترك الشيخ عبد الله بالثورة على ابراهيم باشا وال عبد الهادي فهدمت أسوار صانور وقتل الشيخ عبد الله ، فتضاعف حقد آل جرار على آل عبد الهادي ، وقد شاركهم بالنقمة والثأر أكثر عشائر البلاد التي قتل شيوخها بعد الثورة في الحكم المصري ، وبعد خروج ابراهيم باشا بدأ دور الثأر والانتقام ، وصار آل جرار يهاجمون آل عبد الهادي في

³³⁹ هو أحمد آغا ابن يوسف ابن الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار

³⁴⁰ راجع هذا الدور في الجزء الثالث .

الشمال . ووقع الخلاف بين آل ريان وال القاسم ، ف وقعت الحرب بينهم في الجنوب ولأن الشيخ عيسى البرقاوي والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد أنصار البيكات قد قتلوا في الثورة ولأن الشيخ سليمان عبد الهادي ضايق البيكات في الحكم المصري ، فقد وقعت العداوة بين البيكات وال عبد الهادي ، وقد عدَّ البيكات وقوع الانقسام بين أنصار ال النمر فرصة سائحة لا سيما بين جرار و عبد الهادي وبين القاسم وريان ، فاشتركوا بالحرب الأهلية وترأسوا خصوم آل عبد الهادي فانضم اليهم ريان وجرار .

وكان ال النمر شديد الحرص على إصلاح ذات بين ال جرار وال عبد الهادي أصدقائهم ، فعمل عبد الفتاح اغا النمر جهده لتخفيف حدة الخلاف ، وانتصر لال جرار ، فسعى لنفي الشيخ محمد الحسين ، ويوسف السلیمان الى طربزون ، ولما هرب الشيخ محمد الحسين من طربزون عاد يعمل لإبعاده ، فسلم أحمد آغا الجرار عرائضه وكتبه لعلي بك طوقان ، فانقلب عبد الفتاح آغا وساعد آل عبد الهادي ، فانفتح باب الفتنة على مصراعيه ودارت رحى الحرب الأهلية الطاحنة في جميع نواحي جبل نابلس كما سيتبين .

المعارك الأولى

هاجم البيكات (طوقان) بجموعهم ال عبد الهادي في الشعراوية الغربية ، فقاومهم آل عبد الهادي وأنصارهم الهناتشة والجيايسة ف وقعت معركة زيتا الشعراوية التي غلب فيها البيكات وارتدوا على أعقابهم ، ولما بلغ سليمان بك طوقان الخبر وكان قائمقاما على نابلس أنجدهم وألقى بنفسه على بلاطة³⁴¹ زيتا ، وأقسم بأنه لا يقوم ولا يتحول إلا غالبا أو مقتولاً ، فتحمست جموعه وكسرت جموع آل عبد الهادي ، وقتل عبد الله بك طوقان من الهناتشة سبعة عشر رجلا وكانت جموع وادي الشعير الشمالي وقرى نابلس بقيادة الأحفاد تحاصر ذنابه ، فتحول البيكات لانقاذها ، ولما حاول مصطفى بك طوقان مهاجمة برقة ومضايقة الأحفاد قاومه سعيد آغا طوقان بجموعه ، فارتدوا عن برقة ، وعاد الأحفاد الى مهاجمة آل سيف في ذنابة .

اصطدام عبد الفتاح آغا بسليمان بك

كان الأحفاد سوراً مانعاً يحول دون اتصال ال جرار بباقي صف طوقان ، فظل آل جرار في عزلة وظل آل عبد الهادي آمنين من غارة صف طوقان من الجهة الشرقية والجنوبية ، وكان آل أمر في عنتنا ضد الجيتاوية ، فيحولون دون الغارة من وادي الشعير الأوسط وكان آل النمر يمدون الأحفاد بجموعهم الخاصة ولا يمكنون البيكات من مهاجمتهم فاغتاظ سليمان بك طوقان من آل النمر ، وكتب بصفته قائمقام نابلس الى متصرف القدس يتهم عبد الفتاح آغا النمر بتوسيع الشقة بين الأحفاد وال سيف ، وأنه السبب في الحيلولة دون صلحهم، فبدأت الشكايات بينهما .

³⁴¹ هي صخور جوار زيتا تسمى بلاطة زيتا .

كتاب متصرف القدس لعبد الفتاح آغا

قدوة الأماثل والأقران عبد الفتاح آغا النمر إنه الآن بلغنا بأنه توقع مشاجرة بين أشخاص من حاملولة دار سيف وبين حاملولة الحفاة في وادي الشعير ولأجل ذلك ظهرت المباينة من بعض أطراف وصايرة الموافقة بالأسلحة تجاه بعض وقد استغربنا هذا المسموع لاسيما بلغنا أن المباينة اتصلت بكم ومن حيث معتقد عن دنا حسن تعقلكم واستقامة صداقتكم الدولة العلية فيالوجه لا يؤمل توقعوا ذاتكم تحت أدنا مسؤولية من الدولة العلية ومأثورنا أيضا أن غرس الصداقة التي لكم للدولة العلية نشاهد ثمرته بملاشاة ساير المواد والاسباب الموجبة نزاع أحد من أفراد رعايا الدولة العلية داخلاً كان أو خارجاً فلذلك المأمول بحال وصوله اذا كان هذا المسموع صحيحاً حالاً تلاشوا مقدمات وأسباب المنازعات المودية لسلب راحة الأهالي إذ ذاك بالوجه لا يوافق رضى الدولة العلية وتهتموا الآن تظهروا بهذا المعنى ثمرة استقامتكم وصداقتكم لنا وتفيدونا وتخبرونا لا يلزم لكم مزيد الإشراف بهذا الخصوص

متصرف قدس

شريف ادهم

في ١٩ ل سنة ٦٦

نفي البيكات الى طربزون

لم يكن عبد الفتاح آغا النمر يفكر بمنأوة البيكات لولا شكايتهم عليه فلما وصله كتاب المتصرف ركب الى القدس ، وأخبره بمعارك البيكات في المغاريب ، فكتب المتصرف يخبر محمد رشدي باشا القبرصي والي الشام ، وكانت الحرب الأهلية في الخليل دائرة بشدة فحضر محمد رشدي باشا بحملة عسكرية الى متصرفية القدس وبعد التحقيق ثبت له هجوم البيكات على الشعراوية واشتراك سليمان بك القائمقام بالذات فيها فقبض على سليمان بك طوقان ، وعبد الله بك طوقان ، ومصطفى بك طوقان ، والحاج ابراهيم البرقاوي ، والشيخ محمد الصادق الريان ونفاهم الى طرابزون³⁴² ، وحقق فيما بين آل عبد الهادي وآل جرار فقبض على محمد أفندي الحسين ويوسف أفندي السلیمان ، ونفاهم جميعاً الى طربزون وظلوا فيها الى سنة ١٢٨٠ فتزوج بعضهم هناك وبعضهم هرب ، فعادت الحرب الاهلية وانفجرت مرة أخرى .

الحرب بين القاسم وريان

انتقل آل ريان العثمان³⁴³ الى الجهة الغربية من جماعين ، وسكنوا في مجدل يابا ، ولما اثار آل القاسم على ابراهيم باشا ، لم يثوروا معهم ، وبعد الثورة أصبحوا شيوخاً على جماعين كلها ، ولما عاد محمود بك القاسم وأخويه أحمد بك وعثمان بك من مصر - بعد خروج ابراهيم باشا - طالبوا بحقهم في جماعين فأعيد لهم النصف الشرقي ، وبعد نفي الشيخ محمد الصادق الريان استولوا على جماعين كلها ولما تعين علي بك طوقان قائمقاما نابلس تمكن موسى آغا وسليمان آغا الريان بواسطته من رشوة متصرف القدس بمبلغ سبعة وأربعين ألف قرش فأعاد لهم النصف الغربي من جماعين ،

³⁴² هي مدينة في بلاد الكرج على ساحل البحر الاسود

³⁴³ راجع بحث بني غازي وعشائر الجنوب في فصل عشائر جبل نابلس .

وأعطى النصف الشرقي لموظف من قبله ، وحرّم آل القاسم منه فنّار آل القاسم وطرّدوا الموظف وهاجموا آل ريان في النصف الغربي ، فوقعت الحرب بينهما .

واقعة دير استية وإنقاذ آل القاسم

أعاض متصرف القدس ما فعله آل القاسم بموظفه وبآل ريان فأمد هؤلاء الذين وعدوه بالقبض على آل القاسم وأنهم سيأتونه بهم صاغرين فتضايق آل القاسم واستنجدوا بعبد الفتاح آغا النمر ، فأمدهم بجرود على رأسها عبد القادر³⁴⁴ آغا النمر ، فأدركهم وهم محصورون في دير استية وهم في منتهى الضيق ، فأنقذهم وأتى بهم الى نابلس ، لأن جموعهم لا تستطيع مقاومة آل ريان الذين يمدّهم صف طوقان ومتصرف القدس فنزلوا ضيوفا على آل النمر في حيهام الحبلّة وبقوا فيها سنتين .

صلح آل القاسم وآل عبد الهادي

استطاع عبد الفتاح آغا النمر إقناع آل القاسم بأن ابراهيم باشا هو الذي قتل الشيخ قاسم الأحمد ولديه وأنهم قتلوا في الشام ، وأن الشيخ حسين عبد الهادي وولده الشيخ سليمان قد ماتا ولم يعد لهما عند آل عبد الهادي حق ، وهم اليوم جالون عن قراهم ، وإن ظلوا متفرقين ومتباغضين هم وآل عبد الهادي فسيقضى على الصف جميعه ، لأن قواه الخاصة لا تكفي لكف الأذى عنهم ، وكذلك أقتنع آل عبد الهادي فتصالح الفريقان وتناسوا ما بينهم من الأحقاد وانتقوا على العمل متحدين وكان ذلك حوالي سنة ١٢٧١ هـ .

رجوع محمد الحسين وغلطة أحمد اليوسف

هرب محمد أفندي الحسين من طربزون وصار يهاجم آل جرار ، واشتبك آل جرار مع الحفاة فوقعوا بين خصمين ولم يعد بمقدور البرقاري وسيف مهاجمة الحفاة فاستنجد آل جرار بعبد الفتاح آغا ليساعدهم لدى متصرف القدس للقبض على محمد أفندي الحسين ، فأنجدهم عبد الفتاح آغا وكتب لمتصرف القدس ولوالي الشام يطلب القبض على محمد أفندي الحسين ، وكلف آل جرار بالصلح مع آل عبد الهادي والحفاة وحذرهم من بذل أموالهم للحكام فداخلهم الشك في نواياه واعتقدوا بميله لآل عبد الهادي ولما ذهب علي بك طوقان قائمقام نابلس إذ ذاك الى جبع للبحث معهم بخصوص الخلاف الواقع بينهم وبين الأحفاة ، أطلعه أحمد آغا³⁴⁵ اليوسف الجرار على صور العراض والشكايات ومكاتيبه لهم ، فجاء بها علي بك الى نابلس وأطلع عليها القاضي والمفتي والنقيب وسائر أعضاء المجلس³⁴⁶ ، فاتهموا أحمد آغا الجرار بتزويرها ومزورها وكان عبد الفتاح آغا في القدس يساعد آل جرار ، فكتب له عبد القادر آغا النمر عما حصل وبنبها

³⁴⁴ هو جد مولف هذا الكتاب لأمه .

³⁴⁵ أحمد آغا هو ابن يوسف ابن الحاج أحمد آغا اليوسف المار الذكر

³⁴⁶ تشكل بعد الحكم المصري مجلس اسمه مجلس الشورى سيأتي الكلام عليه في باب الحكومة من الجزء الثاني .

لال جرار ، ويطلب منه حفظ كتبهم ، فأجلى هذا الكتاب السبب في انقسام آل جرار ووقوع العداوة بينهم وبين آل النمر ، وفيما يلي صورة الكتاب المذكور :

كتاب عبد القادر آغا لعبد الفتاح آغا

سني الهمم الوالد الافخم أفندم دام بقاءه بعد تقبيل أياديكم الكرام نعرض لحضرتكم بأنه تقدم أرسلنا لكم تعريف كافي عما توقع ثم تقدم قبله بيومين ثلاثة توجه علي بك الى جبع لأجل إتمام مواد بيت جرار بمساعي أوادم الشعراوية واستقام ليلتين في جبع وحضر لهذا الطرف فظهر من اجتماعه مع أحمد اليوسف فكابن المذكور ناقل صورة الاعراضات حرفياً وعند اجتماعه في المذكور سلمهم الى علي بك والمذكور عند حضوره أظهر ذلك في المجلس فانظروا لهذة الأفعال القبيحة الذين لم تقع إلا من الدموية³⁴⁷، فيحسب ذلك ظهرت خيانة المذكور وهذا الذي حصل لا بأس به حيث اتضح لنا أن المذكور لم هو أصحيح فيياكم إن كاتبكم تطلعوه على سريرتكم بل تكونوا في غاية الحذر منه ولم هو لازم مناقضته بذلك بل تخلوه على عقله ووعماه بخصوص كتبه الذين أرسلناهم لكم فتحفظوهم كونهم تحت ختمه ولا بد يلزم الأمر لهم وهذا ما حدث اعرضناه وأدام الله بقاءكم .

عبدكم

عبد القادر النمر

في ٤ ح سنة ٢٧١

ثم تقدم حرزنا لكم صحبة فرج من طلوع علي بك جبع بأنها على غير فائدة له منهم والحال نهار تاريخه ظهر لنا ذلك الشرح المحرر أعلاه وبسطه منه علي بك في المجلس فما صدقنا ذلك حتا أننا أرسلنا الشيخ سفيان لحضرة الوالد نقيب أفندي فجاوبنا بصحة ذلك فالمراد تكونوا على بصيرة من أحمد ومن قاسم لأن الاثنتين في غاية النبال³⁴⁸، ودام بقاءكم والمكاتيب الذين كنا خاطبنا بها المذكورين فسلمهم الى علي بك ، يكون معلومكم ذلك .

الختم

يا سبيل الستر عبد القادر النمر

³⁴⁷ اي الذين لهم ثأر ودم وهذه الكلمة تعبر عن منتهى الغيظ والألم .

³⁴⁸ اي التلون .

الحرب بين آل جرار والموقف الحاسم

كان عبد الفتاح آغا النمر يأمل أن يتوفق للصلح بين آل جرار والهادي كما توفق للصلح بين آل القاسم والهادي ، ولما حدثت هذه الحادثة وتأكد محاولة أحمد آغا اليوسف توريثه قطع صلته بالجرار وسند آل عبد الهادي ، فتبدل الموقف بالكلية ، وقد كان لهذه الحادثة أثرها في جبل نابلس ولاموا ال جرار فانقسموا على أنفسهم فريق منهم مع أحمد آغا اليوسف وفريق عليه ، ثم اتسع الخلاف فأدى الى استعمال السلاح والحرب بين الفريقين ، فاستنجد فريق بآل عبد الهادي وال نمر ؛ وفريق بآل طوقان والبرقاوي ، ودخلت المسألة في دور حاسم.

تصدع صف³⁴⁹طوقان (اليمن) وتمزقه

بانقسام آل جرار ضعف صف طوقان في الشمال وكان ال منصور الحاج محمد قد تخاصموا مع بني شمسه فوقعت بينهم دماء اضطرت ال منصور الحاج محمد بعدها الى الجلاء عن بيتنا وظلوا مع البيكات (طوقان) ضد ال عبد الهادي ولأن سعيد آغا طوقان نشأ بين الحفاة في الناقورة اقطاع ابيه اسماعيل³⁵⁰آغا طوقان فقد انتصر للحفاة ضد البيكات وقاومهم من اجلهم وقد انضوى تحت لوائه فريق من نابلس في الاحياء الغربية ومن بورين وحره وكفر قليل وانضم اليهم بنو شمسة وحمائل عقربا من انصار البيكات الذين خجلوا من الانضمام لصف النمر رأسا فكانت هذه الضربة خسارة كبيرة وتصدع كبير في صف طوقان وكان ال عبد الهادي والخماش وزيد والجوهري كونوا كتلة في الاحياء الغربية فانثلت واضطر علي بك على لزوم بيته لفقدانه القوة الخاصة ولعدم قدرته على قيادة صفه وبذلك اصبح صف طوقان (البيكات) كتلاً متفرقة بلا رئاسة عامة كما يلي :

البرقاوي - ومعهم الثلث الغربي من وادي الشعير وينضم اليهم الجيتاوية في عنبتا وبعض وادي الشعير الاوسط وكانوا جميعا يسيرون مع جموع البيكات الخاصة ، وبعد نفي البيكات الى طربزون اصبحوا ينضمون الى جموع ريان

ريان - ومعهم النصف الغربي من ناحية جماعين وال فارس في مردا وال غرة في سلفيت والنزال والشريم وداود في قفيلية والمصاروة في الطيبة ، وكان قائد الجميع الشيخ الخفس من ال شايب الفارس .وينضم اليه ال قمير في كفرقوم

جرار - (اليمن) ولهم نصف بلاد حارثه ثماني عشرة قرية من جبع الى طوباس وينضم اليهم الرشيدات في صير والجرادات في السيلة الحارثية والصورة في دير الغصون وقفة في عنزة وبعض عشائر في الشعراويتين والصوافنة في طوباس وكل طولزه عدا الدبابسة ، ونصفي ياصيد وطمون، وكان مركزهم جبع ومعهم من ال جرار سكان برقين

³⁴⁹ راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني

³⁵⁰ و اسماعيل آغا ابن عبد الله آغا ابن اسماعيل آغا ابن احمد آغا ابن ابراهيم آغا جرجي طوقان المار الذكر ، اصبح لهم اقطاع الناقورة بعد تنظيم الاقطاع سنة ١٢٤٢ .

وميتلون آل منصور الحاج محمد - نزلوا في تلافيت وجالود والمغيرة وقصرة وانضمت اليهم بعض عشائر الفلاحين ، وكانوا يتعاونون مع بدو الغور المجاورين لهم من المساعيد وعباد ، وكان عقيدهم الشيخ خليل الناصر ومركزهم جالود وتلافيت

البدو - وهم الصقر ، وعباد ، والهنادي ، والمساعيد ، وابو كشك³⁵¹.

اشتداد صف النهر (القيس) وتغلبه

كان عبد الفتاح اغا النمر في حيرة حينما نشبت الحرب الاهلية لان صلة آل النمر بال جرار وآل عبد الهادي اصبحت متساوية وقد شق عليه ما وقع بينها فلم ينصر فريقا على الاخر ولم يمهه وبذلك تخرج موقف آل عبد الهادي ، وغلب آل القاسم واضطر عبد الفتاح آغا النمر على الاستجداد بقوة والي الشام فأتى رشدي باشا القبرصي بحملته وقبض على مثيري الحرب ونفاهم إلى طربزون . ثم هرب محمد افندي الحسين فعاد عبد الفتاح آغا يطلب القبض عليه ، ويعرض على ال جرار وال عبد الهادي الصفح . ولما سلم احمد اغا اليوسف كتبه لعلي بك طوقان تغيير الموقف وترك عبد الفتاح اغا ال جرار ونصر ال عبد الهادي وذهب التردد وحل محله الحزم وكانت قوى ال النمر متوفرة ولعدم وجود قوة خاصة ورئاسة صف اليمن (طوقان) فقد نجت نابلس من الحرب في شوارعها وتحولت قوة القيس (النمر) الخاصة للنجدة وبقي عبد الفتاح آغا في نابلس يدير حركة الصف كلها في الجهات الاربع وولى قيادة القوة الخاصة لابن عمه عبد القادر اغا النمر وقد ابقاه وقواه للنجدة ونظم قوى صف القيس وهي الاتية :

الجرود الخاصة : (أ) حارة الحبلية : وفيها مائة عشيرة وفدائية ال النمر واتباعهم وسباهيتهم وتقدر جرودها إذ ذاك بألف بوارى يكونون تحت الراية في ساعة واحدة حالما يقرع الطبل .

(ب) المشاريق : وفيها الدويكات في بلاطة وعسكر وروجيب وبيتا وفيها كنعان العامر في كفر قليل ، وفيها جميع اهالي عورتا ما عدا الشرابية ، وفيها الخموس في حوارة .

(ح) جورة عمرة : وفيها الشتويات في كفر قدوم وجبارة في قرية حجة وبعض عشائر في تل وصرة وبورين .

(ع) القرى الشمالية : وهي جميع عصيرة والدبابسة في طولوزة والضراغمة في طوباس ونصفي طمون وياصيد .

(هـ) القرى الغربية - وهي : زواتا ، وبيت اييا ، وبيت وزن ، ودير شرف ، وبعض رفيديا ؛ ال عبد الهادي - ومعهم الشعراويتان الشرقية والغربية وعدد قراها خمس واربعون قرية وينضم اليهم الزيود في السيلة الحارثية وال الطاهر في يعبد والهناطشة في قاقون .

351 اصلهم من مصر و كانوا ينضمون لابي غوش في جبل القدس وفي بعض الاحيان ينضمون لصف طوقان في جبل نابلس ويقول القنصل فين انهم رغم قلة عددهم استطاعوا ان يجعلوا لهم أهمية في هذه الحرب .

الجبايسة - ولهم الاربع والعشرون قرية المعروفة ببني صعب ، وينضم اليهم ال رضوان في عزون وزيد في قلقيلية وكانت تنضم اليهم بعض عشائر الجنوب في بعض الاحيان كجبارة ومن ينضم اليها ؛ الاغا طوقان - ومعهم بعض الاسر في احياء نابلس الغربية ، وبنو شمس في بيتا وحمائل عقربا وال منصور في كفر قليل وبعض بورين .

وكان هذا الفريق بقيادة سعيد اغا طوقان ينتصر للحفاة مستقلا لا سيما في الدور الأول³⁵²

الاحفاة - ولهم الثلث الشرقي من وادي الشعير وينضم اليهم ال اعمر في عنبتا وانصارهم في وادي الشعير الأوسط . وكانوا حاجزاً بين ال جرار وانصارهم من صف اليمين وهم كتلة قوية مخلصه . ال القاسم - كانت معهم جماعين الشرقية وفيها اثنتا وعشرون قرية وكانت تنضم اليهم حامولة خلف في رنتيس اقوى عشائر جماعين الغربية وكان ال ريان يقولون (متى فكت خلف بند العباة بتنا آمنين) أى متى استراحت خلف وتركت الاستعداد للحرب كانوا يطمنون .

ال احمد الحاج محمد - ومركزهم بيت فوريك ، وينضم اليهم ال عبد الجليل الكنعان الحاج محمد في بيت دجن وجوريش ، وينضم اليهم ال سعادة الحاج محمد والإبوم في قريوت ، وعشائر الفلاحين في القرى المجاورة ، وتمتد من جبل القدس الى وادي الباران ، وكانوا في اكثر الاحيان ينضمون لجرود آل النمر الخاصة ، وكان شيخهم صباح الصبيح بن احمد الجابر الحاج محمد .

جرار (القيس) - مركزهم صانور ولهم نصف بلاد حارثة الشمالية من بيت ياروب - على طريق جينين - الى بيسان ، وكانت معهم جينين وبيسان .

البدو - وهم العدوان واحلافهم الصخر والفريجات³⁵³ ثم (الغزاوية) التياها .

وكانت هذه الاقسام تنقسم الى اقسام فرعية متعادية ليس بالوسع تعدادها لكثرتها وصعوبة تقسيمها .

سير الحرب في دورها الأخير

خلص آل النمر من ترددهم بين جرار وعبد الهادي ، وصمموا على إنهاء الحرب الأهلية ونصرة أنصارهم في جميع النواحي ، فسارت الحرب في دورها الأخير سيراً شديداً حاسماً وقد سميت. صفوفها في كل جهة خلاف الأخرى ؛ ففي الشمال عرف الصفان بصفي جرار وعبد الهادي وفي وادي الشعير والمغاريب عرفا بصفي عبد الهادي وطوقان ، وفي الجنوب عرفا بصفي قاسم وريان ، وفي الشرق عرفا بالقيس واليمن ، وفي الخارج عرفا بصفي طوقان والنمر كما يقول القنصل المسيو فين الافرنسي في تقريره فقد ذكر فيه : (إن جبل نابلس في الحرب الأهلية كان يقسم الى صفين ،

³⁵² ألصق علي بك طوقان بسعيد اغا طوقان تهمة قتل مباشر الحكومة فقبض عليه وسجن الى ان مات فلم يشترك في الدور الثاني فظهر اخوه داود اغا .

³⁵³ هم عشيرة قوية كبيرة في جبل عجلون ظهر أسرهم بعد ضعف بني هاني في اواخر القرن الثاني عشر .

وهما صف طوقان وأنصاره أولاد البرقاوي ولهم ثلث وادي الشعير ؛ وآل ريان ولهم نصف جماعين وفيها اثنتا وعشرون قرية وآل جرار ومعهم نصف بلاد حارثة ، ونصفها الآخر مع الفريق الآخر .

وصف النمر وقواده آل عبد الهادي ومعهم الشعراويتان ؛ والقاسم ومعهم جماعين الشرقي وفيه اثنا وعشرون قرية ؛ وآل الجبوسي ومعهم بنو صعب بقراياها الأربع) اهـ كلام القنصل .

وكان المتحاربون يسيرون بحسب عرف الصفوف³⁵⁴ القديم ويتجنبون الغدر والكيد ، فيحترمون الأسرى فإذا ظفر فريق بأسرى من فريق آخر حلّقوا لهم وكسّوهم وأرجعوهم الى أهليهم ، وكانوا يتجنبون أذى النساء والأولاد والضعفاء ، وهذا من عرف الفروسية الاقطاعي العشائري الآتي ذكره .

انقاذ برقة

أصبح الحفاة هدفا لصف اليمن جميعه ، لأنهم كانوا يحولون دون اتصالهم بجرار ، وكان ينجدهم سعيد آغا طوقان ثم عبد الفتاح آغا النمر ، وبعد فوز ريان على آل القاسم توجهت جموع جماعين ووادي الشعير بقيادة الشيخ الخفش المرادوي وحاصروا برقة ، فلم يبال بهم الحفاة ، فكان شيوخهم³⁵⁵ يشجعون شبانهم قائلين : (ياشبان الهوش الهوش هادا الخفش ما منوش » فثبتوا الى أن وصلتهم النجدة من آل النمر عن طريق ياصيد ، فارتد عنهم الخفش خائبا ، وبعد هذه المعركة دارت الدائرة على صف اليمن .

القضاء على ريان

انتعش آل عبد الهادي بانقسام آل جرار وزال الخطر عنهم ، فأصبح بإمكان صف القيس إمداد ال القاسم فأمدهم بجموع هاجمت ريان من الغرب والشرق في سنة ١٢٧٢ هـ وطوقته فأحرقت له سبع قرى وهدمتها ونهبت الخمس عشرة قرية الباقية ونجا آل ريان والخفش وأنصارهم بأنفسهم الى نابلس فظلوا فيها مدةً كبيرة ثم عادوا الى مجدهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وقد ساد ال القاسم في جماعين كلها ، وأصبح لهم شأن كبير في حكومة نابلس ، لا سيما بعد أن صارت نابلس متصرفية .

راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني³⁵⁴
كان شيوخ الحفاة في هذا العهد المشايخ اسماعيل اليوسف ، ومحمد السارة ، واحمد الكايد .³⁵⁵

نهب سلفيت

انتقم اليمن في المشاريق لريان فاستجد قائدهم الشيخ خليل الناصر بالأمرير بركات المسعودي ، فأنجده بجموعه وجموع من أحلافه العباييد (عباد) ، وانضم اليهم الشيخ محمود أبو الرزق³⁵⁶سحويل شيخ بني زيد في جبل القدس فهاجموا جماعين الشرقية ونهبوا سلفيت فردهم عثمان بك القاسم بقوة من حكومة القدس التي كان مدير الأمن فيها .

تشريد اليمن الى البلقاء

تحولت جموع اليمن عن جماعين وأخذت تسوم القيس في المشاريق وتضايقهم ولما حاصروا عورتا استجدت بعبد الفتاح اغا النمر في نابلس فأنجدهم بجروده الخاصة بقيادة عبد القادر اغا وانضمت اليهم باقي جرود المشاريق من ال الحاج محمد وجورة عمرة وجماعين ، فكسروا جموع اليمن وفروا هاربين الى البلقاء التي ظلوا فيها نحو سنتين وهدم عبد القادر اغا النمر مضافات صف اليمن حتى حدود القدس دلالة على كسرهم .

استجاد اليمن بالصف

بعد القضاء على ريان وعلى اليمن في المشاريق تجمعت فلول الصف جميعها سنة ١٢٧٤ هـ في الشمال عند ال جرار اليمن ، وإذ لم يبق لهم في نواحي جبل نابلس جميعها منجد استجدوا بأحلافهم وأنصارهم من البدو ، فانجدهم الشيخ رباح السعيد شيخ الصقور بعريه وأحلافه من الهنادي والعباييد (عباد) وانضمت اليهم جموع جرار (اليمن) ، وفلول صفهم في سائر الجهات ، فكونوا جيشاً كبيراً صاروا يهاجمون به صف القيس في جميع الجهات فحصلت معارك قوية فاصلة .

- عثمان بك القاسم ومعه الحواترة والزيتية شيوخ المزارع الى متصرف القدس ، وعزلوا الشيخ محمود ابو الرزق سحويل من مشيخة بني زيد ولوا الشيخ صالح العبد الحابر البرغوثي فعادت المشيخة للبراغثة .

حراية بيت ياروب والدير

اتجهت جموع اليمن من بدو وقرويين نحو صانور فلاقتهم جموع القيس بقيادة أبو العوف المفلح الجرار عقيد ال جرار القيس والبطل المشهور إذ ذاك فردهم عن صانور تحت بيت ياروب ، وبلغهم أن الصوّرة في أشد الضيق من جموع ال

³⁵⁶ كانت عشائر جبل القدس الجنوبية مر تبطة بجبل نابلس حزيبا وكان رجل من بني زيد احدى تلك العشائر قتل قتيلا من عشيرة أخرى فأطنب عند آل النمر وطلب أن ينزل في قرية صرطة فينوا له داراً هناك ، وكان أحد شيوخ جماعين عقد على ابنه هذا الطنيب قسراً ودون أن يمكن أباه من مشاورة أهله وشيخه ، فغضب بنو زيد وهجموا على صرطة بقيادة شيخهم الشيخ عبد القادر البرغوثي وأخذوا الطنيب وبنته ، فاغتاظ آل النمر من هذا العمل الذي هنك حرمة الطنابة ، وكان محمد آغا النمر متسلماً على القدس فعزل الشيخ عبد الجابر وقضاه حرمة الطنابة وولى مكانه الشيخ رباح البرغوثي ، وفي عهد ابراهيم باشا قتل الشيخ عبد الجابر بدسياسة من الشيخ رباح وآل القاسم ، فوقعت الفتنة بين البراغثة ، فتركهم بنو زيد وولوا عليهم شيخا من آل سحويل ، ولما ساد محمود بك القاسم في جماعين غضب على الشيخ محمود أبو الرزق سحويل شيخ بني زيد ، فسجنه وأهانته وترقب هذا الفرص فلما هاجم خليل الناصر جماعين اشترك معه بنهب سلفيت وبعد ردهم ذهب

عبد الهادي ، فتوجهوا نحو دير الغصون لانقاذهم وتكاثرت جموع اليمن في تلك المعركة فغاب ال عبد الهادي وذبح من جموعهم عدد كبير ، فارتدوا عن الصوِّرة وتفرقوا الى قراهم وتوجهت جموع الصقر نحو وادي الشعير .

وبينما كان أبو العوف جرار عائداً من دير الغصون بعد الواقعة مسريلاً بالسلاح خرج عليه كمين من اليمن فقطعوه إرباً ، وكان قتله خسارة كبرى لسانور فلبست عليه السواد وقال شاعرها :

طلعن البيض غاشيهن سوادي

يوم الدير يا يوم السوادي

إجلاء الشتويات

كان الشيخ حمدان العودة شيخ عشيرة قمير في كفر قدوم في قلب صفه ريان من الجنوب والبرقاوي من الشمال ، فضايق الشتويات وقتل شيخهم اخليف ، ولما قضي على ريان وضعف الصف كله نهض الشتويات للثأر والانتقام فضايقه مضايقة كبيرة ، ولما بلغه خبر نجدة الصقر لصفه وانتصار صفه ، استنجد فأجدوه ، فضايق الشتويات الذين أبلوا بالدفاع وقتلوا من الصقر عددا كبيرا فملؤوا منهم الابار ؛ إلا أن مشغولية صف القيس بما هو أعظم وتخوفهم من غارة البدو على نابلس حملهم على عدم إمدادهم ، فاضطروا على قبول الجلاء عن كفر قدوم³⁵⁷ بعد أن قتل منهم أربعة عشر رجلاً .

استنجد القيس بالعدوان

لما بلغ عبد الفتاح اغا النمر ومحمود بك عبد الهادي خبر غارة الصقر وما فعلوا استنجدوا بالعدوان وجمع عبد الفتاح اغا النمر جميع جروره الخاصة وانضمت اليها جموع جماعين فنزل بهم عبد القادر اغا النمر إلى غور بيسان فانضم اليهم الغزاوية (التيها) ورابطوا ينتظرون نجدة العدوان التي وصلت بقيادة سلطان البلقاء الامير علي الدياب وقد انضم اليه احلافه من الصخر والفريجات³⁵⁸ وتوجهوا جميعا نحو جينين فالتقوا بجرود ال عبد الهادي بقيادة محمد افندي الحسين ومحمود اغا المحمد الجرار وساروا جميعا فالتقوا بجموع الصقر وال جرار عند عين حزوبه وقد بلغت جرود الفريقين اكثر من عشرين ألفا .

³⁵⁷ فنزل منهم الجد والعلية وأبو العدس والزلموط في نابلس ، ونزل آل ابي السعود في رفيديا، ونزل ال ابراهيم والدعاس والقاضي في بيت أمرين ، ونزل الوجيه في اكسال من قضاء الناصرة ، ثم عاد فريق من ال الدعاس الى كفر قدوم بعد الصلح .

³⁵⁸ هم من عشائر جبل عجلون القوية ظهر أمرهم بعد ضعف بني هاني .

حراية حزوب

التحم الفريقان فقتل عبد الله افندي الحسين عبد الهادي ومحمود اغا المحمد الجرار والامير غالب ابن عم الامير علي الدياب ودارت الدائرة في بادئ الامر على صف القيس لولا ان احد عبيد الامير دياب قتل الشيخ رباح السعيد عقيد الصقر وجموع اليمن فانفرط عقدهم وهربوا وتشردوا نحو بيسان .

يوم الشرار

بلغ الامير دياب بان الصقر عادوا فجمعوا جموعهم على الشرار فتوجه بالجموع نحوهم وكسروهم شر كسرة ونهب جميع مواشيهم وهدم بيوتهم وقتل منهم في ذلك اليوم الاسود عددا كبيرا ورحلت نساوهم الى غور ابي عبيدة تستندج الاحلاف حاسرات الرؤوس باكيات نائحات فكان يوم الشرار يوما عبوساً قبل فيه :

يوماً اسود كالقطران

يوم حطت عالشرار

غارة العدوان

سار الامير دياب بعد ذلك غرباً الى ان وصل يافا فنهب ابو كشك ونهب كل من صادفه من صف اليمن ثم عاد من وادي الشعير فنهب قرى البرقاوي ، ثم مر عن مدينة نابلس فأعطى حدية³⁵⁹ لحارة الحبله ملأت أزقتها جميعها ثم توجه نحو غور نمرين³⁶⁰ بعد أن قوض أركان اليمن في كل مكان .

اباء عصيرة وكسر جرار

كانت القرى الشمالية اشتركت مع جرود عبد القادر اغا النمر التي لاقت جموع العدوان، فانتقم جرار اليمن من الضراغمة في طوباس والديابسة في طولوزة والبشارات في طمون واحتلوا مضافاتهم ، واخضعوهم ثم اتوا الى عصيرة واحتلوها فجلت الى سفوح عيبال المطلة على نابلس واستندجت بعبد الفتاح اغا فانجدها بثمانية بواردي من حارة الحبله وانضم اليهم في هذه الموقعة البعض من الحارات الاخرى ، وصعد بهم عبد القادر اغا النمر الى سفوح عيبال وانضم اليه اهالي عصيرة فارسل منهم فرقة رابطة على طريق طولوزة ليأمن المباغته فلاقتهم جرود جرار فصوب حسين المصري بندقيته نحو عقيدهم فقتله وانهزمت جرود جرار الى عصيرة فاحاطت جرود الحبله بعصيرة وطوقتها وقطعت اتصال ال جرار وجرودهم ببعضهم وصار ال جاموس وغيرهم يقوضون المباني على من فيها وبعد هدم اثني وعشرين عقدا اضطر المحتلون من آل جرار وجرودهم على التسليم فكان في عصيرة بضعة عشر رجلاً من آل جرار فاتوا بهم وجموعهم الى نابلس فاستقبلهم عبد الفتاح اغا النمر على قدم عيبال فوق المقبرة الشمالية باكيًا وحياهم وانزلهم ضيوفاً

³⁵⁹ الحدية هي عطاء يقدمه الغازي لمن يصادفه او يمر عنه من احلافه

³⁶⁰ و غور العدوان ويعرف اليوم بشونة ابن عدوان .

عليه واطهر من الكرم في ذلك اليوم ما ادهش الناس ثم كساهم كسوة ثمينة حسب الاصول وارجعهم الى قراهم معززين مكرمين فغسل بذلك مافي قلوبهم من ضغينة فكانت معركة قصيرة فاصلة تفاهم بعدها ال النمر مع ال جرار وتفاهم ال جرار مع بعضهم فعادوا الى رأي عبد الفتاح اغا الاول وعادوا للشكايات .

عزل محمود بك وعصيانه

لما كانت الحرب الأهلية دائرة في فلسطين كانت حرب القرم مستعرة بين الدولة العثمانية وروسيا فكثرت شكايات القناصل عن جبل نابلس ولما بلغ متصرف القدس اشتراك محمود بك واستنجاهه بالعدوان عزله وارسل للمير ألاي في نابلس يطلب القبض عليه لنفيه فرفض محمود بك التسليم واعلن ال عبد الهادي العصيان واحتلوا جينين .

حمد والي الشام ووساطة عبد الفتاح اغا

لما بلغ متصرف القدس عصيان ال عبد الهادي كتب لوالي الشام بالخبر فغضب واسرع بالمجيء بحملة كبيرة لضرب ال عبد الهادي ونزل في المرح تجاه جينين وارسل لمتصرف القدس يطلب منه الزحف بمن معه ليلاقيه فكتب متصرف القدس يقترح توسط عبد الفتاح اغا لئلا يحصل من جيش الشام مايشير جبل نابلس جميعه فوافق الوالي وكتب لعبد الفتاح اغا فنزل الى جينين على ال عزوفة وقيل على الغباشة ومعه ولده بدوي اغا وعدد من الفدائية³⁶¹ والأتباع ، ولما بلغ محمود بك الخبر أتى للسلام عليه فعاتبه عبد الفتاح اغا على غلظته بعدم التسليم للنفي ، لأن مثله لا يجوز أن يحسب حساباً للنفي وأنه يكون معززاً مكرماً ، وبعصيانه يقع بين الدولة وال جرار فيقضي على عشيرته قضاء مبرما .

وكان محمود بك لين العريكة بعيد النظر فقبل برأي عبد الفتاح اغا ، وذهب الى والي الشام في المرح ، فاستلمه وعاد بجيش الشام الى دمشق .



قصر محمود بك عبد الهادي وقد بناه ولده الحاج عبد الرحيم افندي ويعرف اليوم بدار عبد الرحيم

³⁶¹ راجع فصل السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

الفصل الثالث

الدولة تنهي الحرب الأهلية

تشكيل المتصرفية

بعد انتهاء حرب القرم تفرغت الدولة لبلادها ، فأقنع القناصل الدولة بأن صلة نابلس بالقدس وترك نابلس بلا قوة حكومية وموظف غريب هو العامل الأكبر في بقاء التطاحن ودوام الحرب الأهلية ، فاقترحوا - لا سيما القنصل فين قنصل دولة فرنسا - جعلها متصرفية ، وتعيين حاكم حازم عليها فعملت الدولة برأيهم وجعلت نابلس متصرفية عينت عليها ضيا بك المصري الشديد وأمدته بقوة من الجند والمدافع للقضاء على التمرد وإنهاء الحرب الأهلية وذلك سنة ١٢٧٥ هـ .

استمرار عصيان آل عبد الهادي

لما كان عبد الفتاح اغا النمر يقنع محمود بك عبد الهادي بالتسليم وقف محمد أفندي الحسين على الباب وقال لعبد الفتاح آغا بحدة (يا آغا هدي البلاد أخذناها بالسيف) ، فغضب عبد الفتاح آغا وأشاح بوجهه عنه ، فقام محمود بك ودفعه عن الباب ، ولما سلم محمود بك بنفسه ترك محمد أفندي الحسين جينين وتحصن في عرابية ، وصار يهاجم آل جرار ويقطع الطرقات ويؤذي الأجانب ، فتوالت شكايات القناصل من جهة وآل جرار من جهة أخرى فقررت الدولة هدم عرابية واستئصال العصيان ، وتجنب عبد الفتاح آغا التدخل بأمر محمد أفندي الحسين لعلمه بعناده وشططه .

حمد ضيا بك لهدم عرابية

في فصل الربيع من سنة ١٢٧٥ هـ ، خرج المتصرف ضيا بك ومعه مجلس³⁶² لشورى وحملة عسكرية مكونة من أربعمئة جندي من المشاة ومايتين من الفرسان وثمانين من حملة البنادق المضلعة ومدفعين سهليين من شبه البرونز من العيار الكبير وعدد من البنائين ، وانضمت اليهم جميع العشائر المعادية لآل عبد الهادي وجميع آل جرار الذين تفاهموا واتحدوا لرد غارات محمد أفندي الحسين ولهدم عرابية انتقاماً لسانور ، وقد جمعوا مبلغاً كبيراً قدر بنحو ثلاثة الاف ليرة لرشوة الوالي والمتصرف ورجال الدولة ، وانضم إليهم الصقر للانتقام ليوم حزوبة والشرار .

مفاوضة آل عبد الهادي

نزل ضيا بك بالحملة بعيداً عن عرابية ساعتين ، ونظراً لما وقع بين عبد الفتاح اغا النمر ومحمد أفندي الحسين ولاستمراره بالعصيان وعدم نزوله على رأي عبد الفتاح اغا ، فإن الأخير لم يتظاهر بمساعدته ولم يحضر مع المجلس الذي رافق الحملة والذي كان أحد أعضائه ، إلا أنه أوعز لولده عبد الكريم اغا وكيل المير ألاي بأن يقترح مفاوضة آل عبد الهادي ، وأن يعمل كل ما يستطيع لمساعدتهم وقد قبل ضيا بك مفاوضة آل عبد الهادي ، وأرسل إليهم وفداً مكوناً من الشيخ محمد عاشور العضو الحيادي في المجلس ، والمير ألاي³⁶³ صالح بك الحسين عبد الهادي ، وأخوه محمد

³⁶² راجع فصل المجالس في الجزء الثاني وتشكيل الحكومة في دور الانتقال من الجزء الثالث
³⁶³ و من اولاد الشيخ حسين عبد الهادي الصغار ادخله محمد علي باشا المدرسة الحربية ثم الجيش فبلغ درجة مير الاي .

افندي الحسين المذكور، ورئيس حركة العصيان والتمرد ، وبعد مفاوضة دامت ثلاثة أيام قنع آل عبد الهادي بالتسليم على شرط أن لا تهدم عرابة ، واكتف المتصرف باستلام محمد أفندي الحسين ثم هدم الأسوار ، واتفق الفريقان على أن ترفع عرابة الرايات البيضاء حينما يقبل الجيش عليها ويتقدم محمد افندي الحسين ويبيده الراية البيضاء فيسلم نفسه للجيش ثم تهدم الأسوار وينتهي العصيان .

مكيدة آل جرار

لما تحقق آل جرار إذعان آل عبد الهادي اسقط في أيديهم واتهموا الوفد والمجلس بالرشوة ، ودبروا مكيدة لإحباط مساعي الوفد فلما زحف الجيش نحو عرابة أرسلوا جماعةً منهم هاجموا عرابة من الجهة التي أتى منها الجيش ، فقابلهم العرابيون وردوهم فانهزموا أمامهم وصاروا يطلقون النار على الجيش ووراءهم جموع عرابة تطلق النار عليهم ، وإذ لم تكن ميزة تميزهم عن بعضهم ، ظن الجيش أنهم جميعاً جموع آل عبد الهادي ، فقابلهم بالمثل وردوهم ، وصاح شيوخ آل جرار بضيا بك محمد الحسين وجموعه نريد ذبحك ولا نريد الصلح لآبد من هدم عرابة ، وكان المجلس أكثره من أعداء آل عبد الهادي ، فظاهروا آل جرار ، وأعطوا قراراً بضرب عرابة ، فأطلقت عليها المدافع وهاجمتها الجموع .

هدم عرابه

دام إطلاق المدافع على عرابة وفيها النساء والأطفال ساعتين فلم تصب إلا رجلاً من آل عبد الهادي اسمه عبد الفتاح ، ولم تهدم إلا جهة في غرفة ثم سكنت فيهم البدو من الجهة الشرقية فرددتهم جموع آل عبد الهادي وتبعتهم ، فداروا ودخلوا عرابة من جهة أخرى ، فأصبحت ودخلت سائر جموع آل جرار من الجهة التي هاجمها البدو أولاً ، جموع آل عبد الهادي خارج عرابة ، واحتل الجيش والبدو وآل جرار عرابة فنهبوا وهدموا جميعها ولم يبقوا فيها إلا على دارين ليقيم الجند فيهما .

انقاذ آل عبد الهادي وأموالهم

في الوقت الذي كانت فيه المفاوضة دائرة بين الوفد وآل عبد الهادي كان عبد الكريم آغا النمر يدبر مع آل عبد الهادي خطة لإنقاذ أموالهم ونسائهم فيما لو فشلت المفاوضة فتم الاتفاق على ذلك . ولما دخل الجيش عرابة ذهب عبد الكريم آغا بفرسانه وفدائيته ، فحمل أموال آل عبد الهادي على أربعة بغال ، وأردف هو وفرسانه عددًا كبيراً من نسائهم وشعرت به الجموع المعادية فأصلوه وأبلاً من الرصاص ، فنجا ورجاله دون أن يمكنهم من اللحاق بهم وأتى بالنساء والأموال إلى نابلس ، فبنى فيها الحاج عبد الرحيم المحمود عبد الهادي قصرهم الكبير . وبينما كانت الجموع تشغل بالنهب والهدم كان فريق من آل جرار (القيس) يشتغلون بإنقاذ الأطفال والنساء وحمائيتهم ، فنقلوهم إلى صانور وقد بلغ عدد نساء عرابة فيها نحو أربعماية ، فأكرم آل جرار مآواهم وحافظوا عليهم نحو أربعة أشهر إلى أن أذن لأهالي عرابة بالعودة إليها فأرجعوا بكل إعزاز :

إذا احتربت وسالت دماؤها تذكرت القري فسالتم دموعها

استعفاء³⁶⁴ عبد الكريم آغا وإنذار ضيا بك

لما بلغ ضيا بك ما فعله عبد الكريم آغا من إنقاذه أموال ال عبد الهادي تميز غيظاً ، فطلبها من عبد الكريم آغا ، فأتى اليه ومعه كتاب الاستعفاء ، وأخبره بأن الأموال للنساء وقد استلمتها ، وأنه سدد آل عبد الهادي يوماً ، وبلغه على لسان والده بأن هدم عرابة كان غدرا وكيداً ، وأنه هو والمجلس وال جرار مسؤولون عن ذلك وبعدها أرسل عبد الفتاح آغا الشكايات للوالي وللباب العالي³⁶⁵.

تسرجن³⁶⁶ المجلس وشيوخ آل جرار

لما أتى محمد رشدي باشا القبرصي مشير الشام سنة ١٢٦٦ هـ بالحملة وقف على أخلاق عبد الفتاح آغا النمر ونواياه حق الوقوف وتأكد إخلاصه ووثق به ، وفي هذه الأثناء أصبح أحد وزراء الباب العالي فلما وصلت الشكايات ساعد عبد الفتاح آغا وكتب لوالي بيروت ولمتصرف نابلس بوجوب التحقيق ، فاضطر المتصرف ضيا بك الى إجراء التحقيق وبمساعدة أعضاء الوفد فضحت مكيدة ال جرار وثبتت تسرع المجلس بالمصادقة على هدم عرابة فقرر والي بيروت تسرجن شيوخ ال جرار وبعض أعضاء المجلس لبيروت ، فألقى عليهم القبض وأخذوا محروسين ، وهم : درويش بك طوقان ، الشيخ محمد عاشور ، أحمد بك القاسم ، الحاج أسعد الطاهر من أعضاء المجلس ، وقاسم آغا الداود الجرار ، وأحمد آغا الجرار ، وإبراهيم آغا الجرار شيوخ ال جرار .

العفو عن آل عبد الهادي

هرب محمد أفندي الحسين وأخوه صالح بك ، ومن كان موجوداً من ال عبد الهادي في عرابة مع رجالهم الى البلقاء ، ولما فضحت المكيدة وتبين أنهم اضطروا ووقعوا في المكيدة عفا عنهم ، فعادوا الى نابلس وأقاموا هادئين الى أن تبدلت الأحوال ، فتفاهموا مع الدولة وكان لهم بنزولهم في نابلس فوائد كثيرة ، فقد حصلوا فيما بعد على مراكز كثيرة في الحكومة وانتبهوا للتعليم فحافظوا على كيانهم ، ولا يزالون يعدون من أقوى عشائر وأسر فلسطين مكانة وعلماً وعدداً .

³⁶⁴ الاستعفاء اي الاستقالة

³⁶⁵ الباب العالي هو القصر الذي يعقد فيه الوزراء جلستهم

³⁶⁶ التسرجن اي الاعتقال مع الحرس والمحافظين وهي كلمة دخيلة .

استبداد ضيا بك وخبثه

رأى ضيا بك أن الجو خلا له ، فأخذ يتحرش بالشعب ليقتل عزته ويقضي على ما بقي في البلاد من تمرد ويهين من بقي فيها من الرجال ، فأوعز لعساكره بأن يتجولوا في الشوارع ويأخذوا الشملات³⁶⁷ والتلاويات والحطة والعقال عن رؤوس النابلسيين ويأمرهم بلبس الطرابيش .

وصار يجبر أصحاب الأملاك على تسجيل الأراضي ، ويجبي الضرائب بشدة ، فكثر الصدام بين عساكره وموظفيه وبين الأهالي ، فامتلات السجون ، وصار الجميع يلجئون لآل النمر ، فصار هؤلاء يرسلون الشكايات بحق المتصرف ويحرضون الناس ويشجعونهم على الشكايات لوالي بيروت وللباب العالي وللسلطان ، فانقضت سنة ١٢٧٦ هـ كلها بالشكايات والعنف والاصطدام .

مكيدة ضيا بك لآل النمر

لما أحس ضيا بك بالشكايات ، صار يفكر بالتحرش بال النمر ليخرجهم عن حلمهم ، فدلّه أحد المفسدين على مكيدة مغيظة ، وهي أن يحجز على دار عبد القادر اغا النمر في غيابه وغياب عبد الفتاح اغا وبما أن زوجة عبد القادر اغا هي أخت عبد الفتاح اغا وعبد الله اغا فإنه يمس كرامة آل النمر جميعاً فيتحرشون بموظفيه . ولما دخل مأمور المالية ومعه بعض الكتاب والعساكر لدار عبد القادر اغا طردهم شبان آل النمر ورجالهم وأهانوهم ، فاغتاظ ضيا بك وأرسل بطلبهم .

محاولة اغتيال ضيا بك

كان عبد الله آغا أخو عبد الفتاح آغا النمر قوي النفس عصبى المزاج ، فلما بلغه ما حصل وأن ضيا بك يشدد في طلبه وطلب باقي الشبان ، ذهب برجاله الى السراية فدخل على المتصرف ضيا بك واستل سيفه يريد اغتياله ، فحال رجال المجلس والحراس دون ذلك وقبضوا عليه وهو بحالة جنونية ، فذعر المتصرف وازداد غيظاً .

ولما عاد عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا لنابلس وبلغهما الخبر اسقط في أيديهما لاعتقادهما أنها مكيدة وأن المتصرف لم يلجأ لهذه الأعمال إلا حينما تأكد نجاح الشكايات ، فأسرعا الى ديوان المتصرف ، وصار عبد الفتاح آغا يلاطفه ويعمل لإزالة سوء التفاهم ، فخرج المتصرف كلامه على شبان آل النمر وتطاول علي عبد الفتاح آغا في المجلس ، فیهجم عليه عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ورمياه على الأرض وداس عبد الفتاح آغا رقبته قائلاً : بلغ الدولة العلية بأننا لا نحكم بالسفاهة ولا نصبر على الذل .

المظاهرات المسلحة

كان جبل نابلس على اختلاف صفوفه . وعشائره ونزعاته قد سئم استبداد ضيا بك وعسف عساكره وبتوا جميعاً يترقبون موقف عبد الفتاح آغا النمر ، فلما وقع بينه وبين المتصرف ما وقع حسب حساب عساكر ضيا بك ولؤمه ، فرتب

³⁶⁷ الشملة والتلاوية هما نوعان من غطاء الرأس للعامة تشبه العمامة

المظاهرات المسلحة ، فصارت جرود نواحي جبل نابلس المسلحة ترد الى نابلس ليل نهار فتلقي³⁶⁸ على دار النمر وتخرج منها فتمر عن باب السراية وتطلق نيران بنادقها تحت مقصورة ضيا بك فاضطر ضيا بك على التحصن بعساكره داخل السراية ، وظل محصوراً فيها إلى أن وصلته النجدة من بيروت والشام والقدس وعكا .

تسرجن عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا

بعد أن داس عبد الفتاح آغا النمر رقبة المتصرف بلغ الأمر النهاية ، فصار ضيا بك يجمع عساكره ليلقي القبض عليه ، وكتب بالواقع محضراً للوالي ، ولما رأى المظاهرات كتب للوالي يخبره بأن آل النمر أعلنوا الثورة ، فصدر الأمر بالقبض على عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ؛ وتوالت النجذات على ضيا بك من القدس وبيروت وعكا ودمشق ، فلم عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا أنفسهما دون أن تسفك قطرة دم ، وأرسلا محروسين عن طريق يافا بحرا الى بيروت ، وأقسم عبد الفتاح آغا النمر أن لا يعود من بيروت إلا بعد أن يخرج ضيا بك من نابلس مطروداً مجرماً³⁶⁹ .

عزل ضيا بك وتجريسه

في هذه السنة اي سنة ١٢٧٧ هـ جلس السلطان عبد العزيز على عرش ال عثمان وكان اول وزرائه العظام محمد رشدي باشا القبرصي كتب له عبد الفتاح آغا النمر عن اعمال ضيا بك مع الشعب ومع ال النمر مفصلاً فصدر امره باخلاء سبيل عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا وبطرد ضيا بك وتجريسه وعمل عبد الفتاح آغا النمر جهده لأن يكون دخوله لنابلس في اليوم الذي يجرس ويطرد فيه ضيا بك فكان الامر كما أراد وفاز بطرد ضيا بك فجرس في شوارع نابلس ثم اخرج من نابلس في الساعة التي دخل فيها عبد الفتاح آغا والتقى خارج نابلس من الغرب عند وادي التفاح فقال له عبد الفتاح آغا (هذا جزاء السفهاء اللئام) وكانت في هذه الصدمة عبرة لكل من عين متصرفاً لنابلس بعد ضيا بك وقد كلفت ال النمر ثمناً باهظاً ولولا أموال الست³⁷⁰ اليمين لما استطاعوا الوصول الى هذا الحد من الفوز الذي جمع القلوب كلها على حبهيم فاستردوا بها مكانتهم في جميع جبل نابلس واستقبل كبيرهم استقبالاً تاريخياً .

استقبال عبد الفتاح آغا ووداع عهد الاقطاع

رجع عبد الفتاح آغا النمر وقائده عبد القادر آغا النمر من بيروت بالبحر الى يافا فاستقبلهما على الميناء قائمهما مصطفى بك السعيد³⁷¹ وبعد انتهاء الضيافة خرج معهما فاستقبلتهم القرى من يافا الى نابلس على اختلاف الصفوف ، الرجال والنساء ؛ وكانت خيولهم تدوس على الشناير الحمراء³⁷² والبيضاء طول الطريق وكانت اصوات الرصاص تتصاعد في كل مكان فكان استقبالاً تاريخياً منقطع النظير وكان وداعاً لعهد الاقطاع وفروسيته.

³⁶⁸ تلقي اي تنزل

³⁶⁹ التجريس هو أن يركب المجرس على حمار معكوساً فيطاف به في الشوارع ، وهذه المعاملة كان يعامل بها من ينتهك الحرمات ، وقد جرس ضيا بك لانتهاكه حرمة عمانم العامة .

³⁷⁰ هي أم عبد الفتاح آغا التي كانت تمد ولدها وأخاها بلا حساب - راجع ترجمتها في فصل الحريم من الجزء الثاني

³⁷¹ هو جد ال السعيد في يافا وهو من ذرية ابن ادھيس شيخ حامولة جباره المار الذكر

³⁷² الشعار الأحمر لصف القيس والابيض لصف اليمين والشناير هي وشاح القرويات وشرح ذلك في فصل عرف الصفوف واستقبال الامير في باب الامارة من الجزء الثاني

وقد عد عبد الفتاح اغا النمر منقذاً فقال له الشاعر النابلسي³⁷³ :

ولولا عابد الفتاح خلا لصرنا في بني الدنيا اسارى
حليف المكرمات ابو المعالي اجل الناس قدراً واقتدارا
اعز بني الملوك³⁷⁴ الغر نفسا واشجعهم وامنعهم ديارا

آخر معارك القيس واليمن

وبعد وصول عبد الفتاح اغا النمر لنابلس خرج مصطفى بك السعيد شيخ حامولة جبارة بالجرود والجموع الى الشمال فتأر لعرابة بنهب جبع وميتلون وبرقين وعاد بعد ذلك الى يافا وذلك سنة ١٢٧٨ فلم يبق للصفين عند بعضهما تأر ، وانتهت الحرب الاهلية وعهد الاقطاع معاً .

³⁷³ راجع فصل الشعر في باب اللغة من الجزء الثاني .
³⁷⁴ يشير الى تلقب الشعب اباء واجداده بالملوك وبالسلطين كما سيظهر في وثائق الجزء الثاني وكما مر في الحوادث الجارية

انتهى الجزء الاول في ٨ من ذي الحجة سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٨ شباط سنة ١٩٣٨م ويليه الجزء الثاني وهو يبحث
عن مدنية الحكم الذاتي الاقطاعي

ملحوظة

أخذ مناظر هذا الجزء السيد عادل دروزة ، وحفر كليشيهاته على الزنك السيد شكري حجاب وكلاهما في نابلس

محتويات الكتاب

مصادر تاريخ جبل نابلس والبلقاء

مقدمة الكتاب

مقدمة تاريخية

صفحة	الباب الأول - حوادث سوريا من نهاية الحروب الصليبية الى الفتح العثماني؟
11	الفصل الأول - الغارات الخارجية
13	الفصل الثاني - العرب في سوريا
17	الفصل الثالث - نظام الحكم العثماني
20	الفصل الرابع - الفوارق وعوامل الفتن
24	الفصل الخامس - الفتن والثورات
	الباب الثاني - من بدء بروز شخصية جبل نابلس
34	الفصل الأول - جغرافية جبل نابلس
43	الفصل الثاني - جبل نابلس في أول الفتح الاسلامي
47	الفصل الثالث - النهضة العلمية الأولى
55	الفصل الرابع - الأمراء الوطنيين
63	الفصل الخامس - الحكام الغرباء
	الباب الثالث - عصر بني النمر
68	الفصل الاول - تاريخهم وفروعهم
71	الفصل الثاني - حملة الإمامية للجنوب
74	الفصل الثالث - استقلال الامامية بالامارة
76	الفصل الرابع - رؤساء وعشائر العصر

80	الفصل الخامس - الأمير يوسف النمر
89	الفصل السادس - البليغ المفرد علي جرجي النمر
95	الفصل السابع - الحاج محمد آغا بريجي النمر
108	الفصل الثامن - الصدر الأمد عمر آغا اليوسفي النمر
117	الفصل التاسع - احفاد الجرجي
	الباب الرابع - الهجوم الخارجي والتنافس الداخلي
130	الفصل الأول - أحوال الولايات المحاورة
123	الفصل الثاني - أحوال أمراء وشيوخ جبل نابلس
135	الفصل الثالث - عشائر البدو
139	الفصل الرابع - هجوم ظاهر ونتائجه
155	الفصل الخامس - عصر السلطانين
160	الفصل السادس - حرق الافرنسيين ومضايقتهم
167	الفصل السابع - تمرد جبل نابلس
	الباب الخامس - عصر موسى بك
178	الفصل الأول - البيكات بين النعمة والانتقام
180	الفصل الثاني - البيكات والجياية
183	الفصل الثالث - آل جرار والبيكات
187	الفصل الرابع - حسن آغا وموسى بك
192	الفصل الخامس - طغيان موسى بك
197	الفصل السادس - الثورة الكبرى
204	الفصل السابع - دور الخداع والغدر
208	الفصل الثامن - دير الدفاع المجيد
214	الفصل التاسع - القضاء على قوي موسى بك

223	الفصل العاشر - آخرة موسى بك
	الباب السادس - عصر أحمد آغا
231	الفصل الأول - دسائس الولاة والامراء
246	الفصل الثاني - الحكم المصري
	الباب السابع - عصر عبد الفتاح آغا
266	الفصل الاول - رجوع الاتراك
271	الفصل الثاني - الحرب الاهلية
295	الفصل الثالث - الدولة ننهي الحرب الاهلية

الجزء الثاني

حضارة الاقطاع

وهو يقسم الى سبعة أبواب

نبحث عن حالة الأديان وأتباعها ، وعن اللغة وحالتها ، وعن العلم والعلماء ، وعن الحكومة والمحكمة والأقطاع والميري والنواحي وألاي السباهيات ، وعن الامارة وتقاليدها وشروطها وفتوتها وفروستها وعرف الصفوف والقانون العشائري ، وعن التجارة ومعاملاتها وتعاملها ، والصناعة وأنواعها وعن أحوال المجتمع وعاداته في كل شيء والرقي الذي بلغه المجتمع الاقطاعي النابلسي شرحًا وافيًا يري حالة عصر التبس على الناس أمره ، وأسيء الى أهله .

الجزء الثالث

الحكم الأجنبي والنضال القومي

وهو يبحث :

عن دور الانتقال من الحكم الاقطاعي الذاتي الى الحكم المدني الأجنبي وعن موقف أمراء ومشايخ جبل نابلس وتعليمهم ويبحث عن دور الانحلال وما حصل فيه ، وعن عهد الحرية والفكرة العربية ، وعن الحرب الكبرى ، والثورة العربية ، وعن الاحتلال والانتداب وعن الحركة الوطنية في نابلس خاصة وفلسطين عامة الى ما بعد تقرير اللجنة الملكية بقليل ، بأسلوب تحليلي صريح ، وعن الأحوال العامة في جبل نابلس في هذا العهد من الوجهة : العلمية والاقتصادية والاجتماعية والاعمال والمشاريع الخيرية ، وفي هذا الجزء فوائد كبرى لأنه يري تدرج البلاد ووصولها الى هذا الحد من عامة الوجود أفراداً وجماعة .

انتظروا

العربي الكامل

للمؤلف هذا الكتاب

وهو كتاب أخلاقي ثقافي يبحث عن حياة العربي الكامل ونشأته واكتماله من الوجود الى الخلود بكافة نواحيها وتطوراتها مع إبانة ما يكسبه الرفعة الدنيوية والخلود الأخروي ومعالجة كافة النقائص ونواحي الضعف التي يشكو منها العالم العربي أفراداً وجماعة لإعاققتها تقدمه مع التوفيق بين روح الإسلام ، وأساليب العصر ، متمشياً على قاعدة (الإسلام دين خالد) بأسلوب تحليلي مبتكر ، يقع في ثلاثة أجزاء بضع مئات من الصفحات .